من غينيا بيساو
إلى
غينيا كوناكري

رحلة وحديث في أمور المسلمين

بقلم
محمد بن ناصر العبودي

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

ⓒ محمد بن ناصر العبودي، ١٤١٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
العبودي، محمد بن ناصر.
من غينيا بيساو إلى غينيا كوناكري.
ص ؛ ١٧ سم
ردمك ٥-١٦-٧٨٥-٩٩٦٠
١- الرحلات ٢- غينيا - وصف ورحلات ١- العنوان
ديوي ٩١٠,٤ ١٥/٠٦٣٧

رقم الإيداع: ١٥/٠٦٣٧
ردمك: ٥-١٦-٧٨٥-٩٩٦٠





الحمد لله. وأما بعد: فإن حظي مع الغينيات ليس جيداً، والموضوع ليس له علاقة بالغانيات وإن كانت اللفظة لها علاقة بالغانيات في الأصل الذي اتفق في الوضع رغم تباين اللغات.

فكلمة (غينيا) أصلها في التسمية (غيني) كما يلفظ بها في الإنكليزيةأو قريباً من ذلك.

ذكرو أن سبب التسمية من قوم من المكتشفين الأوروبيين الذين مهدوا السبيل للمستعمرين بل المستعبدين الأوروبيين الذين استرقوا عشرات الألوف من الأفريقيين الأحرار، وذهبوا بهم إلى الأمريكتين لكي يباعوا كما تباع الدواب من أجل أن يقوموا بالعمل الشاق عند السادة الأوروبيين الظلمة الذين نهبوهم واسترقوهم.

فعندما وصل أولئك النفر من المستكشفين إلى شاطيء ما يعرف الآن بغينيا رأوا نسوة من أهل البلاد فسألوهن عن اسم هذه البلاد ولم يكونوا يفهمون لغتهن كما لم يكن يفهمن لغتهم فأجابت النسوة على ذلك السؤال بجواب مبني على الظن بأنهم يسألونهن عنهن أنفسهن.

فقلن (غيني) بكسر الغين التي هي في الحقيقة جيم مصرية - بالصاد - وهي نفسها قاف مضرية - بالضاد المنقوطة.

وهذه الكلمة تعني امرأة بلغة قبيلة (الصوصو) فظن أولئك المستكشفون الأذكياء أنهن يعنين أن اسم البلاد (غيني) أو أنهم لم يظنوا ذلك بالضبط ولكن هانت عليهم حتى أسموها «غني» بتلك اللفظة التي سمعوها من النساء الأفريقيات.

وبعض الرواة يقول: إن الأوربيين سألوا رجالاً من الأفريقيين عن اسم المنطقة التي هم فيها وأشاروا إلى جهة منها كانت فيها امرأة فظن الأفارقة أنهم يسألون عن المرأة فقالوا: (غيني) وهو اسم المرأة بلغة صوصو التي تسكن على ذلك الشاطيء فأسموا المكان (غني).

ومن هنا تبين علاقة (الغينيات) بالغانيات غير أن تلك العلاقة لاعلاقة لها - أيضًا - بعلاقتي بالغانيات.

فقد اشتهرت كلمة (غني) أو (غينيا) وسميت بذلك أكثر من بلاد لعل أشهرها عندنا جمهورية غينيا الإفريقية التي عاصمتها (كوناكري) لأنها بلاد مسلمة بأكثرية أهلها.

وفي إفريقية وحدها سميت ثلاثة أقطار بغينيا وهي غينيا بيساو وغينيا كوناكري و(غينيا) الاستوائية.

ومع اتحادها في اسم (غينيا) فإن بلاءها بالمستعمر قد اختلف فالأولى وهي غينيا بيساو استعمرها البرتغاليون والثانية استعمرها الفرنسيون، والثالثة وهي غينيا الاستوائية هي مستعمرة أسبانية.

وفي آسيا (غينيتان) أولاهما غينيا الجديدة الغربية وكانت مستعمرة هولندية صارت جزءًا من الجمهورية الإندونيسية بعد إستقلال إندونيسيا عن هولندا.

والثانية: غينيا الجديدة الشرقية وكانت مستعمرة بريطانية ثم صارت محكومة إداريًا من حكومة القارة الإسترالية التي لا تبعد عنها كثيرًا، وإنما تفصل بينهما مياه هي مياه المحيط الهاديء تسمى بحر الكورال.

ثم استقلت هذه واختارت لنفسها اسماً جديداً هو (بابوا) بديلاً عن غينيا الجديدة .

ومع أن هذه الغينية الجديدة التي تقتصر جدتها الآن على الجدة في الإستقلال ثم لم تستطع أن تسير ببلادها السير الإداري الصحيح فإنها تطالب بغينيا الجديدة الغربية التي صارت جزءاً من جمهورية إندونسيا تزعم أنها جزء منها، ولو كان المنطق بالقياس لصح أن تقول اندونسيا إن هذه الغينية المطالبة بأختها الإندونيسية هي جزء من تلك الأخت الإندونيسية ينبغي أن تنضم إليها فتكون مثلها جزءاً من اندونيسيا.

والغريب أن الغينيات الخمس في آسيا وأفريقية يجمع بينها السواد كما يجمع بينها الاسم فرغم أن آسيا ليست قارة للسود أو هي ليست بالقارة السوداء كما أسمى الفرنسيون القارة الإفريقية بالقارة السوداء، وإن كانت بقع منها كجنوب الهند وسيلان وبعض الجزر التي تقع إلى الجنوب منها ذات سكان شديدي السمرة حتى تكاد تصل سمرتهم إلى حد السواد فإن أغلبية سكانها من السمر والصفر.

إلا أن جزراً من جزرها الشرقية الواقعة في المحيط الهاديء أهلها الأصلاء سود كسواد الإفريقيين ومنهم سكان غينيا الجديدة أو إن شئت قلت سكان الغينيتين الجديدتين، وإن تكن الغربية منها قد صارت إندونيسية باسم (ايربان الغربية).

وأعود إلى الحديث مع حظي مع الغينيات الخمس، وكيف أنه لم يكن جيداً فلم يقدر لي وصال واحدة منها رغم كون غينيا كوناكري بلداً

مسلماً تربطنا به روابط ثقافية ودينية وثيقة، وكوني زرت جيرانه وجيران جيرانه حتى لم تبق جارة له إلا وقد زرتها وبقيت هذه (الغينيا)، وحدها نائية بجانبها عني - رغم كوني في مرة أو مرتين وضعتها في برنامج زيارتي، وقطعت التذكرة إليها.

والقول مثل ذلك في عدم الوصال أو الوصول إلى (غينيا بيساو) وإنْ كانت الروابط مابيننا وبينها أقل بسبب قلة عدد المسلمين فيها بالنسبة إلى عددهم الكثير في غينيا كوناكري أو بسبب بطش المستعمر البرتغالي الذي كان قد حرم العلاقات ما بينها وبين الأقطار الإسلامية.

أما غينيا الآسيوية فقد كنت قطعت التذكرة إليها مرتين والمراد بذلك الغينية المستقلة تحت اسم (بابوا) الذي يفسرونه أحياناً بالتسمية القديمة يضعونها بين قوسين (نيو غيني) أي غينيا الجديدة.

وإحدى المرتين كان الأمر فيها عجبا فعندما وصلنا إلى استراليا اتصل سفيرنا في كانبرا عاصمة استراليا بالمندوب السامي (البابوي)، وإن شئت أن تفرق بينه وبين المنسوب إلى بابا الفاتيكان قلت: الباباوائي - نسبة إلى (بابوا)- وطلب منه أن يمنحنا سمة دخول إلى بلاده وكنت أنا وصديقي الشيخ محمد بن قعود في جولة عمل للإطلاع على أحوال الجمعيات الإسلامية في استراليا ومنطقة جنوب المحيط الهاديء التي هي جزر المحيط باستثناء إستراليا.

فأجاب المندوب السامي الباباوائي: بأنه لا داعي للحصول على سمة الدخول من هنا ولامن أي مكان آخر، لأنه يمكن للسياح أمثالنا

أن يحـصلوا على السـمة من مطار العـاصـمة (بورت مـورزبي) فلدى المطار أوامر بمنحهم تلك السمة.

وكان خط سيرنا أن نذهب إلى بابوا (نيو غني) من هونيارا عاصمة جزر سليمان فلمـا حملنا أمتعتنا في طائرة صغـيرة تابعة لخطوط جزر سليمـان التي يلفظون اسمهـا رسمياً بلفظ (سلمـون آيلندز) بهذا المعنى ويسمون خطوطها (سول إير) انزلهـا الموظفون منها وأعادوها إلينا مع تذاكرنا التي كـانوا قد نزعوها ذاكرين أن هذه الطائرة الصـغيرة تذهب إلى مدينة أخـرى في غينيـا الجديدة هي (كـيتا) وهــي غير عـاصمتـها (بورت مـورزبى) ومطار تـلك المدينة ليس لديه تـخـويل بمنح سـمـات الدخول السـياحيـة وقالوا أنهم سـوف يعيدونكمـا إلى (جزر سليـمان). وتغرم الشركة كل ما يترتـب على ذلك.

ولم يكن بالإمكان أن نثنـيهم عـما ذكـروه ، ولا بالقـول: إننا سنذهب إلى هناك على مسئوليتنا.

فرجعنا إلى مدينة (هونيارا) عاصمـة جزر سليمان، ولبثنا فيها يوماً وبعض يوم ثم توجهنا إلى مدينة برزبن في شرق استراليا.

وقد ذكرت شيئاً من ذلك في كتاب: «جولة في جزائر جنوب المحيط الهاديء».

وهكذا يتـبين حظي في السـابق مع غـينيـات آسـيـا وإفـريقيـة ومـرة أخرى أقـول: إنه ليس المراد بذلك غانيات آسـيا وإفريقـية، اللهم إلا إذا كان في البلدان بلدان تعتبر من الغانيات، وبلدان تعتبر من الذكور لأننا نشاهد أن بعض البلدان أكثر رجولية من بعض.

ولكن سوء الحظ ليس ضربة لازب و (الحظ يمرض ولا يموت) كما يقول المثل العامي عندنا فقد ابتسم الحظ الآن وتيسرت خطة لزيارة (غينيات) إفريقية وأرجو أن يتيسر مثل ذلك في المستقبل بالنسبة إلى (غينيات آسيا).

ففي هذه الجولة في غرب إفريقية سنزور عدة أقطار تبدأ بالسنغال حيث سأجري اتصالات مع المشايخ والقادة الدينيين فيها حول إقامة مؤتمر أو ندوة لعلماء المسلمين في السنغال وموريتانيا يوضح فيها علماء المسلمين في البلدين ومن ينضم إليهم من علماء الأقطار الإفريقية المجاورة أن ما حدث في السنغال وموريتانيا من الاعتداء على الأبرياء من البلدين ونهب أموال المسلمين وانتهاك أعراض المسلمات هو أمر منكر لا يبيحه الدين الإسلامي بأية صفة.

وذلك إثر الأحداث المؤسفة التي وقعت في شهر رمضان قبل حوالي شهر بعد حادث على الحدود قتل فيه اثنان من السنغاليين، فنشبت الفتنة واعتدى الرعاع وغوغاء الناس على أناس مسالمين من الموريتانيين الذين يقيمون في السنغال ومن السنغاليين الذين يقطنون في موريتانيا.

على أن تمول رابطة العالم الإسلامي التي أتولى فيها وظيفة الأمين العام المساعد ذلك المؤتمر. وأن يقتصر المؤتمر على علماء المسلمين فلا يكون مؤتمراً للسياسيين الذين لم يستطيعوا أو لم يريدوا أن يقفوا تلك الأعمال الشائنة التي لا تليق بأن يفعلها شعب مسلم بأناس من إخوانه المسلمين.

وبعد ذلك سأزور إن شاء الله دولة جزر الرأس الأخضر. وغينيا بيساو، وغينيا كوناكري وغينيا الاستوائية وأنجولا.

وذلك من أجل الإطلاع إطلاعًا مباشرًا على أحوال المسلمين فيها. لمعرفة الأمور المستجدة هناك والتي تؤثر في العمل الإسلامي سواء بالتأييد أو بالتعويق.

ومعي مبالغ مالية نقدية من رابطة العالم الإسلامي سأقدمها لبعض المشروعات الإسلامية التي أرى أنها بحاجة ماسة عاجلة إلى الإعانة المالية.

أما المشروعات الأخرى التي لا يضر بها التأجيل فإنني سوف أُأجل تقديم المساعدة لها إلى ما بعد العودة إلى مكة المكرمة بإذن الله.

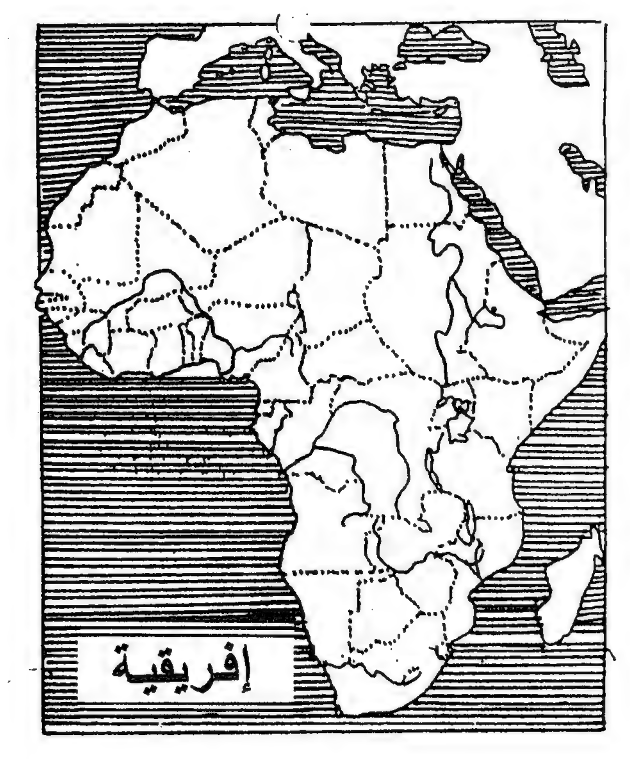
وهذا الكتاب يقص عليك قصة الرحلة إلى (غينيا بيساو) و (غينيا كوناكري) وإيضاح شيء بل أشياء من أحوال المسلمين فيهما وإلى جانب ذلك الحديث عن مشاهدات عامة، وتعليقات عليها.

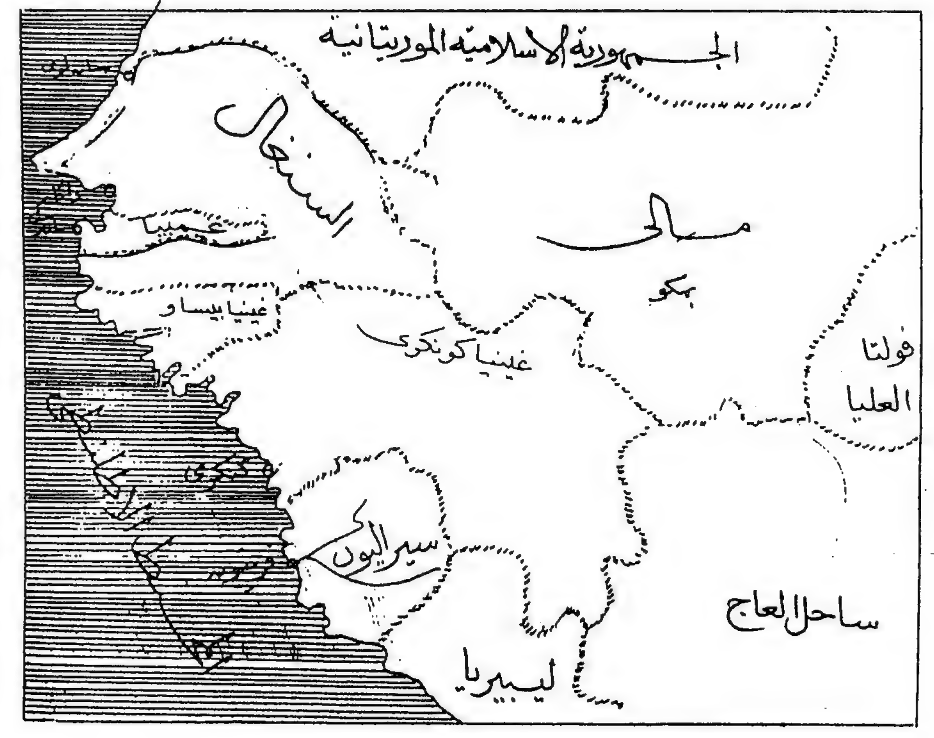
ونرجو أن تجد فيه ما يغريك بقراءته، وما يفيد في الاطلاع على ما تود الإطلاع عليه من ذلك.

وبالله التوفيق

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي


إفريقية


الجمهورية الإسلامية الموريتانية
السنغال
مالي
بمكو
غمبيا
غينيا بيساو
غينيا كونكري
فولتا
العليا
سيراليون
ساحل العاج
ليبيريا

أولا: غينيا بيساو



غينيا بيساو من دول افريقية الغربية يحدها شمالاً السنغال وغرباً المحيط الأطلسي وشرقًا وجنوباً غينيا كوناكري، وكانت تحت سيطرة الإستعمار البرتغالي منذ خمسة قرون.

مساحتها (٣٦١٢٥) كم مربع وتعداد سكانها مليون نسمة، (٥٠٪) مسلمون و (١٠٪) مسيحيون و (٤٠٪) لايزالون على الوثنية، والقبائل الرئيسية فيها هي: فلاته، وماندينكو وسرقلاوية وهم المسلمون، وبلانتا وماجاغو والبابل (قبيلة رئيس الجمهورية) وجولا اكثرهم وثنيون وفيهم المسلمون والمسيحيون.

فسكان غينيا بيساو خاضوا معركة وحرباً دامية ضد البرتغال دامت ١١ عاماً حصلوا أثناء الحرب على المساعدة من الدول الغربية والدول الشرقية والعربية إلا أن معظم الأسلحة كانت تأتيهم من الكتلة الشرقية الشيء الذى جعل الناس يعتقدون انهم شيوعيون متطرفون.

وبعد الاستقلال فتحت مصر وليبيا سفارتيهما في بيساو، وبذلت ليبيا مجهودات كثيرة لتعترف بيساو بالجمهورية الصحراوية، ورغم كل هذا فإن ساسة البلاد عقلاء ويحاولون بجميع الوسائل تقوية علاقاتهم بالدول الإسلامية والعربية وخاصة المملكة ودول الخليج.

وقيل لنا: إن رئيس الجمهورية يقول أنه آسف جداً لكون مسلمي غينيا بيساو مكثوا خمسة قرون معزولين عن العالم وكان المسيحيون اذ ذاك - رغم قلتهم - يذهبون إلى روما، ويتمنى تقوية العلاقات بين بلاده والبلاد الإسلامية، ليمكن تطوير المسلمين تطويراً دينياً وعلمياً يناسبان مكانتهم العددية في سير الأمور.

وقد أنشئت لهذا الغرض في وزارة الخارجية إدارة الشؤون الإسلامية التي تتكون من المشايخ والسياسيين وبعض قواد الجيش.

وقد تقدمت إدارة الشؤون الإسلامية بمذكرة إلى مكتب رابطة العالم الإسلامي في داكار، موضحة فيها كل ما يحتاج إليه المسلمون في غينيا بيساو وأهم ذلك:

١- بناء مسجد جامع في العاصمة.

٢- بناء مدرسة ثانوية إسلامية تدرس فيها اللغة البرتغالية والعربية.

٣- بناء مركز إسلامي في العاصمة يقام على قطعة أرض أهدتها الحكومة للمسلمين إلى جانب أشياء عديدة بلغ عددها (واحداً وعشرين التماساً) وهي تلخص جميع إحتياجات المسلمين في غينيا بيساو.

ومن الناحية السياسية فإن موقع غينيا بيساو في المنطقة مهم جداً ويقوم الأجانب على استغلال فقرها في تنفيذ مايريدونه، وشواطئها من أغنى الشواطيء بثرواتها السمكية وبخاصة من الثروة البحرية الغالية كالاربيان (الروبيان) والسرطان البحري.

وتضم غينيا بيساو أربعين (٤٠) جزيرة عشرون منها مأهولة. وأهمها جزيرتا : بيجوغو BIJAGO وبولاما BOULAMA.

وطقس البلاد حار رطب، وتهطل الأمطار ما بين مايو ونوفمبر.

والسكان فيها موزعون على الجماعات العرقية التالية:

- بالانت BALAN ٣٠٪

- فولا (فلاتة) FOULA ٢٠٪

- ماندينكى MANDIGUE ١٤٪

- بابيل PAPEUL ، مانجاك MANJAK ، مانكانى MAKAGNE ومانجو MANODIO ٣٦٪

إلى جانب هذه الجماعات يعيش في غينيا بيساو زهاء ثلاثة آلاف أوروبي وعدد من التجار الموريتانيين في حين لا يتعدى اللبنانيون بضع عائلات.

وعاصمتها: بيساو BISSAU يقطنها تسعون ألف نسمة وتليها من حيث الأهمية مدينة بافتى BAFATA ١٦١٥٤ نسمة وفاريم FARIM ١٤٤٨٠ نسمة.

اللغات: اللغة الرسمية هي البرتغالية، لغة المستعمر ولا يتقنها إلا عدد قليل من السكان وذلك لعدم عناية البرتغاليين بنشر لغتهم بين أهالي البلاد، وإلى جانب البرتغالية توجد لغات محلية عديدة أهمها الفلاتية والماندينكية وهما منتشرتان في نطاق واسع، كما تنتشر لغة كريول CREOLE في المدن وهي لهجة مشتقة من اللغة البرتغالية ويتخاطب بها أساساً السكان المنحدرون من جزر الرأس الأخضر.

الأديان والمعتقدات: يعيش الإسلام في غينيا بيساو مع المسيحية والروحية وهي عبادة الأرواح من الديانات الإفريقية المحلية. وحسب المصادر الرسمية تشكل الديانة أو الديانات الأخرى نسبة عالية إذ قد

تصل إلى ٣٥٪ بينما تبلغ نسبة المسلمين ٥٠٪ في حين تمثل نسبة المسيحية ١٠٪.

ومهما يكن من أمر - أكانت نسبة المسلمين ٥٠٪ - أو ٤٥٪ كما يقول بعضهم فإن المؤكد هو أن المسيحية لا تمثل إلا نسبة ١٠٪، يضاف إلى ذلك كون الغالبية العظمى من هؤلاء المسيحيين أجانب ينحدر معظمهم من جزر الرأس الأخضر.

الثروة: غينيا بيساو بلد زراعي بالدرجة الأولى، فأجزاء هامة من أراضيها مغطاة بالأعشاب وبنباتات المستنقعات والأشجار التي تنمو في المياه الضحلة على جنبات الخلجان. وتتكثف الغابات في المناطق الداخلية ويكثر النارجيل في عدد من الأقاليم.

ويشتغل بالزراعة زهاء ٨٤٪ من السكان العاملين، وأهم المنتجات الزراعية: الفول السوداني وزيت النارجيل وثمر الجوز والقطن وهي غلات تصدر للخارج.

ولاتستغل حالياً غينيا بيساو معادن حتى البترول الذي يعتقد أنه موجود بمقادير تجارية في حدودها مع السنغال لم يبدأ العمل لإستخراجه نتيجة خلافات حدودية بين الدولتين المتجاورتين.

وبجانب الزراعة تزدهر تربية المواشي: الأبقار والأغنام لوفرة المراعي الخصبة.

في حين تعرف المواصلات تدهوراً كبيراً حيث لا تتجاوز الطرق الصالحة للاستعمال ٣٥٧٠ كلم منها ٤٢٠ كلم معبدة، ومنها طرق لاتحظى بأدنى صيانة.

ورغم أن البلاد تتمتع بمناظر طبيعية خلابة فإن السياحة لم تسجل تطوراً ملحوظاً، ولعل السبب في ذلك يعود إلى قلة الوسائل المهيأة لإستقبال السياح من الفنادق والمطاعم ووسائط النقل داخل البلاد، كما أن الصناعة قليلة الأهمية في الإقتصاد الغيني الذي يرتكز على الزراعة.

وغينيا بيساو تعتبر من الدول الأقل نمواً حيث لا يتجاوز دخل الفرد فيها ٢٢٠ دولاراً أمريكياً.

وتبلغ ديونها الخارجية ٤١ مليون دولار أمريكي.

نبذة تاريخية: يمكن تلخيص أهم الأحداث التاريخية في غينيا بيساو في السطور التالية:

قامت مملكة غابو GABOU في القرون الوسطى تحت قيادة جماعة ماندينكي MANDINGUE المهاجرة من امبراطورية مالى فسيطرت على أجزاء كبيرة من غينيا بيساو وبعض أطراف جنوب السنغال ودامت سيادة غابو على تلك المناطق إلى عام ١٨٧٦م وفي هذه السنة استولى المجاهدون القادمون من غينيا كوناكري على كانسالا KANSALA وكان ذلك نهاية لتلك المملكة.

وكانت في غينيا بيساو إمارات ومشيخات ومؤسسات سياسية عديدة إلا أنه لم تبلغ منها واحدة مبلغ شهرة غابو.

وفي منتصف القرن الخامس عشر الميلادي وصل إلى شواطيء غينيا بيساو البحار البرتغالي نونو تريستاو NUNU TRISTAO وفي عام

١٨٧٩م أصبحت غينيا بيساو مستعمرة برتغالية، وفي سنة ١٩٥١م حُوِّلت إلى مقاطعة من مقاطعات ما وراء البحار البرتغالية.

وعلى أثر التطورات التي حدثت في المستعمرات الغربية في إفريقية وآسيا بعد الحرب العالمية الثانية بدأ الوعي السياسي يدب في نفوس النخبة الغينية فأسس أميكار كبرال عام ١٩٥٦م الحزب الإفريقي لإستقلال غينيا بيساو والرأس الأخضر. وبعد نيل عدد من الأقطار الإفريقية إستقلالها، فجر الحزب المذكور حرب التحرير الوطني بعد أن يئس من تفهم حكومة «سالا زار» البرتغالية الوضع الجديد للمناطق المستعمرة.

وفي ٢٠يناير ١٩٧٣م تم إغتيال كبرال بمدينة كوناكري حيث كانت تتمركز قيادته العسكرية، وفي ذات السنة أعلن الحزب الإفريقي لإستقلال غينيا بيساو والرأس الأخضر استقلال جمهورية غينيا بيساو وجزر الرأس الأخضر وذلك في المناطق التي تم تحريرها، وعين لويس الميدا كبرال رئيسا للكيان الجديد.

وتجدر الإشارة إلى أن أبناء جزر الرأس الأخضر لعبوا دوراً أساسياً في الحركة السياسية الغينية وكانوا نواتها الأولى وكانت بأيديهم القيادات السياسية والإدارية والعسكرية وكانوا مؤهلين لمثل هذه المهام فيكادون يكونون وحدهم المتعلمين بخلاف أبناء غينيا بيساو الذين عمل الإستعمار البرتغالي على حرمانهم من التعليم. فضلا عن أن وطن أبناء (جزر الرأس الأخضر) غير صالح لنشاط عسكري ذي طائل لوضعه الجغرافي الخاص.

وبهدف وضع نهاية للسيطرة المغرضة لأبناء الرأس الأخضر وتقليص نفوذهم الواسع، قام رئيس الوزراء آنذاك، الرائد/ جوان برناندو فييرا بانقلاب عسكري في ١٤ نوفمبر ١٩٨٠م فنصب نفسه رئيساً للجمهورية وشكل مجلساً عسكرياً برئاسته، وعلى أثر هذا الإنقلاب تنفس المسلمون الصعداء لازاحة غطرسة أبناء الرأس الأخضر الذين هم جميعاً مسيحيون متعصبون. وكان لهذا التغيير في رأس الدولة أثر طيب إذ سمح بفتح صفحة جديدة في علاقة الحكومة بالطائفة الإسلامية، أكبر جماعة دينية في البلاد.

حالة التعليم: الأمية فاشية بشكل مذهل، سواء في أوساط الطائفة الإسلامية أو لدى غيرها من منتسبي الديانات الأخرى في هذا البلد حيث ظلت الأمية حجر عثرة أمام كل تقدم اجتماعي.

فهذه الدولة فقيرة جداً لا تستطيع توفير التعليم لثلث أبنائها الذين هم في سن الدراسة، فهي لذلك تترك المجال لمن لديه الرغبة والقدرة لبناء وتسيير وتجهيز مدرسة. وفي هذا المضمار تقوم الهيئات التنصيرية بنشاط ملحوظ لاستقطاب أبناء الأرواحيين. مع أن إمكانات المؤسسات التنصرية ضعيفة نسبياً بالقياس إلى ما يتوفر لدى مثيلاتها في السنغال مثلاً لكن حضورها ملموس مما يبعث على القلق، لأنها تهيىء قادة الغد وصانعي القرارات.

الدعوة في غينيا بيساو: كان من أهم ما تهدف إليه جمعية غينيا بيساو الإسلامية نشر الدعوة الإسلامية بمختلف الوسائل المتوفرة في ربوع البلاد: فبنت مدارس وأسهمت في تنظيم شؤون المساجد حسب إمكاناتها المادية والبشرية، وكانت قد نظمت خلال رمضان ١٤٠٧هـ برامج إذاعية ناجحة باللهجات المحلية، ولقيت صدى طيباً لكن قامت الهيئات التنصرية باحتجاج شديد أثر إذاعة حديث ديني بلهجة كريول CREOLE وهي مزيج من اللغة البرتغالية واللهجات الإفريقية، وطالبت بتخصيص برنامج لها بالإذاعة على غرار ما منح للمسلمين.

أمام هذا المطلب المسيحي الذي قد يتطور إلى مطالب أخرى، أمرت السلطات الرسمية بإيقاف برنامج الجمعية الإسلامية باللهجة الكريولية، وقد أدخل نجاح البرامج الدينية الرعب في قلوب الهيئات التنصرية وخشيت إن استمرت أن تفضي إلى خروج أتباع الكنيسة من المسيحية والإلتحاق بدين الحق.

على أن قضية الوعظ في الإذاعة الغينية بالكريول ما هي إلا صورة مصغرة لما تعانيه الدعوة الإسلامية في غينيا بيساو. إذ يبذل أعداء الإسلام في هذا البلد جهدهم لعرقلة المد الإسلامي الذي أصبح اليوم حقيقة واضحة لايستطيع أحد الوقوف أمامها. وسيظل الإسلام منتصراً يتهافت عليه الأرواحيون بإذن الله.

ومما يؤسف له حقاً أنه على رغم إمكانية تعميم الدين الإسلامي واللغة العربية بسرعة فائقة في غينيا بيساو ظلت وما تزال بعيدة عن إهتمامات الجهات الإسلامية المسئولة.

فقد سبقت الإشارة إلى أن الإسلام يستقطب ٥٠٪ تقريباً من مجموع سكان غينيا في الوقت الذى لا تفوق نسبة النصارى ١٠٪، يضاف إلى ذلك أن البعثات التنصرية البرتغالية على نشاطها الملموس لم تفلح في إغراء الأرواحيين وإستمالتهم إلى النصرانية.

ويبدو أن تعصب الإدارة الاستعمارية الكاثوليكية البرتغالية وكرهها المعروف للإسلام لم تدفعها إلى فرض المسيحية قسراً على سكان المستعمرة وذلك إيغالاً منها في إهانتها للأهالي الأصليين باعتبارهم متخلفين لحد عدم إستعدادهم لتلقي مباديء المسيحية.

لهذا السبب لم تتجاوز نسبة المسيحيين العشرة في المائة من مجموع سكان غينيا بيساو.

وفي ذات الوقت لم يسمح البرتغاليون للجماعة الإسلامية أن تمارس عقيدتها بكل أبعادها. ولا كان عهد الإستقلال عهد إنطلاق للمسلمين إذ ظلوا مضطهدين إلى قيام الرئيس الحالي فييرا بإنقلابه ضد أبناء الرأس الأخضر.

ولقد بلغ من غطرسة البرتغاليين المستعمرين أن حرّموا على المسلمين تسجيل أبنائهم في المدارس البرتغالية ولم يسمح إلا لأقلية قليلة بالإنتساب إلى تلك المدارس. والتلميذ المسلم المقبول فيها يتحتم أن يحمل اسماً نصرانياً. فهكذا يوجد حتى يومنا هذا أشخاص مسلمون تسبق اسمائهم أسماء مسيحية.

وهنا لابد من الإشارة إلى بعض أسباب غياب المسلمين عن مراكز القيادة واتخاذ القرارات السياسية والإقتصادية في غينيا بيساو.

الأمر الأول: استنكاف المسلمين عن التعلم في المدارس البرتغالية التي كانوا يسمونها المدارس التنصرية، ولم تكن في البلاد مدارس أهلية إسلامية منظمة تعوض من حيث التكوين الثقافي والعلمي عن المدارس التنصرية ونتيجة لذلك ظلت الجماعة الإسلامية متخلفة جاهلة ليس فقط بأمور الحياة الدنيوية، بل بشؤون دينها. وعندما نالت غينيا الإستقلال وجدت الجماعة الاسلامية نفسها بعيدة عن المراكز القيادية لا لكونها أقلية لا قيمة لها عددياً وإنما لأنها لاتستطيع أن تقدم رجالاً مؤهلين علمياً وثقافياً لإحتلال المناصب العليا بل حتى الدنيا في جهازي الحكومة والإدارة.

الأمر الثاني: هو أن المسلمين في غينيا بيساو يفتقرون إلى زعامة إسلامية قوية كما هو الشأن مثلاً في السنغال حيث يقوم الشيوخ الكبار بدور جماعة ضغط على الحكومة فلا تتخذ قرارات إدارية أو سياسية هامة دون استشارتهم. فمثل هذه القيادات الإسلامية المنظمة تنظيماً دقيقًا لا وجود لها بغينيا بيساو.

على أن هناك أماكن محترمة مثل بلدة «بيجين» التي بها أقدم مسجد بغينيا وبلدة جابي كوندا DIABY COUNDA التي فتح فيها الشيخ محمد سواري مدرسة عربية زاهرة على غرار مجالس العلم التقليدية وبلدة كيبو KEBOU التي أسس فيها الشيخ هارون الرشيد جاللو مدرسة ومسجداً جامعاً.

ويحظى شيوخ هذه المراكز بإحترام كبير من قبل السلطات الرسمية لكنهم لا يتمتعون بسلطة ولا يستشارون في أي أمر.

الأمر الثالث: هو غياب أدنى تنظيم أو تنسيق للدعوة الإسلامية في غينيا، إذ القائمون على شؤون الإسلام هم في مستوى ثقافي متدنٍ لا يسمح لهم بالقيام بمهام الدعوة على الوجه الأكمل، فلا يوجد أشخاص ذوو خبرة حقيقية في الدعوة من بين أعضاء الجمعية الإسلامية الغينية يمكن الإعتماد عليها في مجال الدعوة الإسلامية، بل هناك أصحاب نوايا حسنة يعملون ليل نهار من أجل النهوض بمستوى المسلمين في مختلف المجالات لكنهم يجدون أنفسهم مشلولين لإنعدام أي أسس علمية ينطلقون منها.

مستقبل الدعوة في غينيا بيساو: إذا كانت المدارس العربية التابعة لجمعية غينيا بيساو الإسلامية تعاني مختلف المشكلات من نقص الأطر الضرورية لتسييرها وأدوات وأجهزة مادية لإنتظام الدراسة فيها ومن ضعف مستوى الدعاة، فإن هذا البلد فيه القابلية التامة لتقبل الدعوة وتعميمها بسرعة فائقة. ولا توجد عقبات ذات بال يستعصى تذليها لو كانت هناك إدارة إسلامية هادفة وقوية في العمل الإسلامي المنظم في غينيا

وأمام تقدم الإسلام في غينيا بيساو ثلاثة تيارات مضادة يرتكز كل واحد منها على أساس هش ضعيف وهي:

أولاً:- التيار الماركسي: الذي تسرب إلى البلاد إبان حرب التحرير الوطني، في خلال تلك الحرب نجحت الدعاية

الماركسية في اغراء بعض قادة الحركة الوطنية الغينية فارتموا في أحضانها، لكن ظل الفكر الالحادي محصوراً في نطاق محدود دون أن يكون له صدى في الأوساط الشعبية التي لاتدري شيئاً عن المباديء الالحادية.

ثانياً- التنصير: وتتخبط الهيئات التنصيرية الآن في مشكلات معقدة لم تفلح في إيجاد حل لها ويتمثل ذلك في تعارض عادات وتقاليد أهل البلاد مع مباديء النصرانية. فكثيراً ما يرفض المنخرطون في الكاثوليكية عدم طلاق زوجاتهم أو لا يقبلون الاكتفاء بزوجة واحدة طالما أن تعدد الزوجات مصدر اقتصادي أساسي في المجتمعات الغينية.

ثالثاً- الديانات الإفريقية: وقد غدت الروحية وهي الديانات الإفريقية الوثنية في موقف دفاعي، فأعضاؤها في تناقص مستمر لفائدة الإسلام.

والجدير بالإشارة أن نجاح الدعوة في غينيا بيساو أو بالأحرى التغلب على المعوقات الثلاثة السابقة لايستلزم انفاق مبالغ مالية باهظة قدر ما يحتاج إلى تنظيم وتنسيق محكمين من لدن من يرغبون في الإسهام في الدعوة في تلك البلاد. مع إنفاق الأموال الضرورية.

وقد عانى المسلمون أيضاً كثيراً من المتاعب والمضايقات خلال السنوات الثمان الأولى من الاستقلال أثناء حكم نظام لويس كابرال الذي كان ينظر إلى المسلمين بعين الريبة والكراهية والبغض. وكانوا خلال هذه الفترة هدفاً للتعقب وتتبع نشاطاتهم وقمعها.

وقد حالت هذه الأسباب السالفة الذكر في عهد الإستعمار البرتغالي الصليبي وفي فترة حكم نظام لويس كابرال القمعي دون قيام المسلمين بواجباتهم تماماً وكما ينبغي ولم يتمكنوا من أن يقوموا بالدور الذي كان ينتظر منهم القيام به. إلا أن الأمور تغيرت تماماً وأخذت الأوضاع تتحسن يوماً بعد يوم منذ قيام حركة (١٤ نوفمبر) التصحيحية المجيدة عام (١٩٨٠م)، التي قام بها القائد المناضل الرئيس جوان بيرنار دوفييرا (نينو) الذي كان يُبدي دائماً تعاطفه مع المسلمين وإحترامه البالغ لدينهم. وأصبحت حرية العمل الديني مضمونة لجميع المواطنين بلا إستثناء. وتم إنشاء جمعية غينيا بيساو الإسلامية التي اعترفت بها الحكومة الغينية رسمياً في ١٩٨٦/١٠/٢٥م كجمعية إسلامية محلية تتمتع بشخصية إعتبارية مستقلة وتعمل بكل ما في وسعها وفي حدود إمكاناتها من أجل الإسلام والمسلمين في هذه البلاد.

وهي الممثل الوحيد والمعترف به رسمياً للمسلمين في جمهورية غينيا بيساو، كما أنها هي المسئولة أيضاً عن كل ما يتعلق بالشؤون الإسلامية وأمور المسلمين في هذا البلد.

ويمتاز المسلمون الغينيون بتحمسهم وحبهم للإسلام، ولكنهم يعانون من آثار الإستعمار البرتغالي الصليبي السيئة من الجهل والفقر الشديدين، الأمر الذي جعلهم هدفاً للبعثات والإرساليات التبشيرية (التنصيرية) الصليبية العاملة على الساحة الغينية.

وهم يحتاجون إلى دعم مادي ومعنوي، كما أنهم يحتاجون أيضاً إلى التعليم والإرشاد الدينيين، وذلك لتمكينهم من الإعراض عن جميع

المعونات الخداعية الكنسية والتصدي لكل المحاولات والنشاطات المشبوهة الهادفة إلى تحويلهم عن دين الله - لاقدر الله. والله المستعان.

الطريق إلى غينيا بيساو



يوم الخميس ٢٧/١٠/١٤٠٩هـ - ١/٦/١٩٨٩م

من جدة إلى داكار:

كنت في بيتي في الطائف فانحدرت بسيارتي إلى جدة في الرابعة قبل الفجر ولم يكن معي بالسيارة إلا سائقي ووصلت إلى مطار جدة بعد السادسة بقليل.

ثم ركبت مع طائرة الخطوط السعودية العملاقة من طراز بوينج ٧٤٧ وقد قامت من جدة في الساعة الثامنة متأخرة نصف ساعة عن الموعد المحدد لقيامها في الأصل وهو السابعة والنصف وأعلن مكبر الصوت فيها أنها سوف تهبط في الدار البيضاء ثم تطير إلى (داكار) عاصمة السنغال وأن الطيران من جدة إلى الدار البيضاء سيكون مباشراً وسيستغرق ست ساعات كاملة.

استمرت هذه الطائرة العملاقة تطير لاهثة الساعة تلو الساعة، وكل ذلك فوق أراضٍ من أراضي الوطن العربي الواسعة حتى أكملت الساعات الست وهذا لا نظير له في داخل اية دولة في العالم إلا في الإتحاد السوفيتي حيث تبلغ خطوط الطيران الطويلة داخله هذه المدة أو تزيد قليلاً.

وهذا الكلام يفترض أن العالم العربي دولة واحدة وليس الأمر كذلك، ولكنه وحدة واحدة في أمور كثيرة منها اللغة والدين والتاريخ المشترك والثقافة الأصيلة وفوق ذلك الآمال والآلام.

ومع أن وحدة العالم العربي السياسية بعيدة فإن وحدة العمل بين أقطاره قريبة إذا أريد لها ذلك، وما يريد لها ذلك إلا الشعوب العربية التي تمنعها أهواؤها وشهواتها وأحيانًا إهمالها وعدم التفاتها إلى عكس ذلك.

وتذكرت أسلافنا الكرام الذين قطعوا هذه المسافات الشاسعة على ظهور الإبل يحملون معهم سيوفهم ويجنبون خيولهم التي يقاتلون عليها في سبيل الله.

وبعد عصر الفتح والحروب كان المسلمون يقطعون هذه المفاوز والصحارى على وسائل متفرقة للركوب. وأهمها القوافل يريدون في ذلك الوصول إلى بيت الله الحرام وزيارة خير الأنام نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

وأهل العلم منهم يريدون مع ذلك الاستزادة من العلم عن طريق لقاء المشايخ الأعلام، ورواية الأحاديث والآثار بالمسانيد العوالي التي يرويها التوالي عن الأوائل من الشيوخ والرواة.

وكان أكثرهم إذا أراد الحج لا يذهب في عامه الذي يقع الحج في آخره لأنه يعرف أنه لا يستطيع إدراك الحج والوصول إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة قبل انقضاء العام فكان يتوجه إلى الحج في أثناء العام الذي يسبق حجه. فمثلا يبدأ الواحد منهم رحلته في رجب أو جمادى لكي يدرك الحج في العام القادم الذي يلي ذلك العام.

وذلك أنهم كانوا يلبثون مضطرين الأيام والأسابيع في المحطات الكثيرة في الأقاليم التي يمرون بها لأنه لم تكن توجد قوافل متجهة مباشرة من تلك البلدان البعيدة إلى الديار الحجازية وإنما كانوا ينشئون السفر تلو السفر في كل بلد أو ناحية أو حتى محطة من محطات الطريق يصلون إليها.

إضافة إلى المخاوف والمعوقات في الطريق التي منها اللصوص والمحتالون ومنها المنتهبون وقطاع الطرق الذين لايخافون الله في المسافرين حتى ولو كانوا قاصدين بيت الله الحرام.

أمس واليوم:

واليوم ونحن على متن الطائرة التي هي أشبه بالقصر الطائر من قصور الملوك والخلفاءالمترفين فيه ما شئت من طعام وشراب بارد وحار وقد كيفوه حتى غدا شتاءه وصيفه ربيعاً على كل حال، ونوَّروه حتى صار ليله كالنهار، وأنت في كرسي مريح مثلما يكون كرسي الملك المترف القديم، بل أكثر منه راحة فيه، لأنه يتحرك إذا حركته وينحني ظهره عن ظهرك إذا أردت.

وقد جلبوا لك الصحائف والمجلات المليئة بما شئت قراءته من أخبار أو حكايات أو حتى طرائف ونكات.

وإذا أردت النوم فإنهم أعطوك ماتغطي به عينيك دون أنفك فتصبح منه وأنت بين القوم كأنما أنت في ليل بهيم.

ومع ذلك فإنك أو غيرك من بني قومك لاتزالون تشكون من الإرهاق والتعب الذي يدوم - هكذا تقولون - ست ساعات كاملة

وكأنك لم تذكر ما ذكرتك به من حال أسلافك الذين أوجدوا لك ما تفتخر به اليوم ويفتخر به أبناؤك في الغد من هذا الملك العريض رغم الصعاب والمشاق وإختراق الآفاق وقراع الخصوم المدججين بالسلاح والصبر على زمهرير الشتاء وهجير الصيف.

في مطار الدار البيضاء:

هبطت الطائرة في مطار محمد الخامس في الدار البيضاء بعد طيران زاد على ست ساعات بدقائق وقدموا لنا خلاله وجبة إفطار في أول الرحلة ثم وجبة غداء في آخرها.

وأعلنوا من مكبر الصوت في الطائرة أننا سنبقى في مطار (كازا) ساعة واحدة !

وهكذا قال المضيف في مكبر الطائرة كأنما لم يعرف أن اسمها بالعربية (الدار البيضاء) وأن إخواننا من عامة أهل المغرب يسمونها هكذا الدار البيضاء أو كأنما ضاقت اللغة العربية عن أن تتسع لاسم لها عربي لو لم يكن لها هذا الاسم العربي (الدار البيضاء) الذي هو عربي وإن كان أصله أعجمياً هو (كازا بلانكا) لهذا المعنى.

ووددت في هذه المرة كما تمنيت في غيرها أن يعلن إخواننا المغاربة على العالم كله أن اسم المدينة هو (الدار البيضاء) مثلما أن (دار السلام) هي عاصمة جمهورية تنزانيا وهذا هو اسمها الوحيد. يكتب بالحروف الافرنجية (دار السلام) ولا يترجم مثلاً إلى (بيس هاوس) أو (بيس هوم) أو نحوها. فلماذا لا يطلب المغاربة من العالم ذلك ويبدأون

بأنفسهم فلا يسمونها (كازا بلانكا) وإذا رأوا أن اسم (الدار البيضاء) طويل فإنه يمكنهم أن يسموها - مثلاً - (البيضاء) فقط. فهذه الكلمة كافية لاسمها وافية وهي ذات دلالة صحيحة واقعة إذْ لون المباني في هذه المدينة العربية العظيمة هو اللون الأبيض.

كانوا طلبوا منا نحن الركاب العابرين أن نبقى في الطائرة ولا نغادرها رغم كونهم حددوا مدة الوقوف بساعة وغالباً ما تكون أطول من ذلك.

وكان الجو مقبولاً داخل الطائرة رغم كونهم أطفأوا محركاتها وكانوا أعلنوا أن درجة الحرارة في الدار البيضاء هي ٢٣ درجة مئوية في وقت القائلة هذا من شهر يونيو الذي يكون فيه أطول الأيام في السنة.

إلى داكار

أقلعت الطائرة السعودية من مطار الدار البيضاء مستأنفة طيرانها إلى داكار في الساعة الرابعة إلا عشر دقائق بتوقيت بلادنا وهي الواحدة إلا عشر دقائق بتوقيت المملكة المغربية. وأعلن مكبر الصوت فيها أن الطيران إلى (داكار) سيستغرق ثلاث ساعات ونصفا.

وقد نزل أكثر الركاب ولم يبق في مقاعد الطائرة إلا العُشر ١٠٪ أو أقل من ذلك قليلاً.

وعندما سمعت المضيف يعلن عن مدة الطيران من الدار البيضاء إلى داكار وأنها ثلاث ساعات ونصف تذكرت ما سجله الأقدمون عن

هذه الرحلـه الطويلة من المغـرب إلى (غـانة) في إفـريقـيـة و(غـانة) التاريخية التي ذكروها ليست هي بجمهورية (غانا) المعروفة في الوقت الحاضـر التي عاصمـتها (اكرا) فـتلك تقع بعيـداً إلى الجنوب عن موقع (غانة) التاريخية.

وإنما «غانة» التاريخية واقعة على ضفتي نهر السنغال التي يسميه أسـلافنا العـرب (نيل غانة) كـمـا قال ابن سـعـيد المغـربي: ونيل غـانة شقيق نيل السوادن وهو يصب في البحر المحيط الأعظم.

يريد بنيل السـوادن هنا (نهر النيـجر) وليس نهـر النيل الذي هو نيل مصر، وذكـر هو أن (نيل غانة) يصب في البحـر المحيط الأعظم الذي يعنى المحـيط الأطلسي يدل على مـا ذكرناه من كـون نهر السنغـال هو (نيل غانة) في كتبنا القديمة.

ومـعلوم أن (نهـر السنغال) يـؤلف الحد الفـاصل مـا بين جـمهـورية موريتـانيا الإسلامـية وجمهـورية السنغال فهـو الحد الشمـالي للسنغال والحد الجنوبي لموريتانيا.

وكـانت القوافل تقطع المسـافـة ما بين الحـواضر في جنوب المغـرب و(غانه) في أربعين يوماً من الأيام العجاف المليئة بالمتاعب والمصاعب وموت الإبل والخطر من فـقد المال أو إضاعة الطريق ومن ثم الـضياع في الصحراء.

وقـد سـجل ابن بطوطة رحـمـه اللـه رحلتـه إلى (بلاد مـالي) وبلاد السودان فـذكر من بعـد المسافـة وصعوبة الطـريق ما جعلنا نـعجب له

نحن الذين صرنا نقطع هذه المسافة في ثلاث ساعات ونصف وهذه المسافة الطويلة أيضاً من الطيران كلها أي حتى حدود السنغال الشمالية هي في أرض عربية خالصة للعروبة مثلما أن المسافة الأطول من جدة على البحر الأحمر إلى الدار البيضاء على المحيط الأطلسي هي في أ رض عربية خالصة للعروبة.

وبعد حدود السنغال تأتي بلاد السنغال وبعدها جهة الجنوب بلاد غينيا وأوطان أخرى مجاورة وكلها بلاد إسلامية ولله الحمد.

في مطار داكار:

لن أطيل القول في وصف ما في السنغال لأنني سبق أن ذكرت ذلك في كتاب «صلة الحديث عن إفريقية» وإنما أذكر هنا قصة المرور منها إلى (غينيا بيساو).

أهم ما استرعى انتباهي وطائرتنا تحلق فوق مطار داكار ذلك الرمل الأحمر الذي يشبه الرمال الحمر في أرض القصيم في وسط الجزيرة العربية. وترصعه أشجار صحراوية أو شبه صحراوية خضر مثلما ترصع أشجار الأثل رملنا العربي الأحمر.

ورأينا أحياء من ضواحي داكار ليس فيها عود أخضر، وهي من الأحياء التي يسمونها الشعبية ويريدون بها الأحياء الفقيرة.

والمظهر العام لمنطقة داكار هو عدم الخصب والخضرة، بالنسبة إلى ما نعرفه عن إفريقية الخضراء من كثرة الأشجار والمياه ومن الأعشاب التي تجلل وجه الأرض فيها.

وكان الدخول إلى مطار داكار قبل السابعة بقليل والشمس قد أوشكت على المغيب أو هي قد غابت عن أرض المطار وإن كان النور لا يزال غامراً.

ودرجة الحرارة في المطار ٢٨ درجة مئوية وهي درجة حرارة معتدلة، لاسيما مع عدم وجود الرطوبة في الجو هنا، لأن جو داكار هو جو جاف في أكثر فصول السنة.

كان في الإستقبال في المطار الأستاذ إبراهيم الزبن القائم بالأعمال في السفارة السعودية الذي أعتذر عن عدم حضور السفير بأنه غائب عن داكار. ومدير مكتب الرابطة الاقليمي لغرب افريقية السفير عبد الوهاب الدكوري الذي سيرافقني في رحلتي إلى غينيا بيساو وغينيا كوناكري وبعض موظفي السفارة والمكتب.

وفي جلسة في قاعة كبار الزوار في المطار جرى بحث مستفيض عن الأحداث المؤلمة التي وقعت ما بين السنغال وموريتانيا ونجم عنها قتل عدد من الموريتانيين في السنغال ومن السنغاليين في موريتانيا إضافة إلى نزوح الآلاف من كل بلد منهما إلى البلد الآخر.

في مدينة داكار:

اسمها فيما قبل لي من اسم التمر الهندي باللغة الولوفية. قالوا: أول من سماها البرتغاليون وذلك إن أوائلهم عندما وصلوا إلى ساحل (داكار) سألوا رجلاً عند شجرة من شجر التمر الهندي عن اسم هذا المكان. فقال: داكار يظن أنهم يسألونه عن اسم الشجرة. وهذه القصة

تكررت أو تكرر مثيلها في أسماء أماكن أخرى مثل اسم (السنغال) نفسها واسم غينيا.

انطلقنا من المطار ناحية المدينة مع الطريق المعتاد بالنسبة إلي وهو طريق شبه صحراوي تتجمع في جوانب من جوانبه رمال حمر.

وسكنت في فندق نوفتيل الواقع على شاطيء المحيط وهو فندق جيد إلا أنه غالٍ بالنسبة إلى مستواه، إذْ حسبوا الغرفة لي بتسعين دولاراً بعد التخفيض للجواز السياسي.

وقد عقدت جلسة في الفندق مع الأخ السفير الدكوري وبحثت معه خطة العمل الذي سوف نقوم به في داكار، وإن كان ذلك لن يكون كله قبل السفر إلى (غينيا بيساو) لأن تذكرني فيها التردد إلى داكار والسفر منها إلى بلدان إفريقية عديدة لأنها مركز مواصلات في المنطقة ويصعب الانتقال المباشر من أحد البلدان المجاورة لها إلى بلد آخر مجاور غير داكار.

وفي المساء تعشيت مع الأخ عبدالوهاب الدكوري في مطعم فاخر على شاطيء المحيط يملكه أحد اللبنانيين ويعتبر من أفخر المناطق وأغلاها.

وأغلى ما فيه السرطان البحري الذي يسمى بالانجليزية «لوبستر» وفي لغات أخرى له عدة أسماء مثل (الإستاكوزا).

وأجمل مافيه أنه يأتي إليك بالسرطان حياً يتحرك لا يستطيع تحريكه إلا بملقط لئلا يعضه. فيريك إياه ثم يأتي به بعد ذلك ناضجاً لذيذاً، وافر اللحم، طيب الطعم. واسم المطعم (لاقون).

يوم الجمعة ٢٨/١٠/١٤٠٩هـ

في مكتب الرابطة

كنت طلبت من صديقي الأستاذ الدكوري قبل أن أصل إلى داكار ألا يخبر أحداً بقدومي إلا من أريد الإجتماع بهم وأخبرته بأسمائهم، وذلك لكون مدة بقائي في داكار قصيرة وموقعي في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة يجعل الإخوة أرباب المعاهد والمدارس الإسلامية والقائمين على المساجد والجمعيات الإسلامية يحرصون على رؤيتي ويطلبون مني أن أزور مؤسساتهم طلباً لمعرفة ما يريدون أن تعرفه الرابطة عنها من أجل أن تبذل لهم المساعدة المالية من أجلها.

وقد ذهبت مبكراً في هذا الصباح إلى مكتب رابطة العالم الإسلامي في داكار الذي يعتبر مكتب اقليمياً مسئولاً عن منطقة غرب إفريقية كلها.

ويقع في مبنى جيد كان مقراً للسفارة السعودية فانتقلت إلى غيره أوسع منه، وأهدته إلى الرابطة.

وقد إجتمعت في المكتب بعدد من الإخوة الأصدقاء منهم الأستاذ (إبراهيم محمود جوب) الأمين العام لرابطة علماء المغرب والسنغال للتعاون الإسلامي وهو أديب وشاعر باللغة العربية.

ثم عقدنا جلسة عمل مع الأخ الشيخ عبدالعزيز سي (الابن) رئيس اتحاد الجمعيات الإسلامية والأخ الأستاذ (شريف حيدر بابلي) السكرتير الدائم لإتحاد الجمعيات الإسلامية وبحثنا موضوع إقامة مؤتمر علماء الإسلام لبحث النزاع بين السنغال وموريتانيا ورأينا أن يكون المؤتمر في بلد مجاور محايد مثل (مالي) أو غينيا.

وفي السفارة السعودية:

وبعد ذلك توجهت للسفارة السعودية حيث اجتمعنا بالأستاذ عبدالله الزبن القائم بالأعمال لأن صديقي السفير عبدالله بن عبدالرحمن الطبيشي كان غائباً عن السنغال وقد انتهى هذا اليوم في الحصول على سمات دخول لعدة دول منها (غينيا بيساو).

البحيرة الوردية:

بقيت في الوقت بقية صالحة للإطلاع على جهات من ضواحي مدينة داكار أو من ريفها الذي لم أره من قبل فاخترنا أن يكون الذهاب اليوم إلى بحيرة من الماء الملح تسمى (لك روج) أي البحيرة الوردية وتبعد عن مدينة (داكار) ٣٧ كيلو متراً.

وذلك برفقة صديقي الأستاذ عبدالوهاب الدكوري، وسلكت الخط الأسفلتي الرئيسي الذي يغادر (داكار) إلى جهة الشمال وكنت سلكته قبل ذلك بالسيارة من (داكار) إلى نواكشوط عاصمة موريتانيا عام ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م وذكرت ذلك في كتاب:- «إطلالة على موريتانيا».

كان داخل مدينة (داكار)مزدحماً بالسيارات ذات المظهر الجيد وهو نفسه جيد الأبنية، نظيف الشوارع، والمراد بذلك منه الشوارع الرئيسية التي تحيط بها الحوانيت وتسلكها السيارات والشعب الذي يكثر فيه هو شعب السنغال الذي يصح بل يجب علينا إذا أردنا العودة إلى التسمية العربية القديمة أن نسميه الشعب السوداني الغربي ولا يخشى من أن يظن أن ذلك من باب الحاقه بالسودان الشرقي العربي الذي عاصمته الخرطوم، لأن تسمية السودان الغربي الذي كان يمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى تشاد شرقاً ومن حدود الصحراء الكبرى شمالاً إلى قرب خط الاستواء جنوباً هي تسمية قديمة سابقة لتسمية السودان الشرقي بهذا الاسم بعدة قرون.

بل إن اسلافنا من المؤرخين العرب لم يكونوا يذكرون إلا (سودانا) واحداً هو هذا السودان الغربي.

أما اسم (السنغال) فإنه محدث خلع على البلاد عند مجيء المستكشفين الأوروبيين الذين مهدوا الطريق للاستعمار والاسترقاق وهم البرتغاليون، لايزيد عمره فيما يعرف على ٤٠٠ سنة. وهذا الشعب السوداني الغربي شعب ودود محب للغريب أو على الأقل مسالم له.

خرجنا من مدينة (داكار) إلى ريف نصف صحراوي - إن صح التعبير - وبذلك يرى المرء الغبار يجلل الأشجار الكبيرة وبخاصة أشجار العمبة (المانجو).

وعلى الطريق أشجار من أشجار البساتين. ولكن لم نر فيه حقولاً خضرا مع أن هذه السنة تعتبر سنة مطيرة، ولاأثر للجدب الذي يسمى الآن عند عوام الكتاب بالجفاف.

قرية كير كان:

مررنا بقرية اسمها (كيركان) ومعنى (كان) دار وكير: بنت بلغة الولوف ولم نجد فيها مطعماً نتغدى فيه إلا أنهم دلونا على امرأة تطبخ الدجاج وتبيعه بمعنى أنه ليس عندها مطعم وإنما هي تفعل ذلك في بيتها وليس عندها لحم.

وصاحبته هذه تكرونية - والتكروني: صفة مدح في غرب إفريقية لأنه يدل على الذكاء والفطنة.

ثم وصلنا إلى مكان يسمى (كامب دانييل) أي معسكر دانييل فيه مطعم لبناني وفندق.

وسرنا حتى وصلنا البحيرة وهي ذات لون وردي ومنه أخذ اسمها: البحيرة الوردية، وذلك من لون التربة التي تقع فيها.

وهي بحيرة مغلقة وماؤها شديد الملوحة حتى حسبته كماء البحر الميت المشهور بكثافة مياهه وكثرة الأملاح فيه.

وجدنا فيها قطعا من الملح الصخري في لون الورد وكذلك من أكوام الملح ذات اللون الأحمر الخفيف. ومن الغريب أننا رأينا مجرى ماء

عذب يجري إليها ولكنه لا يؤثر فيها لأنه قليل وليس جريانه مستمراً.



المؤلف على ضفة البحيرة الملحة في السنغال

وذكر لنا أهل المنطقة أن ملحها غالي الثمن بالنسبة إلى غيره من الملح وقد زاد منظرها جمالاً رمال حمر بجانبها.

ومن الطريف أن هذه المنطقة المشهورة بشدة سواد أهلها قد رأيت طيور البحيرة فيها بيضا ناصعة البياض بل إنني رأيت الغراب الذي كان أسلافنا يضربون المثل بسواده ظهره أبيض هنا أما بقية ريشه فإنه أسود وهذا خلاف ما نعرفه عندنا من سواد الغراب كله.

قرية نياقا:

شفينا النفس من هذه البحيرة المالحة العجيبة التي هي إلى كثافة

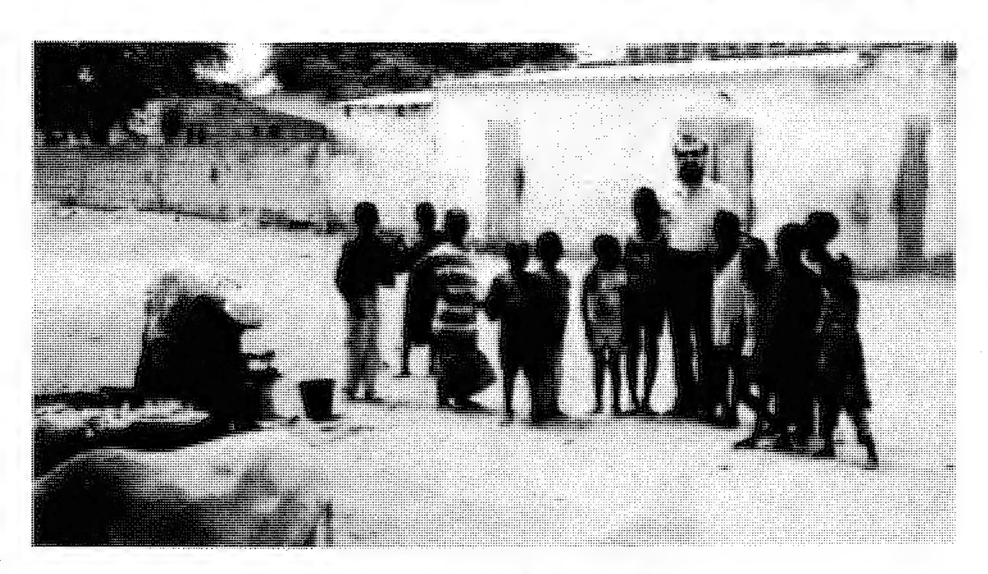
ملوحتها غير واسعة ووقفنا بقربها على قرية اسمها (نياقا) أكثر ما يسترعي الانتباه وجود أشجار ضخمة من أشجار الظل فيها قد استظل بها الأهالي جماعات ووحدانا كبارًا وصغارًا وكلهم جالس على التراب دون فراش، وهذا ما كنا نفعله في بلادنا قبيل اكتشاف النفط من كوننا لانجلس على فرش خارج البيوت.

وأهلها خليط من (التكارنة) أي من قبائل مختلفة منهم.

واسترعى انتباهي فيها وجود أشجار الزهور الجميلة من تلك التي نسميها نحن (جهنمية). وقد لاحظت كثرة الأطفال فيها كثرة ملفتة للنظر فسألت أحد الإخوة من أهلها عن السبب في ذلك فقال كثرة الأطفال من كثرة الزواج !

وبعض منازل هذا الريف مبني بلبن الأسمنت وبعضها مقام على هيئة أكواخ مسنمة.

والطريق كله مزفلت زفلتة لابأس بها.



في إحدى القرى في السنغال

أما ملابس الناس فإنها الواسعة، بل الفضفاضة التي هي في الأصل لباس أهل الصحراء، لأنه يتقي بها من شدة الحر والبرد وسفي الرمال في الصحراء وتسمح بتخلل الهواء ووصوله إلى الجسم. وهي شبيهة بالملابس الموريتانية الشعبية مع بعض الاختلاف القليل.

وهي على الرجال والنساء وإن كانت ملابس النساء غير ملابس الرجال، إلا ما كان من أمر بعض الشبان فإنهم يلبسون اللباس العالمي المسمي بالإفرنجي ولكنه المخفف الذي يقتصر على السروال الغليظ (البنطلون) والقميص.



جانب من مدينة داكار كما يبدو من نافذة فندق نوفوتيل من الطابق السادس

وكان الغداء في داكار حيث قصدنا مطعماً لبنانياً اسمه (على بابا) جميع العاملين فيه من الإفريقيين إلا امرأة لبنانية واحدة.

جمعية عباد الرحمن:

علم بوجودي بعض الإخوة العاملين في الجمعيات الإسلامية فحضروا إلينا دون مواعيد مسبقة ومنهم بعض العاملين في (جمعية عباد الرحمن) مثل سيدي لو، ومحمد بامبا انجاي وبحثوا أمور الجمعية كما بحث غيرهم ما يتعلق بجمعياتهم وبخاصة حاجتها إلى المساعدة من رابطة العالم الإسلامي.

وبعضهم أراد مجرد التعارف واطلاعي على مالديهم ليكون تمهيداً لما ذكر.

واستمر ذلك من الساعة الخامسة حتى الثامنة وتخللته صلاة المغرب.

حفلة حركة الفلاح:

وكان العشاء وفق موعد مسبق على مأدبة تقيمها حركة الفلاح للثقافة وهي جماعة سلفية بل هي الجمعية السلفية الكبيرة الوحيدة الموجودة في السنغال، حيث أن معظم الجمعيات تابعة لجماعات من أهل الطرق الصوفية، ويرأسها الشيخ خليل مارنقا.

أسست هذه الحركة في عام ١٩٧٣م وقال لي الشيخ خليل مارنقا: في ذلك الوقت لم نكن نجد مسجداً واحداً لنا والآن صار لنا خمسون مسجداً في انحاء السنغال.

وقد ساعدتها المملكة في مشروعاتها الثقافية أكثر من مرة.

وكـان موعـد المأدبة الثـامنة والنصف من هذا المسـاء ومكانهـا فندق (لاقون) الشهير بجودة طعامه وإرتفاع سعره.

وحضـرها الشيخ عـبدالوهاب الدكـوري وعدد من الإخوة الـعاملين في الجمعية.

وقد كان الحديث معهم خلال المأدبة عن شؤون الثقافة الإسلامية في هذه البلاد.

إلى غينيا بيساو



يوم السبت ٢٩/١٠/١٤٠٩هـ - ٣/٦/١٩٨٩م

الخروج إلى مطار داكار:

خرجنا من فندق (نوفيتيل داكار) الواقع على شاطيء المحيط الأطلسي للسفر إلى غينيا بيساو فوجدنا سفير جمهورية غينيا بيساو في إنتظارنا في غرفة كبار الزوار في المطار وكان القائم بالأعمال في سفارتنا في داكار قد أخبرني أن سفير غينيا بيساو في داكار سوف يخرج لمقابلتنا وتوديعنا في المطار.

ولم نكن رأيناه من قبل وإنما عرف بوجودنا من طلب سمة الدخول من سفارته.

وقد سلم علينا السفير واسمه (باتيستا جوزيه) وكان حضر منذ عهد قريب من المملكة حيث كان عضواً في وفد غينيا بيساو إلى مؤتمر وزراء الخارجية لدول منظمة المؤتمر الإسلامي الذي عقد في الرياض وقد فوجيء عندما عرف أنني أعرف قليلاً من اللغة البرتغالية تعلمته في البرازيل، وقال: إن هذا ينفع في غينيا بيساو. وهو مسيحي إلا أن إخواننا ومنهم الشيخ عبدالوهاب الدكوري مدير مكتب الرابطة في داكار اجمعوا على أنه يساعد المسلمين وأن عواطفه معهم، وكذلك الإخوة المسلمون الذين قابلناهم في بيساو بعد ذلك. بل أن بعضهم ذكروا أنهم يطمعون في إسلامه.



في صالون الشرف في مطار داكار على يميني سفير غينيا بيساو في السنغال وعلي يساري الشيخ الدكوري

وقد أخبرني أنه أرسل تلكساً في مساء أمس إلى بلاده يخبرهم بقدومي قائلاً: إنه لايليق أن يزور بلادنا رجل في مثل مكانتك ولا تعرف الحكومة عن قدومه شيئاً. وإن كان ذلك جاء متأخراً. وقال لقد طلبت منهم أن يضعوا برنامجاً مناسباً لزيارتك ثم قال: إن بلادنا (غينيا بيساو) قطر صغير ولكنه صديق، وأنتم ساعدتم بلادنا فلكم الشكر.

وتعارف في غرفة كبار الزوار:

غرفة كبار الزوار في مطار داكار جيدة وواسعة بالنسبة لأمثال هذه البلاد وفيها حمامات نظيفة.

وأهم من ذلك أن الموظف المسئول فيها يقوم بكل ما يحتاج إليه من يأتي إليها مثلنا فنحن كانت معنا سيارة مكتب الرابطة وهي سيارة ذات لوحات (دبلوماسية) فدخلنا داخل المطار من جهة ساحة وقوف الطائرات حيث وقفنا أمام المكتب وأودعنا الأمتعة واعطيناه التذكرة والجواز فانجزها بسرعة.

وهنا قابلنا عدداً من الشخصيات السنغالية ومن بينهم الأستاذ مصطفى انياس وزير خارجية السنغال السابق كذلك حضر ثلاثة من الإخوة من السفارة السعودية لتوديعنا، جزاهم الله خيراً.

مغادرة داكار:

وجدنا السفير الغيني البيساوي قد أمر المضيفين في الطائرة أن يحجزوا لنا مقعدين واسعين وهما اللذان فيهما باب الخروج للطواريء، وماعداهما في الصفوف ضيق لايكاد المرء يجد لرجليه فيه موقعاً.

فالطائرة مروحية صغيرة ذات محركين، فيها اثنان وأربعون مقعداً. وهي تابعة لشركة خطوط غينيا بيساو الجوية واسمها (اير بيساو).

وهي تشبه طائرة الداكوتا إلا أنني لم أر عليها الاسم غير HS . وكان المشكل أن نوافذها غير نقية من أجل أن تقي عين الراكب من أن تبهرها أو تجهرها الشمس الاستوائية القوية، وقد قصر العمال في تنظيفها فصار النظر منها مشوشاً وأماكننا أيضاً يحول جزء من جناح الطائرة بينها وبين الأرض.

وقد امتلأت بالركاب وأكثرهم من السود أهل المنطقة على عادة الطائرات في غرب افريقية حيث يستعمل قسم من أهل البلاد الطائرات في تنقلاتهم من أجل سوء الطرق فيها، ومن كونهم رجال مال وأعمال تجارية.

على خلاف الأفارقة في شرق إفريقية ووسطها وجنوبها حيث ركوب الطائرات هناك في العادة يكاد يكون مقتصراً على الأوروبيين ومن في لونهم أو يكونون - على الأقل - هم الأغلبية بين الركاب وأهل البلاد أقلية فيهم.

أما الأقلية في هذه الطائرة الصغيرة فإنهم من ذوي المظهر الأوروبي وربما كانوا من البرتغاليين وعددهم خمسة أو ستة.

وهناك امرأتان يظهر أنهما من جزر الرأس الأخضر التي كانت متحدة مع غينيا بيساو ويفصل بينهما البحر الأخضر الآن ويفصل بينهما أيضاً لون خلاسي - وهو المختلط مابين البيض والسود - في جلود أكثر السكان من الرأس الأخضر.

وكانوا متحدين في دولة واحدة مع غينيا بيساو في أول العهد بالاستقلال جمعت بينهم عداوة المستعمرين البرتغاليين، إلا أنهم انفصلوا بعد ذلك، وقيل في سبب انفصالهم: إنه تكبر أهل الرأس الأخضر على أهل غينيا بيساو لكونهم أكثر مهارة منهم في ادارة الأعمال، وأكثرتعلماً بل هم أرقى منهم في أكثر الأحوال.

هذا هو التعليل الذي أعلنوه أما الذي يبطنونه جميعاً سواء منهم من يدعون انهم مغبونون ومن يقال: أنهم غابنون فإنه الحاجز اللوني

بلاشك فأهل جزر الرأس الأخضر منهم مولدون في هذه المنطقة من إفريقية وهم من أصل أوروبي - تضافرت الشمس الإفريقية مع مقاربة الإفريقيات على نثر شيء من السمرة المقاربة للسواد على ألوانهم وفيهم من هم بالفعل من الملونين الذين ولدوا ما بين اللبن البرتغالي والقهوة الإفريقية فأصبحوا في لون (الكاباشينو) الإيطالية وهي القهوة باللبن.

وأما أهل غينيا بيساو فإنهم الإخوة الإفريقيون الإستوائيون - إن صح التعبير - والإستوائيون في إفريقية هم أشد أهل إفريقية سواداً واوضح شاهد على ذلك في أهالي جنوب السودان وأهالي جنوب السنغال.

وإذا كنت أيها القاريء الكريم - تريد الإطلاع على أحوال أهل الرأس الأخضر - فإنه يمكنك الحصول على ماتريد من قراءة كتابنا المعنون: «من انقولا إلى جزر الرأس الأخضر». ففيه الحديث عن زيارة لتلك البلاد.

قامت الطائرة في الحادية عشرة والربع، وكان من المقرر أن تقوم في الحادية عشرة إلا أن تأخير ربع ساعة ونحوها لاتعده شركات الطيران تأخيراً يستحق أن تعتذر عنه إلى الركاب.

وعندما نهضت صارت تطير فوق أحياء مدينة داكار الممتدة في جو نصف صحراوي إلا أن قلب المدينة التجاري هو حديث لايفترق عن مثيلاته من مدن البلدان العربية والهند عدا البلدان الغنية بالموارد كمدن المملكة والكويت والإمارات فإنها لاتدانى في هذا المجال.

ثم دخلت الطائرة في جواء البحر المحيط الأعظم كما كان يسميه أسلافنا العرب وإن كنا تغاضينا عن تسميته تلك وأخذنا من الأوروبيين اسمه (المحيط الأطلسي).

وهذا له مثيل بل أمثال ربما لايتسع هذا المجال لذكرها كما لم تتسع هذه الطائرة (البيساوية الغينية) للتبسط والارتياح، وإن كنت ذكرت بعضها في كتاب: (جولة في جزائر البحر الزنجي) المطبوع وكتب أخرى مخطوطة مثل كتاب «زيارة للمسلمين في الاتحاد السوفيتي».

وعندما اضمحلت الشخوص من صفحة المحيط ولم يعد ثمة إلا السماء والماء رجع البصر إلى داخل الطائرة فألفى المضيفين وهما فتى وفتاة من أهل (غينيا بيساو) ذوى الأجسام الرشيقة والأجزاء البارزة في الجسم بروز الشفاه التي قد يكون غلبها الفضول فتقدمت سائر الوجه.

ولم يعلنوا في الرحلة شيئًا عن رقمها واتجاهها ومدة الطيران كما تفعل الشركات الأخرى.

وإنما سارعوا بتقديم الضيافة بعد أن أطفئت إشارة ربط الحزام وهي أقراص من (البسكويت) أصرت المضيفة على أن أزيد عن الواحد منها وكأس من شراب الفاكهة حلو لاأدري ماهو نوعه.

وانفرجت شفة المضيفة عن أسنان لؤلؤية في ابتسامة عفوية ذكرت عندها الطائرات التي لا تقدم إلا مثل هذه الضيافة الخفيفة أو الطفيفة في الطائرات الصغيرة كالهند والصين ولكن المضيفين فيها لا

يشفعونها حتى بابتسامة قد تعوض الراكب عن بعض ما ينقصه من طعام.

أغرب حمام:

دخلت حمام الطائرة فرأيت فيه شيئًا غريبًا وهو أنه في باب الخروج من الطائرة الذي تنقل منه الأمتعة في العادة وهو مقابل لباب الخروج المعتاد. إذ لهذه الطائرة بابان متقابلان أحدهما هذا الذي في داخل الحمام.

فتصورت أحد الركاب وقد أغلق باب الحمام على نفسه أو لم يغلقه ثم فتح باب الطائرة لخلل في عقله أو لغرض في نفسه كأن يلقي منه شيئًا مهربًا. فماذا يحدث له وللطائرة؟

هذا وقد استمر الطيران جهة الغرب حيث موقع بيساو من داكار. وخفت جلبة المحركات بعد أن كانت مزعجة عند الإقلاع فصارت رتيبة ذكرتني بصوت رحا قديمة كانت في بيتنا إذا استمر أهلي في الطحن بها صارت لرتابة صوتها تجلب النعاس.

وإن كان قرائي الكرام من أهل بلدنا لايعرفون الرحا الآن ولا يتصورون حتى صوتها. لأننا هجرناها فيما هجرنا من وسائل العيش بعد التحول الاقتصادي العظيم الذي حدث في بلادنا.

في مطار بيساو:

بعد ساعة من الطيران الرتيب بدأت الطائرة في التدني ولم نتبين بعد معالم الأرض تحتنا إلا أنها ذات أشجار غير ملتفة سبقتها شطآن وخلجان بحرية متعددة.

ثم رأينا نهراً كبيراً أظنه نهر غامبيا الذي رأيت نهايته في المحيط عند (بانجول) عاصمة غامبيا وذكرت ذلك في كتاب: « شهر في غرب إفريقية».

وأرجو أن أري منبعه أواصله في (فوتا جالو) في غينيا كونكري بعد ذلك إن شاء الله.

ورأيت مستنقعات عديدة حول ذلك النهر وكان المنظر الغالب على الأرض هنا – من الطائرة – هو منظر الأشجار الكثيرة المتناثرة والحقول غير الشاملة.

والطرق الترابية الحمر لكون التربة حمراء كالإستوائية.

ثم هبطت الطائرة في الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة. بعد طيران استمر ساعة وربعاً.

وجدنا في الاستقبال في ساحة المطار الشيخ خليل بلدي رئيس قسم الشرق الأوسط وآسيا في وزارة خارجية غينيا بيساو وهو يعرف العربية جيداً واعتذر بأن البرقية التي أرسلها السفير يخبرهم بقدومنا وصلت في السادسة مساء أمس بعد إنتهاء العمل الرسمي.

ومعه أخ عربي ذكر أن اسمه (نديم يوسف بوعيد) وأنه لبناني الأصل ومولود في هذه البلاد وأنه كان عمل في المملكة العربية السعودية فترة مقيماً في مدينة جدة. ويعمل الآن في مشروع سعودي لصيد الأسماك تقوم به شركة (صالح كامل) بالإتفاق مع حكومة غينيا بيساو.

كما وجدنا أيضاً السفير (مامادو تانكرا) وهو غيني من كوناكري كان سفيراً لبلاده غينيا في داكار والقاهرة و (في غينيا بيساو) ويعمل الآن ممثلاً لشركة (لقلون) بمعنى النسر بالفرنسية التي يرأسها وجيه مالي – نسبة لبلاد مالي ولا بأس بنسبته أيضاً إلى المال لأنه يملك أموالاً طائلة واسمه (شيخنا كانا ياتي) ويقيم في جنيف.

ومهمة الأخ (مامادو تانكرا) هي العمل على تصدير بعض ماتنتجه هذه البلاد لحساب هذه الشركة من نقل (الكاجو) وزيت النخيل والقطن والفول السوداني والجلود وهو على جلالة قدره موظف في هذه الشركة.

وقد خرج لإستقبالنا لأن صاحب هذه الشركة الأخ (شيخنا) صديق حميم لرفيقي الشيخ الدكوري. وكان معه سيارة نفعتنا إلى جانب السيارة التي وضعتها الحكومة معنا بعد ذلك.

وكان الأخ اللبناني قدخرج به الشيخ خليل لأنه لم يكن لديهم في وزارة الخارجية سيارة وسيارة الأخ خليل متعطلة وهذا اللبناني لديه سيارة.

في مدينة بيساو:

ركبت مع الأخ اللبناني في سيارته ومعي الأخ خليل بلدي ممثل وزارة الخارجية لإستقبالنا وركب الشيخ الدكوري مع صديقه (مامادو تانكرا).

وانطلقت السيارة في طريق واسع وسط منطقة كان خصبها ظاهراً من نضارة أشجارها وإزدهار خضرتها ومن كوننا قدمنا من داكار التي هي نصف صحراوية كما سبق.

وكان أظهر مايراه القادم من الأشجار أشجاراً عملاقة من العمبة (المانجو) وهي محملة بثمارها التي اثقلت أغصانها وأخبرونا أن هذا هو موسم إدراك العمبة وأنها أنواع منوعة، والملفت للنظر هو ضخامة الأشجار ونضارتها.

وقد أخبرونا فيما أخبرونا به أن كثيراً من هذه الأشجار التي في المدينة وكذلك في بعض الأماكن في الخارج هي مباحة للآخذين أو الآكلين لكثرة الثمار ورخص أسعارها إلا ما كان من الأنواع الجيدة الموجودة في البساتين الخاصة.

وإلى جانب أشجار العمبة توجد أشجار أخرى كثيراً ما تجاورها في المناطق المطيرة الاستوائية والقريبة من الإستوائية وهي نخيل الزيت ألا أنها هنا نحيلة القوام، دقيقة السوق - جمع ساق - وليست على عادتها غليظة القوام ضخمة الجذوع كما تكون عليه في أكثر المناطق وربما كان ذلك لبعدها النسبي عن خط الإستواء.

ووصلنا الفندق الذي قالوا إنه أحسن فندق في مدينة بيساو واسمه «٢٤ سبتمبر» على اسم اليوم الذي استقلت فيه غينيا بيساو مؤلفة دولة واحدة مع جزر الرأس الأخضر عام ١٩٦٨م ثم كتبوا اسم الفندق الذي عليه هكذا بالأرقام هوتيل ٢٤ سبتمبر ولكن ينطقون به بالبرتغالية هوتيل فينتى كواترو أي فندق الرابع والعشرين.

وأجرة الغرفة فيه خمسون دولاراً لايقبلونها إلا بالعملة الصعبة أي الأجنبية القابلة للتحويل، ولا يقبلونها بنقد بلادهم الخاص الذي هو (البيزو) أو (البيزة) كما كنا نعرفها في بلادنا.

وكلمة البيزة أصلها العربي المعروف (بزيتا) المحرف عن كلمة (بسيطة) التي تدل على نقد ضيئل القيمة. وهي تدل في أذهاننا على النقد ضيئل القيمة أيضاً.

فقد كنا نعرف «البيزة» في بلادنا إلى ما قبل نصف قرن من الزمان حيث كانت تستعمل في الخليج وهي نقد نحاسي صغير وبقيت كلمة البيزات في الخليج تعني النقود. ما عدا سلطنة عمان فإن كلمة (بيزة) لنوع من النقود لاتزال مستعملة.

إلا أن الأهم عندي أنا الذي زرت أقطار أمريكا الجنوبية كلها أن كلمة (بيزة) أو بيزو اقترنت في ذهني بالقيمة المتدنية بل المنهارة في النقد فكانت (البيزة) في الأرجنتين عندما زرتها في عام ١٤٠٢هـ تساوي أحد عشر ألفًا بدولار واحد بعد أن كان الدولار لايزيد على بيزتين هناك.

وقد صعدت قيمة الدولار بعد أن غادرت الأرجنتين حتى وصلت إلى سبعين ألف (بيزو) بالدولار الواحد.

والأدهى من ذلك ما رأيته وعايشته في بوليفيا اذ صرفت الدولار الواحد بمائتين وعشرين ألف بيزة وأذكر أن ما يعادل عشرة دولارات أمريكية من بيزات بوليفيا لم تستطع جيوبي أن تحمله على تعدد الجيوب عندي لأن (لاباز) عاصمة بوليفيا باردة مما يجعل ساكنها يلبس بدلة كاملة.

وقد حدثني ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في لاباز (جورج سلامة) أن الذي يريد أن يذهب إلى السوق ليشتري ما يحتاج إليه بيته

لمدة أسبوع عليه أن يضع نقوده في كيس كبير يحتاج إلى أن يحمله معه حامل. وإذا عاد إلى البيت حمل ذلك الحامل ما أشتراه.

وقد شط بنا القول في(بيزو) غينيا بيساو التي ورثت التسمية عن البرتغال عن أن نذكر أن قيمته الرسمية هي ألف وتسعمائة وخمسون بيزة للدولار الأمريكي الواحد أوبالصرف الحر الذي يسمونه السوق السوداء ونحن لانسميه بهذا الاسم في إفريقية احتراماً لمشاعر الإفريقيين هي ألفان وخمسمائة للدولار الواحد.



في حديقة الفندق في بيساو

انزلونا في غرف من عدة أجنحة ممتازة في الفندق الذي تؤلف غرفه جميعها، بل جميع أبنيته طابقاً واحداً متباعدة الأركان وسط

أحضان حديقة غناء فارعة الأشجار، وارفة الظلال أكثر ما فيها من الأشجار ظهوراً شجرة العمبة (المانجو) المحملة بالثمار، وأشجار الكاجو الذي هو فاكهة يظهر منها ما يشبه القمع على هيئة نواة التمر معكوفة قليلاً أو على شكل كلية صغيرة وهي نقل لذيذ مشهور. والنقل - إن لم تكن تعرفه - هو ما نسميه في بلادنا بالمكسرات ويأكله الأوربيون قبل الشراب مثلما يأكلون الفستق واللوز الذين هما من النقول أيضاً.

وإلى جانب ذلك أشجار من نخيل الزيت، وشجيرات من الموز غير النضر.

ولكن العناية والترميم في الفندق غير موجودة فمثلاً الحمام يحتاج إلى إصلاح، والخزائن أبوابها لاتنفرج بسهولة. والمكتب متكسر. ولا صابون في الحمام. ولما طالبنا باحضار الصابون أبطأوا ثم عادوا يقولون: إنه لايوجد عندهم صابون وإنما سيبحثون عن شيء باق منه في الغرف غير المسكونة.

ثم تركونا يومين دون صابون ونفعني الله بصابونة وجدتها في حقيبتي وأحضروا لنا بعد ذلك الصابونة المطلوبة.

وليس في الغرفة آلة للهاتف وإنما يأتي موظف الإستقبال يعدو فيأخذ النزيل من غرفته البعيدة. وكل الغرف بعيدة عن مكتب الإستقبال ليتكلم في المكتب ثم يعود إلى غرفته.

مائدة غينية:

أول ما أحسسنا به في الفرق مابين داكار وبيساو عاصمة غينيا بيساو هذه عدا العمارة والتقدم الموجود في داكار هو الاختلاف في

الجو فداكار جوها جاف لطيف شبه صحراوي وهذه هواءها حار رطب ثقيل وهي بلاد خضراء خصبة ذات أشجار ملتفة.

وبعد أن اطمأن بنا المقام في الفندق ذهبنا إلى بيت الأخ الوجيه السفير السابق لغينيا (مامادو تانكرا) في حي يسمى كوفير دي باس وهو حي راق من أحياء بيساو والرقيّ هنا نسبي ذلك أن شوارعه مزفلته ولكنها غير مرصفة وتماشي البيوت فيها من الجانبين قنوات المياه المستعملة المكشوفة مارة من تحت البيوت التي تقذف فيها المياه.

وهذه عادة موجودة في كثير من البلدان الإستوائية وشبه الإستوائية المطيرة. لأن المطر ينزل، فيحمل ما في تلك المجاري إلى خارج المدينة.

على أنه إذا كان الأهالي ليسوا على الوعي المطلوب فألقوا فيها بأشياء صلبة أو غير مائعة وتخلف المطر فإن هذه المياه المستعملة تركد فيها وتولد فيها قذراً على قذر.

وأما هذه التي نراها الآن فإننا لانرى فيها ركوداً للمياه ولا نشم منها قذراً.

استقبلنا الأخ (مامادو تانكرا) عند باب بيته مرحباً.

وبيته كسائر البيوت في هذا الحي على هيئة دارة (فيللا) ذات مقدمة غير متسعة في أكثرها شجر كبير ولكن ليس فيها حدائق وتقع غرفة الجلوس بعد الباب الداخلي مباشرة.

وجدنا في غرفة الجلوس سيدة مالية - أي من مالي - وعليها ملابس تقليدية فضفاضة وهي في غاية الاحتشام في نظرها وسلامها

على الرجال الأجانب وظننتها زوجته إلا أنني فوجئت به يقدمها للشيخ الدكوري بأنها (آسَيةُ) هكذا ينطقون بالاسم بكسر السين وفتح الياءثم هاء في آخره مضمومة وأنها رئيسة رابطة نساء مالي وغينيا بيساو.

وتكلمت بحياء أو باستحياء كلمة أو كلمتين ولو كانت من نساء بني قومنا الذين خرجت عنهم من بيتها، أو اشتغلت بالأعمال العامة لكان لسانها طلقاً عند الرجال الأجانب ووجهها (واسعًا) كما تقول العامة في بلادنا يريدون بذلك التعبير عن قلة الحياء.

وجدنا المائدة منصوبة وعليها الطعام مغطى بقماش نظيف رقيق وذلك اتقاء لذبابات مرحة لم يكن جمعها كثيراً، ولكن كان وقعها شديداً على الوجوه والأعين.

ثم قدم شراب الفاكهة المثلج وقال وهو يشير إلى المائدة: باسم الله.

وكشف الغطاء عن المائدة فإذا بالطعام إفريقي الأصل والفرع، والطبق الرئيسي فيه من الفونيو الذي ذكر ابن بطوطة رحمه الله أنه رآه في بلاد السودان ويريد بذلك مملكة مالي الواسعةفي وقته ويسميه (الفوني) ووصفه بقوله: أنه كحب الخردل يصنع منه الكسكسو. وذكر أن أكل الأرز في بلاد السودان يضر بالبيضان، قال: و(الفوني) خير منه.

وهو في الصفحة يشبه الأرز في مظهره ولونه لولا أن حبوبه دقيقة جداً فهي أصغر من حبات السمسم. ومعها اناء كبير آخر مليء بالأرز المتلاصق الذي يشبه الأرز المصري وقدران كبيران كلاهما مليء

بالمرق الدسم ونوعان من اللحم أحدهما من لحم الضأن والآخر من لحم البقر. ومع ذلك سلطة خضراء كالتي عندنا مؤلفة من الفلفل الأخضر غير الحار والطماطم والخس.

أما الخبز فإنه المعروف في أوروبا الذي يكون طويلاً ناشفًا. وكانت الفاكهة من العمبة اللذيذة التي تشبه الباكستانية أفخر أنواع العمبة (المانجو) ومعها الباباي الجيد والموز وكل هذا ما تنتجه هذه البلاد بوفرة.

ومع أن الأخت (آسية) ضيفة أو هي ضيف إن كان يستوى في الضيف المذكر والمؤنث على أهل بيته فإنها لم تشاركنا المائدة، وإنما أكلت وحدها على مائدة صغيرة بعيدة عنا ولم تتحدث إلينا.

والسفير (تانكرا) كما قلت لك غيني أصيل وإذا اطلق الغيني هنا كان المراد به من يكون من أهل غينيا كوناكري وإن لم يكن من أهل كوناكري نفسها.

وكان الحديث على المائدة طليًا، كما كان طعامها شهيًا لأنه تناول شئونًا شتى من شئون هذه البلاد وبخاصة ما يتعلق منها بإخواننا المسلمين.

جولة في مدينة بيساو:

بدأت الجولة في الرابعة عصرًا وكان الرفقاء الشيخ الدكوري، وإبراهيم سوري جاللو والسائق (لامران جن) أي رمضان جن وكلاهما فلاني - بالنون - وهما من الذين نسميهم في بلادنا (فلاته) -

بالتاء - والفلاتيون معروفون بالذكاء يتميزون بذلك على من حولهم من الأفارقة، وبخاصة من هم قريبون من خط الإستواء، إلا أن الروح الفردية عندهم تغلب على الروح الاجتماعية فهم لا ينتظمون في جمعيات أو جماعات فاعلة، وربما كان سبب ذلك طبيعتهم الأولى في كونهم من الرعاة.

وقد بدأ التعريف لأماكن مجاورة للفندق إذ يقع في حي كان الحي الجديد في المدينة في عهد الإستعمار اسمه تشيجي.

وفيه الآن وزارة التخطيط والأبحاث ووزارة الثروة الحيوانية.



شارع في القسم الجيد من بيساو

شوارعه واسعة وأشجاره باسقة يصح أن يقال فيها بأن ظلالها واسعة أيضاً، وقد رأيت بعضها قد جلس في ظلها طوائف من الناس وفيهم نساء يبعن بضائع صغيرة كحبات المانقو أو أكياس صغيرة من (الكاجو) أو أصابع معدودة من الموز وبعضهم نام تحتها غير مبال بضجة الناس فهو منها في ظلال وارف تلعب الأرواح فيه،فالهواء كان متحركاً، وهو إذا تحرك بدد الشعور بثقل الرطوبة وإن كان الجو حاراً.

ثم تركنا هذا الحي الذي كان فاخراً وكونه كذلك هو أمر نسبي فانطلقنا مع شوارع داخليةبعضها غير مزفلت وبعضها مزفلت زفلتة رديئة وليس فيها أرصفة وإنما ظهورها مرتفعة وجوانبها منخفضة يتدرج إنخفاضها حتى يصل إلى مجرى المياه المستعملة الخارجة من البيوت التي تحيط بالشارع من جانبيه.

وليس هذا بالذي يؤاخذ عليه القوم في ضوء إمكاناتهم المالية والإدارية المحدودة، وإنما الذي رأيته وأخذته عليهم في نفسي هو أن أكثر هذه الشوارع قد بقيت فيها قمامتها، وبعضها لم تحرك قمامته من أمكنتها مع أنها لاتحتاج إلا إلى عمال من القوم الذين رأينا كثيراً منهم في مظهر العاطلين عن العمل.

وربما كان عذرهم في عدم وجود سيارات كافية لنقل القمامة.

ومع أن هذه الساعة هي ساعة اشتداد الحر في الرابعة والنصف فالناس صغارهم وكبارهم موجودون في الشوارع وتحت ظلال الأشجار.

وهم الشعب الإفريقي الأصيل لولا أن المرء يلحظ بعض التكارنة، الذين نعرفهم في بلادنا، وهم أهل السودان الغربي.

والتكارنة أو التكاررة المعروفون في إفريقية الفرنسية بالتكرولي التي أصلها التكروني هم طائفة من أهل السودان الغربي القديم الذي كانت له أمجاد تاريخية وكانت سلطنة مالي التي قامت فيه سلطنة واسعة، بل كانت من أوسع الممالك في تلك العصور فقد ذكر مؤرخونا العرب ومنهم الرحالة العظيم محمد بن بطوطة أن سلطنة مالي تمتد لمسافة أربعة أشهر في شهرين وذكروا حدودها من تخوم الصحراء الإفريقية شمالاً إلى بلاد الهمج الذين يأكلون لحوم بني آدم في الجنوب.

ويحدها من جهة الغرب البحر المحيط الأعظم الذي نعرفه الآن بالمحيط الأطلسي ويحدها من الشرق بلاد الكانم والبرنو أي شرق نيجيريا الشمالية وتشاد.

وأما القوم الذين ذكر أسلافنا العرب أنهم الهمج الذين يأكلون لحوم بني آدم فإنهم الذين يسكنون تحت خط الاستواء وقربه وكانوا في ذلك الوقت همجاً لايدينون بدين سماوي معروف ولا حتى ديانة وثنية واحدة، وإنما لهم ديانات وثنية متعددة لايجمع بينها إلا كونها وثنية.



شارع في بيساو

وإذا رأى المرء أهل السودان الغربي من التكرور وهم الذين يسمون الآن الفلاني - بالنون ومن الماندنغ الذين نسبوا إلى مالي نفسها وهي نسبة محرفة في ظاهر اللفظ لأن لديهم في نطق (مالي) عدة ألفاظ منها (ماندي) وكذلك من السرا قولي مثلا فإنه يميزهم عن الإفريقيين الأصلاء أهل خط الاستواء وذلك ظاهر من بسطة في أجسامهم، ومن خصائص وتقاسيم في وجوههم ثم في الذكاء أو إن شئت قلت مستوى المهارات لديهم.

وعلى ذلك فإن لفظ تكارنة التي تعني السودان في بلادنا هي لفظة تكريم في هذه البلاد وأمثالها لأنها تعني قوماً أذكياء تجاراً ورعاة بقر عظاماً.

ولايزال أكثر الأفارقة ينتمون إلى قبائل معروفة، بل إن بعضهم يذكر في اسمه قبيلته مثل درامي وتوري وكمارا ألخ فلا يذكر إلا اسمه ثم اسم قبيلته ويكون هذا كافياً لتعريف به مثلما يكتفي المسلمون في الهند بتعريف طالب العلم بالنسبة إلى المدرسة التي تخرج منها مثل الندوي والرحماني والقاسمي يذكر ذلك مع اسمه المجرد الواحد فيكفي في التعريف به.

هذا وقد رأينا الناس هنا تخففوا من اللباس بسبب شدة الحر فالشبان والأولاد عليهم التبان وهو السروال القصير وحده. وبعض الأطفال الصغار يتخفف من لباسه كله وحتى البنيات الصغيرات يتركن النصف الأعلى عارياً. أما المدركات منهن فإنهن يسترنه إلا فيما ندر من الحالات.

وبيوت الأحياء التي مررنا بها وهي التي يملكها سائر الناس هي من الطين المطلي بالجص أو من لبن الأسمنت قد وضعوا فوقها سقوفا من

القش الضافي الجوانب بحيث تزيد مساحة السقف على البيت من أجل أن يبعد عن حيطانه مياه الأمطار وتكون مسنمة السقوف من أجل إنزلاق الأمطار عنها يمنة وبسرة.

وفي بعض المحلات الراقية تكون السقوف من آجر أحمر أو أسود وقد تكون من الصفيح.

وعندما رأيت كثرة الأشجار الوارفة الظلال العظيمة السوق الباسقة الأعناق غبطتهم على ذلك، لكنني لاحظت أن أوراقها بقيت مكومة أو مبعثرة تحتها فصارت توسخ الشوارع ولا أدري لما لا يبعدونها عنها.

شارع سانتا لويزا:

ومعنى سانتا قديسة بالبرتغالية وهو شارع وسط حي بيوته مبنية بالأسمنت المسلح أو بلبن الأسمنت إلا أن الشارع ليس جيداً، وليس فيه أرصفة ولم تمنعه نسبته إلى من اسموها القديسة لويزا في أن تكون قنوات المجاري مكشوفة على جانبيه مثل أكثر الشوارع في هذه المدينة.

وسلكنا شارعاً تلاقت فروع أشجار العمبة (المانقو) الضخمة في سمائه فتعانقت لتقي من يسلكونه أشعة الشمس المحرقة.

والواقع أن مدينة (بيساو) كلها وبخاصة وسطها تكاد تكون حديقة غناء واسعة، ولولا ضعف حكومتها وعدم تقدير أهلها لمثل هذه الأمور لصارت كذلك بالفعل .

في القسم الفاخر من المدينة.

ويتوسطه ميدان جيد تحيط به أبنية حديثة من الأسمنت المسلح على طراز حديث.

وعلى هذا الميدان مقر الحزب الحاكم الذي يسمونه «ب آ دي» وهي إختصار لجملة حزب الاستقلال لبيساو والرأس الأخضر.

وهذا كان اسمه قبل انفصال جزر الرأس الأخضر عن (غينيا بيساو).

وعلى هذا الميدان أيضاً مقر رئاسة الجمهورية، ولذلك ذكر لنا المرافقون أنه يمنع فيه التصوير منعاً باتاً، وعللوا ذلك بأن سببه الخوف من أن تستغل الصورة المأخوذة في إلقاء قنبلة أو في هجوم مسلح على مقر الرئاسة.



مع الشيخ الدكوري في شارع حديث في بيساو

وقد اختلست صورة له لن أحمضها إلا في بلادي ولذلك لا يكون في الأمر خطر عليهم.

شارع اميل كابرال:

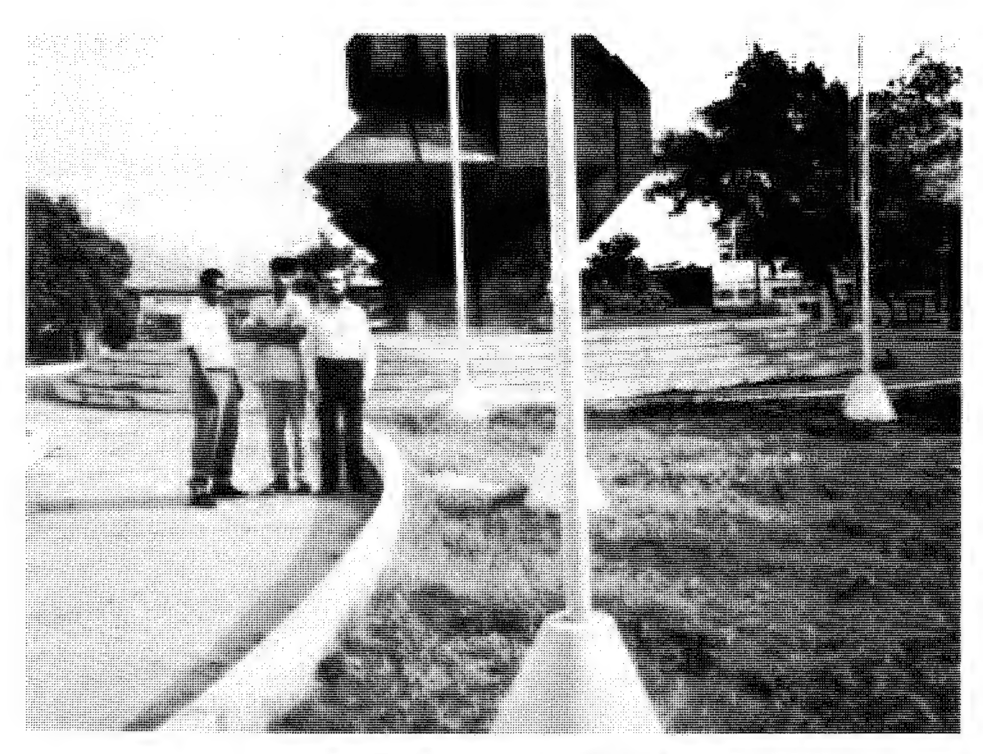
يتفرع من هذا الميدان شارع جميل أسموه بشارع اميل كابرال على اسم رئيس الحزب الذي قاد البلاد إلى الاستقلال أميل كابرال. ولكنه قتل في كوناكري قبل أن تستقل البلاد قتله المستعمرون البرتغاليون وخلفه على الزعامة أخوه (لويس كابرال) الذي كان أول رئيس في جمهورية غينيا بيساو وجزر الرأس الأخضر واستمر في الرئاسة من عام ١٩٧٦ م الذي هو عام الإستقلال حتى عام ١٩٨٠ حيث ثار رئيس الجمهورية الحالي (جوان برناندو فييرا) وأسقطه من الحكم فهاجر إلى البرتغال ولا يزال هناك.

ويذكر المسلمون عهده أي عهد (لويس كابرال) بأنه كان عهد تعصب ضد المسلمين وعهد إهانة لهم كانت دونها أو مثلها إهانة البرتغاليين وتعصبهم ضد الإسلام.

وذلك أنه من أهل جزر الرأس الأخضر الذين يكثر فيهم التعليم والمهارات الإدارية وليس فيهم مسلمون لأنهم تعلموا في المدارس الاستعمارية البرتغالية التي كانت تسيطر عليها الكنيسة، ويعتبرون أنفسهم طبقة متميزة عن الغينيين البيساويين وبخاصة أنهم في أكثرهم من المولودين مابين البرتغاليين والإفريقيين، فتميزوا عنهم بألوان خلاسية أو رمادية.

ومجمل الكلام على حالة المسلمين في عهده وفي العهود التي سبقته ولحقته مذكور في فصل الكلام على غينيا بيساو الذي سبق.

وفي نهاية شارع كابرال الجميل ميدان اسمه (براسا مارتي) وتعني بالبرتغالية: ميدان الشهداء، فبراسا: ميدان أو ساحة ومارتي: شهداء ويريدون بهم عمال أفارقة من عمال الميناء الذي لايبعد كثيراً عن هذا الميدان بل هو مجاور له كانوا ثاروا على المستعمرين البرتغاليين فقتلوهم وذلك في عام ١٩٥٦م.



أمام نصب الشهداء في بيساو

وتعتبر ثورة العمال هذه أول ثورة على البرتغاليين في غينيا بيساو، لذلك اسموا باسمهم بعد الاستقلال هذا الميدان وأقاموا في وسطه نصباً يرمز إلى ذلك مؤلف من مربعات عدة بعضها يعتمد على بعض.

ميناء بيساو:

رأيته متسعاً عامراً بالسفن التي تشحن وتفرغ البضائع منه وأكثرها صغير أو متوسط لأنه ليس عميقاً جداً. وتزينه جزيرة خضراء تجاهه التقطت لها صورة منه.

وجميع العاملين في الميناء الذين رأيتهم سواء منهم العمال والإداريون هم من السود ويستعملون معدات آلية عديدة في عملهم.



على شاطئ البحر قرب ميناء بيساو

وتدل حركة الميناء على الحرية في التصدير والإستيراد وهذا هو الواقع لأنهم في أول ثورتهم رفعوا شعار الاشتراكية إلا أنه لم يفدهم بشئ فهجروه لأن معنى الإشتراكية في مثل هذه البلاد الفقيرة هي التضييق على الأجانب أهل الثروات الحقيقية ورؤس الأموال التي تفيد البلاد لأن الأهالي ليست لديهم رووس الأموال المطلوبة ولا المهارات اللازمة لتنميتها واستغلالها في صالح البلاد.

ثم دخلنا ساحة المكس الذي يسمى الآن (الجمرك) ورأيت فيه سيارات كثيرة جديدة، ولم يعترض طريقنا أحد لأن بابه مفتوح وفيه جنود ثم خرجنا منه حيث درنا حول مقر للجيش يسمونه مركز الجيش وهو بناء قوي جداً له أسوار كأسوار القلعة الحصينة لاتؤثر فيها المدافع المعتادة بناه البرتغاليون قبل مغادرتهم البلاد.

ثم وقفنا في مقصف في الهواء الطلق أمام (هوتيل قراندي) إي الفندق الكبير على مشروب بارد كنا بحاجة إليه لشدة الحر والرطوبة وهو مأخوذ من فواكه مختلطة.

ويقع فندق قراندي على شارع اسمه (باسونا إرنا) وهو من الشوارع التي تتعانق فيها فروع أشجار (المانقو) حتى يكون الشارع من هذه الاشجار في ظل دائم حتى في وسط النهار رغم أنها لاتضايقه لأن مغارسها على جانبه، وقد صورته.

السوق الكبير:

من الفندق الكبير انتقلنا إلى السوق الكبير وكل هذين إنما هو من مدلول الاسم وليس لأننا رأيناهما بالفعل كبيرين.

واسم هذا السوق بالبرتغالية (قراندي مركادو) بمعنى السوق الكبير.

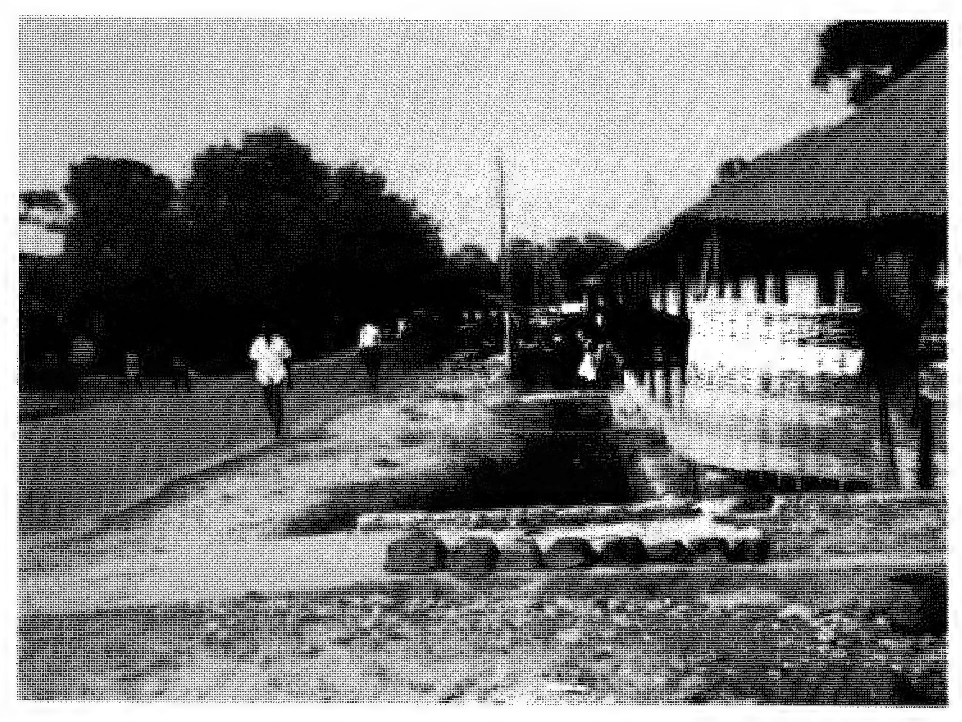
وجدنا بعض البسطات فيه وهي الأماكن التي تعرض فيها البضائع خالية لأن الوقت بالنسبة إليه متأخر ولايزال البائعون في جزء منه ويصح أن نقول البائعات فيه لأن كل البائعات فيه هن من النساء ما عدا رجلاً أو رجلين وهن يبعن بضائع صغيرة وخضروات طازجة. واكثر مافيه ثمار المانقو المختلفة الأنواع والأحجام لإن هذه الأيام هي أيام إدراك العمبة (المانقو) فيما أخبرونا به.

وفيه فاكهة البلاد الدافئة التي تكثر تحت خط الإستواء وما قرب منه وهي الموز وهو هنا أنواع منه الأخضر الذي يطبخ أو يقلى ومنه الأصفر الذي يؤكل فاكهة طازجة. وفيه من الكاجو سواء فيه فاكهته ونقله وهي مانسميه بالمكسرات كما تقدم شيء كثير لأن هذا أيضاً موسمه عندهم.

ولم يغب البيض المسلوق عن هذا السوق وإن كان قليلاً ويبيعون البيضة الواحدة بما يعادل فرنكًا فرنسياً واحدًا أي أكثر قليلاً من نصف ريال مع العلم بأن الثلاث والثلاث والنصف منه تباع عندنا بريال سعودي واحد.

وهناك أكوام صغيرة من الطماطم يكون الكوم منها ثلاث ثمار أو أربعا يبيعونه مثل ما يبعون أكثر ما في السوق جزافا وأخبرونا أن ثمن الكيلو منه هو مائتا فرنك أفريقي غربي ويساوي ذلك ريالين وربع ريال.

ويوجد في السوق مقادير كثيرة من الليمون الصغير البنزهير يبيعونه بالواحدة.



شارع واسع في بيساو

وألتقطت صورة في هذا السوق تلقاء امرأة ربما ظهرت في الصورة فقالت: اشتروا مني مقابل تصويركم لي واشترينا منها نقلا من (الكاجو) الرخيص.

ميدان اونوريو باريتو:

تركنا هذا السوق الشعبي بسرعة ومررنا بميدان صغير اسمه (براسا او نوريو باريتو) أي ميدان اونوريو باريتو وهو شخص من المواطنين من قبيلة (مانجاقو) كان تعاون مع المستعمرين البرتغاليين

ضد المواطنين فأقاموا له تمثالاً في ميدان صغير اسموه باسمه. ونصبوا في وسطه له تمثالاً. وعندما رحل البرتغاليون لم يغير المواطنون اسم الميدان وإنما كسروا تمثاله.

المتسوقون في الشارع الرئيسي في بيساو

وكتب البرتغاليون على قاعدة التمثال بأن المذكور مات عام ١٨٦٥م.

عيد الأطفال :

بينما كنا نسير في شارع اسمه (افنيدا سيكومن) أسموه على اسم أول رئيس لحكومة وطنية بعد الإستقلال وجدنا عدداً من الأطفال ذوي المظهر الحسن والملابس النظيفة ومعهم مصور للتلفاز وصحفيون وهم يلتقطون لهم الصور فوقفنا عندهم والتقطنا لهم صوراً.

إلا أنني لاحظت أنهم لايمثلون أطفال هذه المدينة الذين رأيناهم في شوارعها عليهم الملابس المهلهلة التي لاتكاد تستر العورة وبعضهم قد نفر سره لأن قطع سره كان بطريقة غير صحية وبعضهم يحتاج إلى عناية بل إلى تعليم.



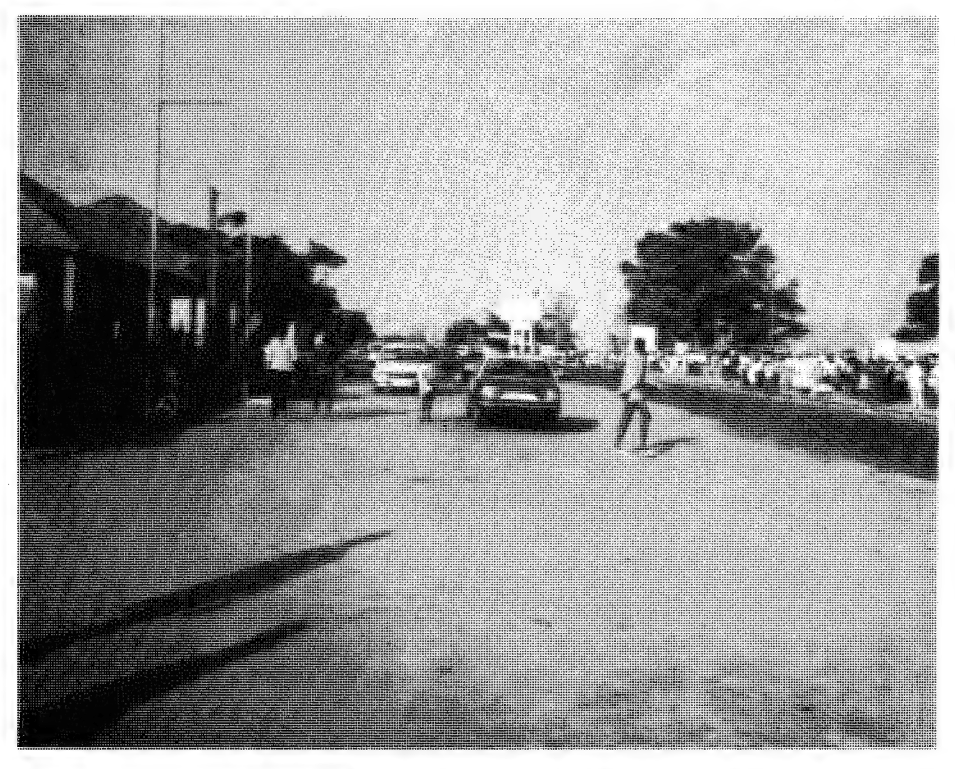
صورة للاحتفال بيوم الأطفال في بيساو

وهؤلاء الأطفال الذين ذكرتهم في الشوارع هم أكثر الأطفال في هذه البلاد وهم بالمئات، إن لم نقل بالآلاف.

وربما كان الأطفال الذين رأيناهم ينتمون لجمعية من جمعيات التنصير أرادت أن تتباهى بهم، أو أن تظهر عنايتها بتفوقهم على غيرهم.

في الشارع الرئيسي:

توقفنا في شارع واسع طويل هو الذي اخترقنا جزءاً منه عندما وصلنا من المطار ويسمى الشارع الرئيسي وبالبرتغالية (أفنيدا برنسبال) بهذا المعنى.



الشارع الرئيسي المتجه للمطار في بيساو

وسطه مزفلت ولا أرصفة له وعلى جوانبه في بعض الأماكن حوانيت وعلى يسار رصيفه سوق شعبي مستطيل يبيع أشياء مختلفة من المأكولات والملبوسات إلى المعدات الصغيرة والأدوات، وللأفارقة مثل هنود أمريكا الجنوبية وبخاصة هنود الإنديز ولع بالشراء من البضائع المعروضة على الأرض والعربات وليس من المحلات

التجارية الكبيرة. مع أن هذه تخضع للمماكسة وهي المساومة في الثمن بخلاف البضائع في المحلات التجارية التي تحدد أسعار المعروضات فيها.

وكان جمع المواطنين غفيراً بحيث زاد على الذين رأيتهم في السوق الكبير أضعافاً مضاعفة. وبعض الناس يتسكعون في هذا السوق من رجال ونساء وأطفال ليس عليهم من الثياب إلا ما يستر العورة.

وقد التقطت صوراً للناس فيه ولم أرهم يمانعون في ذلك أو يترددون فيه.



جانب من السوق الشعبي المكشوف في بيساو

والتقينا في حوانيت الشارع بإخوة من المسلمين سارعوا إلينا يسلمون، وقال أحدهم واسمه (محمد لوي جانيه) إننا كنا في السابق نعلم الناس الدين والآن اشتغلنا عن ذلك بالتجارة فأصبحنا بحاجة إلى من يعلم لنا أولادنا فأرجو أن ترسلوا من يعلّم الأولاد.

وجاء تاجر آخر اسمه (فودي سيسي) وهو موريتاني أسمر اللون حتى تظنه من أهل البلاد لولا قامته الفارعة وتقاسيم وجهه وملابسه العربية، وشيء أهم من ذلك كان على لسانه وألسنة الإخوة الذين التقينا بهم في هذه الحوانيت وهي العربية التى كانوا جميعاً يتكلمون بها بطلاقة. وفيهم أيضاً الأخ محمود درامي.

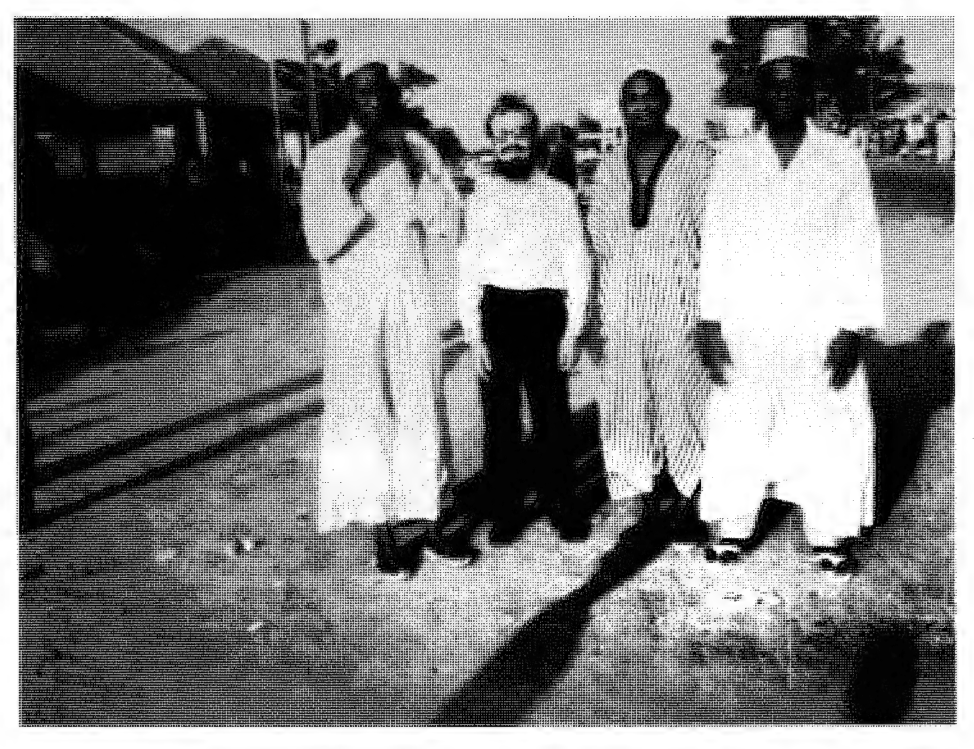
ولما طلبت أن التقط معهم صورة تذكارية وكلهم يلبس الملابس العربية ويتكلم العربية توقف الأخ فودي في ذلك قليلاً تحرجاً فأفهمته أن هذا هو التصوير الشمسي الذي هو مسك الظل لايزيد على ذلك. وإنما التصوير المنهي عنه هو ايجاد صورة من الصور يضاهيء أي يشابه بها خلق الله كما قال رسول الله ﷺ :- أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون الذين يضاهئون خلق الله.

والتصوير الشمسي ليس فيه مضاهاة لخلق الله وإنما امساك الصورة التي تنطبع في آلة التصوير مثل ما تنطبع في المرآة فليس فيها تصوير وإنما انعكاس لصورة الشخص أي شخصه أو وجهه.

وفي الحديث القدسي أن الله سبحانه وتعالي قال: ﴿ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة ويروى ذبابة﴾.

والتصوير الشمسي ليس فيه خلق بل ليس فيه ايجاد شيء غير موجود، وإنما اثبات مرأى الشيء الموجود وبذلك لايصح عليه لفظ

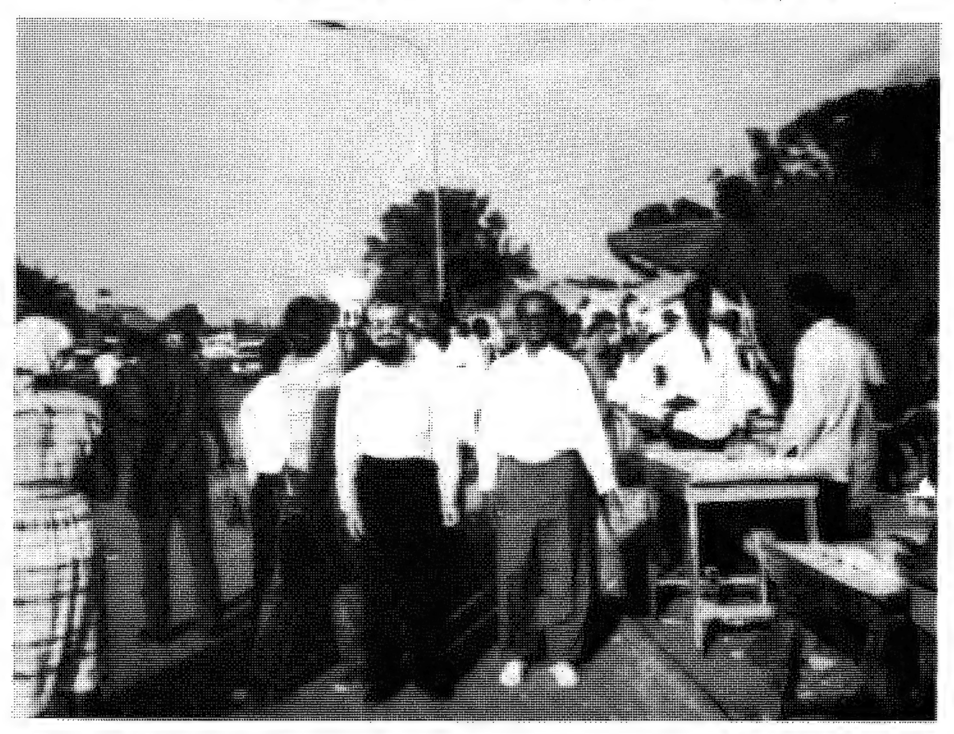
التصوير لأنه ليس بالتصوير المعروف في زمن البعثة ولا يصح قياسه عليه.



مع المسلمين في سوق بيساو

ومن الأمور غير المألوفة هنا أن أكون بين هؤلاء الإخوة المسلمين أرتدي الملابس غير العربية في الصورة دونهم فكلهم إلا إياي يلبس العربية ولكنني ألبس هذا الزي العالمي المسمى بالإفرنجي لاحباً فيه وإنما طلباً للتخفيف وسرعة الحركة، ولأن الملابس العربية تتسخ بسرعة ولايوجد في هذه البلاد ونحوها من يستطيع أن يكويها كما كانت عليه.

ثم رجعت استجلي أمر هذا السوق المكشوف بل الرصيف المتخذ سوقًا ومعرضاً للبضائع والأناسي، وإن لم يكن في مظهرهم تنوع يذكر بالنسبة إليهم وإلى منطقتهم وليس بالنسبة إلينا وإلى منطقتنا.



مع الشيخ الدكوري في رصيف السوق الشعبي المكشوف في بيساو

ريف بيساو :

كانت قد بقيت في النهار بقية فطلبت أن تكون في الإطلاع على ريف المدينة؛ فانطلق السائق (لاميران) بسيارته من طريق المطار وهو الطريق المزفلت الوحيد الذي يمتد خارج المدينة إلي مسافات بعيدة فقد ذكر أنه بعد أن يتجاوز المطار يذهب إلى الولاية الشرقية، في غينيا بيساو ثم يمتد إلى السنغال.



في ريف بيساو

والريف خصب وإن لم يكن بالغ الخصوبة من حيث وفرة النباتات الحقلية فيه، وإنما أكثر مافيه الأشجار الكبيرة من العمبة (المانغو)، ونخيل الزيت غير الغليظ وأشجار من أشجار الأخشاب غير مستقيمة السوق. وغابات من أشجار الكاجو الذي يعد فاكهة ونقلا كما قدمت.

ومررنا بحقول غير واسعة المساحة فرأينا فيها الأرز والكسافا الذي يسمى بالفرنسية والبرتغالية (ماينوكا) ويكون غذاءً رئيسياً للفقراء في بعض الأقطار الإستوائية في أفريقية وآسيا وحتى في البحر الكاريبي وجزر المحيط الهاديء القريبة من خط الإستواء ذات الجو الرطب مثل جزر فيجي.

ولم أر الأعشـاب نضرة فـذكروا أن السبب في ذلـك أن موسم المطر قد بدأ مبكرًا إلا أنه توقف منذ مدة ويستمر في العادة من مايو إلى نهاية شهر اكتوبر.

وأكثر اعتمادهـم في الزراعة على المطر، وإلا فإن في البلاد نـهرين كبـيرين همـا نهر غـامبـيا. ونـهـر بانقا كـازامانسي وكـلاهما بعـيد عن العاصمة.

وهناك أنهـار آخرى صـغيرة مـثل نهر كـاليبـا على حدود البـلاد مع (غينيا كوناكري).

واستمر الطريق يوغل في الريف ورأيت طيـوراً من طيور القماري واقعـة فيـه طارت من أمـام السيـارة وهي من الطيور التي نعـرفهـا في بلادنا مـهاجـرة تمر بها في الربيـع والخريف ونصطادها عند مـرورها بنا.

ثم وقـفنا تحت أشـجار ضـخـمة باسـقـة من أشجـار (الكاجـو) وهي محملة بالثـمار وثمارها كما قدمـت لك فاكهة في حجم الليمـونة حمراء اللون ولكن العـجب فـيهـا أنها تخـرج نقـلاً في حجم نـواة التمـرة ولكنه يكون خارج الثمرة.



تحت أشجار الكاجو في ريف بيساو

وتصور كما لو أن التمرة خرجت نواتها منها وظلت ناشبة بها مع أن فاكهة الكاجو اكبر من التمرة مرتين أو ثلاثًا.

فما على من يريد التمتع بما تخرجه هذه الأشجار إلا أن يقطف التمرة فيأكل الفاكهة ثم يثني بعدها بهذا النقل الذي يشبه لب الجوز.

وجمع الرفاق مقداراً من الفاكهة من الأشجار وقالوا إن الثمر مباح عرفا، ووجدنا الأرض مليئة بقشورها ولم أجد مذاقها وهو يشبه مذاق ثمار الشفلح أو التين الشوكي جيداً. ويحذرون منه أن يصيب الثياب لكونه لزجًا يلصق بها، ويبقى أثره بعد الغسل.

في قرية بيساوية:

وهي صغيرة بما لايصح أن تسمى قرية وإنما تسمى مجموعة من البيوت الإفريقية التي لاتكون صفوفا منتظمة بينها أزقة أو شوارع مستقيمة، وإنما تبني متفرقة، متبعثرة إلا أنها متقاربة حتى يكون الأقارب غير بعيدين عن أقاربهم.

وهي بيوت من الطين ذات سقوف مسنمة من القش. وتحوم حولها طائفة من الأطفال في كثرة ظاهرة بالنسبة إلى عدد البيوت.

وأكثر الأطفال إن لم يكونوا كلهم عليهم ثياب مهلهلة أو ممزقة والمراد بذلك سروال قصير ممزق أو نحوه، وإلا فإن الملابس التى نعرفها في المدن كالقميص أو السراويل الطويلة غير موجودة عليهم.

وأهل البيت من قبيلة (بالانت) وبعضهم يكتبها (بالانتا) لأن التاء مفتوحة وإن لم تصل إلى أن تكون ألفاً.

وهي قبيلة كبيرة اكثرها باق على الوثنية وفيها قلة من المسلمين وأقل من ذلك من المسيحيين.

وذكر المرافق أن هؤلاء الوثنيين يخمرون فاكهة الكاجو هذه ويعتصرونها ويتخذون منها شراباً مسكراً.



مع الريفيين في غينيا بيساو أمام بيتهم

وقد طلبت من الأطفال أن يقتربوا مني لألتقط صورة معهم، فأسرعوا لذلك مرحبين مرحين وعجبت من عدم العناية بملابسهم وبأبدانهم مع أن بلادهم خصبة غنية بمواردها الأساسية ولكن التخلف مصيبة، والأدهى من ذلك عدم شعور المتخلف بحاجته إلى أن يتقدم. وكأنما هو يرى أن ليس بالإمكان أحسن مما كان.



البيوت الإفريقية في غينيا بيساو

ثم عدنا إلى الفندق مع غروب الشمس وهي تغرب في السابعة والربع.

وتناولنا العشاء في مطعم الفندق وهو متوسط في مستواه مثل الفندق نفسه ومع ذلك قيل لنا: إنه احسن مطعم في المدينة.

وكان شرابنا مع العشاء ماء معدنياً طلبوا قيمته ثلاثة دولارات إلا ربعاً لا يقبلونها إلا بالعملة القابلة للتحويل. وهو ماء مستورد من فرنسا.

وفي الليل أيقظتنا الرعود المتلاحقة التي عكرت هدوء هذا البلد الذي تشبه طبيعته أخلاق أهله في الهدوء والسماحة.

يوم الأحد : ١٤٠٩/١١/١هـ - ١٩٨٩/٦/٤م

صباح بيساو:

كان صباح بيساو ندياً ونداه هذا اليوم ليس كنداه في الأيام الماضية حيث كان المطر قد احتبس فيها عنهم.

وعندما تجولت في الحديقة هذا الصباح كانت معركة الرعود البارحة قد خلفت في الأرض أكوام الأوراق من الأشجار والثمار التي منها العمبة (المانجو) والكاجو. بل أن بعض غصون الأشجار قد وقعت من أشجارها بسبب المطر والريح.

وقد انشغلت الخادمات (البيساويات) اللاتي ترى المسكنة على وجوههن فترحمهن بأزالة تلك المخلفات، إلا أن الشمس كانت وهي فتية حامية الأشعة، بل إن أشعتها كالسياط التي تلهب الرؤوس.

مع أن حديقة الفندق الواسعة قد أكتست من أمطار البارحة ندى على نداها. وحتى البركة أخذوا ينظفونها من مائها كله الذي تعكر من المطر.

ولقد رأيت طائفة من النسور القشاعم وهي الكبيرة منها انتصبت على سقوف الأبنية في الفندق لاأدري الذي ترقبه إلا أن يكون شيئًا يلقيه في الأرض سكان الفندق أو عماله من قمائم.

وأثناء الجولة في الحديقة الواسعة التي تحيط في الفندق وصلت إلى مكان معد لأن يكون مقصفا وقد جعلوا موائده تحت مظلات من القش والاخشاب تشبه الأكواخ الإفريقية التقليدية.

والحديقة منسقة تنسيقًا جيدًا وأشجارها باسقة لاشك في أنها كانت موجودة قبل إنشاء الفندق وكانت جزءًا من غابة كبيرة كانت نامية قبل عمارة المدينة. دخلنا مطعم الفندق لتناول الإفطار فكان الآكلون فيه نصفهم من ذوي اللون الإوربي وقيل لنا: إن أكثرهم من البرتغاليين.

وقالوا في هذه المناسبة: إن المستعمرين من البرتغاليين تركوا البلاد عند إستقلالها خوفًا من انتقام أهلها ولكنهم أخذوا يعودون الآن أفرادًا وجماعات صغيرة لحاجة البلاد إلى الخبرة الأجنبية وكون اللغة الرسمية هنا لاتزال البرتغالية.

جلسة مباحثات مع الجمعية الاسلامية

حضر إلينا في الفندق رئيس الجمعية الإسلامية في غينيا بيساو ونائب الرئيس وطائفة من العاملين فيها. وذلك في التاسعة والنصف.

وكان أول ما أخبرونا به أنها أول جمعية إسلامية أنشئت في هذه البلاد وقبل ذلك لم يكن البرتغاليون يسمحون بإنشاء الجمعيات الإسلامية بل لم يكونوا يسمحون بأن يكون للمسلمين أي تجمع أو أية شخصية إعتبارية.

وهذه أسماء الحاضرين مع مراكزهم في الجمعية وأعمالهم خارجها.

١- الحاج سوري سو، رئيس جمعية غينيا بيساو الإسلامية ورئيس قسم اللغات المحلية في الإذاعة الوطنية.وكان عقيداً في جيش التحرير.

٢- الحاج يحيى كوتى، نائب رئيس جمعية غينيا بيساو الإسلامية ورئيس المراسم لأمانة الحزب الحاكم.

٣- الحاج خليل بلدى: السكرتير الدائم للجمعية والمسئوول عن العلاقات الخارجية ورئيس قسم الشرق الأوسط وآسيا في وزارة الشئون الخارجية.

٤- الحاج يحيى رشيد جاللو، السكرتير الدائم المساعد للجمعية والمترجم للمركز الثقافي العربي الليبي في بيساو. (وهو المترجم) وأبوه هارون الرشيد شاعر عربي وأديب.

٥- إبراهيم امبالو(كوركا) عضو الجمعية العمومية للجمعية وعضو لجنة الحج وعضو لجنة المراقبة والمدير المساعد للصادرات بمخزن الشعب.

تكلم رئيس الجمعية فكان بين ماقاله والآخرون يوافقون على كلامه وأحياناً يستدركون بعض الأشياء عليه: إننا كنا واقعين تحت ضغط شديد في القديم حتى إن العربية محرمة إطلاقاً حتى في الكتاتيب القرانية فالبرتغاليون يسمحون بتعليم القرآن في الكتاتيب على قلتها - ولكنهم لايسمحون بتعليم العربية.

وقال: حتى اللغة البرتغالية محرمة على المسلمين في المدارس النظامية إلا إذا غيروا أسماءهم الإسلامية، وشاركوا مشاركة فعالة

في الصلاة في الكنيسة كل يوم أحد فكان على من يريد أن يعلم ابنه أن يغير اسمه من محمد إلى فرناندو أو ما أشبهه.

قالوا والشاهد على ذلك في هذا الأخ الحاضر معنا وهو خليل بالدي السكرتير الدائم والمسئول عن العلاقات الخارجية في الجمعية فقد أدخله والده المدرسة البرتغالية رجاء تعليمه تعليماً عصرياً لأنه لاتوجد مدارس إسلامية أو عربية بسبب ضعف المسلمين ومنع البرتغاليين، قال: فغيروا اسمه إلى كارلوس وصاروا يدخلونه الكنيسة في كل أحد، ويعلمونه الدين المسيحي وهو صغير غرير فخاف عليه والده وسحبه من المدرسة البرتغالية وأرسله إلى مدرسة نظامية في السنغال حيث تعلم هناك.



أثناء الجلسة الرسمية مع المسئولين في الجمعية الإسلامية في غينيا بيساو

وسبب هذا أن المدارس كلها بل التعليم كله في غينيا بيساو كان بيد الكنيسة ويشرف عليه المنصرون.

ومرجع ذلك إلى تعصب البرتغاليين للمسيحية وكراهيتهم للمسلمين.

وقد وافق الأخ خليل على صحة ما ذكروه قالوا: وليس في المسلمين موظف واحد في الحكومة، فكانوا يقفون ضد توظفهم رغم وجود كفاءات بينهم، بل إنهم حتى يمنعون المال إذا استطاعوا عمن يريد أن يكون من رجال الأعمال المالية عن طريق التعامل مع الإدارات الحكومية أيًا كان ذلك التعاون.

قالوا: وعند الإستقلال تنفس المسلمون الصعداء وظنوا أنهم خلصوا من التعصب والتمييز في المعاملة ضدهم وإذا بالعهد الاستقلالي الذي كان رئيسه (لويس كابرال) هو كزمن الإستعمار من ناحية الكره للمسلمين والتعصب ضد الإسلام إن لم يكن أعظم.

وذلك أن (كابرال) هذا كان مسيحياً متعصباً، وهو من أهل جزر الرأس الأخضر الذين هم من المولدين مابين الأفريقيين والبرتغاليين وهو ممن يحتقرون المسلمين غير أنه حدثت ثورة عليه في عام ١٩٨٠م بقيادة الرئيس الحالي. (جون برناندو فييرا) فكانت فرجاً للمسلمين وباباً مفتوحاً لهم للخلاص، فكان الرجل الثاني في الحكومة منهم وهو (يافاي كمارا) الذي ستقابلونه الليلة فهو نائب رئيس الجمهورية ووزير الدفاع وهو أيضاً الرجل الثاني في الحزب الحاكم في البلاد.

وقد ساعد الرئيس الحالي وحكومته المسلمين مساعدات قيمة منها أنه أعطاهم أرضاً كبيرة في مكان جيد من العاصمة قالوا: ولكننا لعجزنا لم نبن عليها مقراً للجمعية ولاتزال الجمعية الإسلامية دون مقر حتى الآن.

فقاطعهم الشيخ الدكوري قائلاً: لقد سبق أن تبرعت لكم الرابطة بعشرة آلاف دولار للمساعدة على بناء مقر لجمعيتكم فطلبت منكم أن توافوني بالمخططات اللازمة مع الاتفاقية على بنائها حتى نحول قيمة المبلغ لكم ولكنكم لم تفعلوا والمبلغ لايزال موجوداً في مكتب الرابطة الإقليمي في داكار.

قالوا: ولكن النصاري يتلقون كل شيء من الجمعيات النصرانية ويبنون لهم ما يحتاجونه من المدارس والكنائس. ونحن لا نلقى من إخواننا المسلمين في الخارج مثل ذلك قالوا: وعندما زار هذه البلاد وفد من رابطة العالم الإسلامي برئاسة الدكتور منصور أبولين ومعه الشيخ عبدالوهاب الدكوري وعدنا بأن الرابطة سترسل خمسين تذكرة لخمسين حاجاً ممن لم يسبق لهم الحج. فأعلنا ذلك للمسلمين وفرح المسلمون واختاروا الذين سيحجون بمعرفة الحكومة ولكن التذاكر لم تصل فاضطررنا للإستدانة من المصرف المركزي للحكومة مائة ألف وعشرة آلاف دولار لكل حاج ألفا دولار تذكرة ومصاريف ولايزال هذا المبلغ ديناً علينا للمصرف المذكور.

قالوا: ومع ما نحن عليه من الضعف وأن المسلمين فقراء ولاتوجد لهم مدارس نظامية ذات منهج متكامل فإن المسلمين يزيدون من طريقين أحدهما زيادة مواليد المسلمين، والثاني: دخول أعداد من الناس وبخاصة من الوثنيين في الدين الإسلامي.

قالوا: ولانعلم أن مسلماً أرتد عن دينه فصار نصرانياً والعكس صحيح فكثير من النصارى دخلوا في الإسلام.

وأكثر ما يغيظ المنصرين هنا أن يسلم شخص كانوا قد علموه منذ الصغر عندهم وتعبوا على تربيته تربية نصرانية. قالوا: ومن ذلك أن شخصاً ربوه تربية مسيحية وأدخلوه المدرسة حتى تخرج ممرضاً حاصلاً على شهادة معترف بها فأسلم وحسن إسلامه فحاولوا بكل الوسائل حتى عند الحكومه أن يثنوه عن الإسلام ويرجعوه إلى النصرانية. فأبى ذلك ولم يستطيعوا أن يفعلوا ضده شيئاً، لأن الحكومة تقول: كل إنسان حر في أن يعتنق ما شاء من الأديان.

قالوا: ولكن الامتحان حدث له وهو أنه عندما كان عائداً من صلاة الفجر في المسجد إلى بيته صدمته سيارة ربما كان سائقها مخموراً وهو لايقصده فانكسرت رجله، فجاء إليه المنصرون وقالوا له: يافلان، إنك لو لم تسلم لما حصل لك ما حصل من الكسر في رجلك، يريدون أن يشككوه في دينه على عادة الإفريقيين في التشاؤم والتفاؤل.

فقال لهم: هذا غير صحيح، فالصدمة كانت شديدة ولولا أنني كنت مسلماً أدعو الله تعالى لمت بسببها، وأما الكسر في رجلي فإنه سيجبر إن شاء الله.

المنح الدراسية:

وذكروا لنا أيضاً أن المتخرجين من البلدان العربية الذين لايعرفون إلا العربية لاتوجد لهم وظائف وقالوا: ينبغي أن توجدوا لهم وظائف.

ثم طلبوا منحاً جديدة لأبنائهم لتعلم العربية، وذلك بالإضافة إلى خمسين طالباً منهم يدرسون الآن في الأزهر في مصر.

وذكروا أنهم حاولوا أن يرسلوا طلاباً منهم للدراسة في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة فأحضر طالب منهم الشروط التي وضعتها الجامعة لالتحاق الطلاب بها فوجدوها ثقيلة لايوجد عندهم من تتوفر فيه لأنها تشترط من بين ما تشترطه أن يكون لدى الطالب شهادة من معهد إسلامي معترف به وهذا غير موجود في غينيا بيساو.

وفد لزيارة الرابطة:

ذكروا أنهم تسلموا قبيل وقت الحج الماضي خمس تذاكر من رابطة العالم الإسلامي للحج لكبار العاملين في الجمعية على ضيافة الرابطة وذكروا أن الوقت ضاق عن سفرهم للحج وأن أكثرهم لم يسبق له الحج ولايعرفون شيئاً عن المصاريف التي تلزم لهم هناك وهي بالعملة الصعبة التي لايستطيعون الحصول عليها ورأوا أن الأفضل أن تكون هذه التذاكر لزيارة الرابطة من أجل الاتصال بالمسئولين فيها وبغيرهم من المسئولين في المملكة.

فقلت لهم إنه لامانع لدى الرابطة من ذلك ونحن نوافق عليه وسوف نتحمل مصاريف الفنادق والإقامة في المملكة وكذلك الوجبات وأما المصاريف الشخصية فإن الضيافة لاتشملها، والأفضل أن يكون قدومهم بعد الحج بشهرين في شهري أكتوبر أو نوفمبر فسروا بذلك وقالوا: هذا أنفع للمسلمين.

وقد لاحظت أن معنوياتهم متدنية وأن أعمالهم الذاتية قليلة وأنهم ينتظرون من إخوانهم المسلمين القادرين أن يقوموا بما يحتاجون إليه،

فبينت لهم أن مسئولية رابطة العالم الإسلامي في أنحاء العالم كله عظيمة، وذلك أن ميدان عمل الرابطة هو حيث يوجد مسلم على وجه الأرض ولايوجد الآن قطر ليس فيه مسلمون يحتاجون إلى مساعدة.

وذكرت لهم أنني عندما كنت في زيارة للصين الشعبية في عام ١٤٠٤هـ على رأس وفد من رابطة العالم الإسلامي أقام وزير شئون الأديان في الحكومة المركزية الصينية حفلة عشاء في بكين فكان مما قاله في خطابه أن لدينا في الصين مايزيد على اثنين وعشرون ألف مسجد.

وقال لنا اخواننا المسلمون في الجمعية الإسلامية بالصين بعد ذلك: إن أكثر هذه المساجد تحتاج إلى ترميم لأن الحكومة الصينية الشيوعية المتعصبة، التي كانت بقيادة عصابة الأربعة إبان الثورة الثقافية قد صادرت المساجد فأتخذت بعضها مصانع، وبعضها مساكن للعمال. وللشبيبة الشيوعية المتعصبة فخربوا كثيراً منها لذلك تحتاج إلى مساعدة.

ثم قلت لهم: إنني معكم في أن إخوانكم المسلمين خارج غينيا بيساو يجب أن يساعدوكم فهذا واجب إسلامي على القادرين عليه ولكن أيضاً - في تقديرنا - يجب أن تبدأو بما تستطيعونه فمثلاً بدلاً من أن تبقى الجمعية الإسلامية دون مقر حتى ولا مكتب صغير يمكنها أن تقيم في ركن من هذه الأرض التي اعطتكم الحكومة ثم تطلبون من إخوانكم المسلمين المساعدة على بناء مقركم وقد بدأ ذلك بالفعل حينما أرسلت لكم رابطة العالم الإسلامي عشرة آلاف دولار أمريكي بقيت مجمدة في داكار وبقيتم أنتم دون مكتب.

أما موضوع السلفة التي عليكم للمصرف الحكومي وقدرها مائة ألف دولار وعشرة آلاف دولار أمريكي قيمة مصاريف خمسين حاجاً من الفقراء فإن الله تعالى لم يوجب الحج إلا على من إستطاع إليه سبيلا، ورابطة العالم الإسلامي لاتستطيع هي ولا غيرهاأن توفر الحج لفقراء المسلمين من أنحاء العالم لأن في الهند مثلاً خمسين مليوناً من المسلمين الذين يريدون الحج ولايستطيعون إليه سبيلا.

لذلك كان في وسع هؤلاء الإخوة أن لا يحج إلا من كان منهم قادراً على الحج. أما وقد حصل هذا ونحن نقدر حصوله لأن مشاعركم الإسلامية كانت متلهفة للحج بعد الحرمان الطويل من الحقوق الذي عانى منه المسلمون فإن الرابطة سوف تنظر في مساعدتكم على الوفاء ببعض هذا الدين لأنها لا تستطيع أن تدفعه كله مرة واحدة لما ذكرناه من إلتزاماتها المالية في كل أنحاء العالم.

ولم تكن الرابطة تيسر الحج لفقراء المسلمين كما ذكرت وإن كانت تقدم تذاكر إستضافة لعدد محدد من رؤساء الجمعيات الإسلامية والعاملين النشطين في الدعوة إلى الله وبخاصة منهم الحديثى العهد بالإسلام الذين أوذوا بسبب إسلامهم ومن ذلك التذاكر الخمس التي أرسلت إليكم ولا تزال موجودة لديكم.

وقد انفضت جلسة المباحثات الرسمية المفيدة هذه في الثانية عشرة والنصف.

وقد أعطونا صورة نظام (جمعية بيساو الإسلامية) الصادر في شهر سبتمبر عام ١٩٨٦.

وهو نظام جيد إلا أن الشأن هو العمل على الإستفادة مما جاء فيه وأعتقد أن الإخوة على درجة من عدم التمكن من العمل الإسلامي في بلادهم يحتاجون معها بل هم مضطرون إلى من يساعدهم على البدء في العمل.

وهذا هو نص نظام الجمعية:

جمعية غينيا بيساو الإسلامية.

النظام الاساسي.

الاسم والتعريف.

المادة - ١

إن جمعية غينيا بيساو التي يشار إليها اختصاراً بالحروف ((ج.غ.ب.أ.)). هي جمعية وطنية يحكمها هذا النظام الأساسي والقوانين المعمول بها في جمهورية غينيا بيساو وتتمتع بشخصية إعتبارية مستقلة وأستقلال مالي ذاتي، وهي مخولة بصلاحية توجيه جميع النشاطات الدينية التي يقوم بها المسلمون.

المقر.

المادة - ٢

ستتخذ جمعية غينيا بيساو الإسلامية مقرها في مدينة بيساو، وتستطيع أن تفتح فروعاً أو ممثليات أخرى لها في أي مكان داخل غينيا بيساو بناء على قرار من الجمعية العمومية وتحت إقتراح من المجلس الإداري.

الاهداف.

المادة - ٣

إن جمعية غينيا بيساو الإسلامية هي الجهاز الأعلى للمسلمين المكلف بتوجيه جميع الشؤن الإسلامية في غينيا بيساو وخاصة:

أ) التننظيم وأعادة التنظيم والتجديد لأسلوب عمل المسلمين بهدف نشر الدين والتعليم والثقافة الإسلامية وإنشاء مدارس قرآنية.

ب) إصدار توصيات وتقديم اقتراحات إلى الحكومة فيما يتعلق بالقضايا الدينية والإجتماعية الخاصة بحياة المسلمين.

ت) القيام بالتقييم اللازم وإبداء الرأي المؤهل إلى الحكومة الغينية فيما يتعلق بتوصيات وقرارات منظمة المؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي والمجلس الإفريقي للتنسيق الإسلامي، عندما تطلب ذلك إحدى الدوائر الحكومية.

ث) العمل على حصول منشورات وكتب ومطبوعات ومجلات باللغات المحلية والأجنبية وإعادة إنتاج الخدمات الأساسية حول الثقافة وتاريخ العالم الإسلامي بهدف إنشاء مكتبة إسلامية وقسم ثقافي.

ج) تقوية الثقافة الإسلامية.

ح) جمع وتقييم الخدمات الإسلامية الوطنية والأجنبية بهدف تحقيق أفضل تعزيز وتعميق لهويتها الثقافية التاريخية.

خ) تطوير الوعي في نفس كل مؤمن بضرورة العمل وقيمة تطبيقه، لمكافحة جميع أنواع الإستغلال.

د) مكافحة التبطل والسرقة والكذب والكحولية ورفع مستوى العبادة والعمل التحرري بهدف خلق جو من التفاهم بين جميع أفراد المجتمع الغيني.

ذ) المشاركة في مجهودات الدولة وتطلعاتها لتعزيز الوحدة الوطنية ومحاربة جميع عوامل التفرقة غير المقبولة مثل العنصرية والإقليمية والقبلية.

ر) الدراسة بشكل صحيح لانسب وسائل التوفيق بين الممارسات والتربية الدينية بهدف تعزيز التربية الاسلامية الأسرية.

الهياكل.

المادة ـ ٤

تضم جمعية غينيا بيساو الاسلامية الهياكل التالية:

أ) جمعية عمومية.

ب) مجلساً ادارياً.

ت) مجلس مراقبة مالياً.

ث) امثلة عامة.

الجمعية العمومية.

المادة ـ ٥

١- تتألف الجمعية العمومية من (٨٠) عضواً ممثلين ومنتخبين من طرف المسلمين و (٢٠) شخصاً دينياً مسنين يتم تعيينهم من طرف المجلس الإداري.

٢- إن الجمعية العمومية هي الجهاز الاعلى لجمعية غينيا بيساو الاسلامية. وتجتمع مرة في السنة لمناقشة جميع القضايا المتعلقة بحياة الجمعية والمسلمين لرسم الخطوط العامة المتعلقة بالعمل ولتقييم تقرير الامانة العامة والقيام بانتخاب اعضاء الامانة الجدد.

٣ - تجتمع الجمعية العمومية في دورة عادية مرة في السنة. وتستطيع أن تجتمع استثنائياً بناء على دعوة من المجلس الإداري أو على الأقل بطلب ثلث الأعضاء الأصليين.

٤ - تتألف مائدة الجمعية من الرئيس ونائب الرئيس وأمين واحد تنتخبهم الجمعية.

٥ - فترة انتدابها هي سنتان (٢) قابلتان للتجديد.

٦ - إن رئيس جمعية غينيا بيساو الإسلامية هو الشخصية الدينية المسموح لها بالتحدث باسم المسلمين وتمثيلهم خارج البلاد في جميع الحفلات واللقاءات والاجتماعات والندوات الدينية.

٧ - اثناء مباشرته لمهامه يتولى رئيس الجمعية العمومية مهام رئيس جمعية غينيا بيساو الإسلامية.

٨ - يخص الجمعية العمومية انتخاب جميع الأعضاء الإداريين للجمعية.

٩ - يتم اتخاذ قرارات جمعية غينيا بيساو الإسلامية بأغلبية بسيطة من الأعضاء الحاضرين والمصوتين.

١٠- تتبنى الجمعية نظامها الداخلي للعمل والمالية.

المجلس الاداري

المادة - ٦

١- يتــألف المجلس الإداري من (٥) أعــضــاء منـتـخــبين من طرف الجمعية العمومية من بين أعضائها.

٢- من مـهـام المجلس الإداري توجـيـه الأمـانة العـامـة وتقـديم الآراء عندما يطلب ذلك الأمين العام.

٣- يشارك الأمين العام في جميع اجتماعات المجلس الإداري.

٤- يعقد المجلس الإداري اجـتماعًا عاديًا في نهاية كل شهـر واجتماعًا طارئًا عندما يطلب ذلك الأمين العام آو بـنـاء على طلب من أغلبية أعضائه المطلقة.

٥- ينتخب المجلس الإداري في دورته الأولى رئيس المجلس.

الأمانة العامة.

المادة - ٧

١- يضمن الأمين العام والأمين المساعد ورؤساء الدوائر التالية:

أ) مدير الشئون الإدارية والمالية.

ب) مسؤل العلاقات الخارجية.

ت) مسؤل دائرة الاعلام والدعاية.

ث) مسؤل دائرة التعليم والمساجد.

ج) مسؤول دائرة الشئون الاجتماعية والثقافية.

٢- يتولى الأمين العام رئاسة الإدارة العامة لجمعية غينيا بيساو الإسلامية. وتخول له صلاحية إدارة الجمعية وجهازها ضمن الحدود العادية من نشاطاته. ويرد على النشاطات العامة للأمانة. ويمثل الجمعية في القضاء وخارجه.

٣- يمكن انتخاب الأمين العام من طرف الجمعية العمومية ويتعين عليه في نهاية كل سنة اقتصادية تقديم تقرير للنشاطات والتقرير السنوي للحسابات.

٤- من مهام الأمين العام أيضًا السهر على تحقيق العمل الجيد للمساجد والأفنية المحيطة بها، وكذلك ضمان ظروف النظافة لمنحها الأماكن الصحية العامة.

مجلس المراقبة.

المادة - ٨

١- محاسبة جمعية غينيا بيساو الإسلامية مراقبة من قبل مجلس للمراقبة منتخب من طرف الجمعية العمومية ومؤلف من رئيس ومحلفين (٢) أساسيين ومحلف اضافي.

٢- ينتخب مجلس المراقبة في اجتماعه الأول رئيسه من بين اعضائه.

٣- يجتمع مجلس المراقبة مرة كل ثلاثة أشهر لإعداد محاضر اجتماعاته التي ستحال إلى رئيس المجلس الإداري وإلى رئيس الجمعية العمومية.

٤- ستقدم تصورات مجلس المراقبة إلى رئيس الجمعية العمومية خلال مدة أقصاها (١٥) يوماً، وذلك بعد إعداد الأمانة العامة التقرير السنوي للنشاطات.

اللغة.

المادة - ٩

إن اللغة العربية واللغة البرتغالية، واللغات المحلية الأخرى هي لغات العمل لجمعية غينيا بيساو الإسلامية.

المساجد.

المادة - ١٠

إن المساجد أماكن مقدسة مخصصة لمؤشرات الإيمان والعبادة ونشر الثقافة الإسلامية وربط أخوة الشعب الغيني والإخوة الافريقية والعالمية.

الحج.

المادة - ١١

١- سيتم سنوياً تنظيم رحلات لأداء فريضة الحج تحت توجيه الأمين العام المساعد الذي سيكون مدعوماً من طرف الدوائر الحكومية المعنية.

٢- في اطار الممارسة لهذه المهام يجب على الأمين العام المساعد أن يطالب المسلمين بالإحترام الوثيق للقرارت التي تتخذها الحكومة وجمعية غينيا بيساو الإسلامية الخاصة بتنظيم تلك الرحلات.

التضامن والصداقة الاسلاميين.

المادة - ١٢

١- تقيم جمعية غينيا بيساو الإسلامية علاقات صداقة مع منظمات أخرى سواء داخل أو خارج غينيا بيساو وتكون مبادئها وأهدافها وأعمالها مشابهة لمباديء واهداف وأعمال الجمعية وتقيم أيضاً علاقات صداقة مع منظمات إسلامية أخرى في العالم على أساس روح التضامن الإسلامي من أجل خير المسلمين والإسلام في العالم.

٢ - تستطيع الجمعية أن تتعاون بشكل وثيق مع جميع دوائر الدولة لجمهورية غينيا بيساو بهدف تنفيذ وتطبيق توصيات وقرارات ولوائح منظمة المؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي والمجلس الافريقي للتنسيق الإسلامي.

أنموذج بيساوي:

ابديت للأخ يحيى رشيد جاللو إعجابي بمستوى معرفته العربية وتذوقه للأدب العربي وحفظه للشواهد الشعرية وحتى فهمه للمجازات والاستعارات في اللغة وسألته من أين تعلم ذلك؟

فأجاب: لقد تعلمت العربية على يد والدي الشيخ (هارون الرشيد) الذي كان محباً للعربية ناشراً لها وكان إلى ذلك شاعراً معروفاً بنظمه الجيد، فطلبت منه أن يكتب لي ترجمته مع شيء من شعره حتى أثبته هنا ليكون أنموذجاً للعلماء العاملين الذين عملوا على نهضة اللغة العربية والدين الاسلامي في هذه البلاد الغينية البيساوية التي لايعرف

كثير من أبنائنا المثقفين في البلدان العربية حتى مجرد اسمها. وهذا نص ماكتبه الأخ يحيى، وقد حذفت أبياتًا من الأرجوزة طلبًا للاختصار:

لمحة قصيرة عن حياة الشيخ الحاج هارون الرشيد جاللو - رضي الله عنه -

ولد المرحوم الشيخ الحاج هارون الرشيد جاللو، عام (١٩٠٦م) في مدينة طيبة الغراء (كيبو) بجنوب جمهورية غينيا بيساو بالقرب من حدود جمهورية غينيا كوناكري، التي كان قد أسسها والده ألفا أحمد ديله جاللو - رضي الله عنه - بعد هجرته من غينيا التي كانت تعرف بغينيا الفرنسية في ذلك الوقت واستقراره في غينيا الأخرى التي كانت تسمى في ذلك الوقت بغينيا البرتغالية.

وتوفى رحمه الله عام (١٩٧٣م) في مستشفى مدينة بيساو المدني ثم نقل جثمانه بالطائرة إلى مسقط رأسه حيث جرت مراسم الجنازة ودفن شرقى ساحة المسجد الجامع بمدينة كيبو. وكان عمره حين وفاته - رحمه الله -٦٧ عاماً.

وكان المرحوم قد بدأ حياته الدراسية على يد والده الذى درسه القرآن الكريم وبعض الكتب الفقهية واللغوية. كما أخذ منه أيضاً أوراد الطريقة الصوفية التجانية المنتشرة في غرب أفريقيا ثم سافر بعد ذلك بإذن من والده إلى إقليم «كازاماس» (السنغال) حيث درس أيضاً على يد أستاذه الحاج عال تييام في مدينة الحاج عال، التي توفى فيها والده ألفا أحمد ديلة جاللو، وبعد عودته إلى مدينة «كيبو» للإنضمام إلى إخوته الأشقاء الذين كانوا يعيشون في هذه المدينة إستمر في مواصلة

الدور الطليعي الهام الذي كان يقوم به أبوه في نشر الدعوة الإسلامية. ولعب دوراً بارزاً وطليعياً هاماً جداً للتعبئة الدينية الإسلامية وقام بنشاطات جبارة في مجال الدعوة الإسلامية بشكل أوسع وأشمل تمثلت في تعزيز وتقوية الوحدة والأخوة بين المسلمين وانشاء كتاتيب لتعليم القرآن الكريم ولتدريس اللغة العربية، وتأسيس مساجد في عدد من المناطق، ودعوة الوثنيين بطرق إسلامية سليمة وسخية إلى اعتناق الدين الإسلامي الحنيف، حيث حقق نجاحاً باهراً واعتنق الإسلام بفضل الله وعونه عدد كبير من الوثنيين وخاصة من قبيلتي: بالانتا ومنجاكو، اللتين دخلت منهما أسر كثيرة بأكملها في الدين الإسلامي.

قال: وكان الشيخ الحاج هارون الرشيد جاللو، واحداً من رجال وشخصيات الدين الإسلامي البارزين والشيوخ المرموقين للطريقة الصوفية التجانية في هذه المنطقة بغرب أفريقيا، الذين قاموا بنشاطات وخدمات إسلامية كبيرة ولعبوا أدواراً طليعية بارزة في نشر الدين الإسلامي وتقدمه في الغينيتين والسنغال. وكان عالمًا كبيراً وتقياً ورعاً. وهو مشهور بسخائه وكرمه وجوده. وكان شاعراً فصيحاً وبليغاً ألف عشرات من قصائد التضرع والاستغاثة الدعائية وقصائد المدح والرثاء والوصايا لأبنائه وتلاميذه باللغة العربية الفصحى.

وهذه قصيدة دعائية للمرحوم الشيخ الحاج هارون الرشيد جاللو، مشتقة من حروف الآية: «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً».

ود الذين كفروا لو نكفر
بربنا نحمده ونشكر

ردهم الله ورد كيدهم
على نحورهم وأفنى عددهم

دافعُ ياما نع ياحفيظ
حل بيننا وبين من يغيظ

آومن بالذات وباسم الذات
وباقي الأسما وبالصفات

لطيف ياصبور ياشكور
كن بيننا وبين من يجور

لاتخزنا بسوءنا فإننا
بك اتكالنا وأنت حسبنا

أنت الإله لا إله غيرك
ولا يكون الخير إلا خيرك

لك علينا المنّ والملك القديم
فأهدنا إلى صراطك القويم

ذبيتُ عن عرضي وعرض الدين
بحرمة التوحيد واليقين

يابر ياسميع ياعليم
أحكم لنا عليهم ياحكيم

فررت بالسنة والطريقة
إليك يامدبر الخليقة

يسر لنا إدراك ما نريد
إنك فعال لما تريد

ظلمت نفسي وأتيت باسطًا
كفي إليك راجيًا لاقانطًا

همي أن تنصرنا على العدا
وتنقذ الدين القويم والهدى

منًا علينا منك يامنان
ياالله يارحمن ياحنان

لطفك دلنا عليك يالطيفْ
فنجنا من كل ظالم مخيفْ
من المنافقين والذين
إن خولوا عزًا أهانوا الدين

ياعالمًا ما كان أو يكون
أنت لنا على الذي يخون

نعم الوكيل أنت يا نعم النصيرْ
يامن على كل المهمات قدير

أجـــعل لنا جـــمـــيع مـــانشـــاء
مـــوافـــقًا ربي لما تشـــاء

لاتنسنا ذكـــركـ يارب العـــبـــاد
وأحـي أرضـنـا بجـــمـــع وإيـاد

آمـــين آمـــين وصـــل دائـــمًا
علـيـــه والآل الكرام العظمـــا

رزاق يافـــتـــاح ياخـــبـــيـــر
ياكـــاشف الكروب ياكـــبـــيـــر

أتح لنا من ينصـــر المســـتـضـعـفين
ويأخـــذ العـــالين والمســـتكبـــرين

وافـــتـح لنا أبواب كل خـــيـــر
واصـــبب على الأعـــداء كل ضـــيـــر

كـــفـــيـــتنا ربا فنعم الرب
وأنت حـــســـبنا فنعم الحـــسب
فـــاحـــفظ علينا ديننا الإســـلامـــا
وثبت القلوب والأقـــدامـــا

أعـــيـــذ نفـــسي وأعـــيـــذ كل من
بنا تعلقـــوا بســـرّ وعلن

أعـــيـــذهم بالله والملائكة
من شـــر كل مـــشـــرك ومـــشـــركـــه

لكل مسلم من أهل السنة

من كل ما يدور في الألسنة

لا أشتكي إلا إلى إلهي

من ظلم كل آمر وناهي

إلهنا يامن إليه المهرع

ومالنا إلا عليه المهيع

لاتشمت الأعداء ربنا بنا

ودينك الذي رضيته لنا

مالي من حول ولا من قوة

إلا برب العرش رب العزة

وخذ بناصية من تصلبا

أن يوقظ الفتنة حتى يذهبا

مثل ذهاب الفارطين قبله

وألحق به اللعنة لا لعًا له

نسألك الله يامن وعدا

سائله على لسان أحمدا

يامن إليه ملجيء ومهربي

ومفزعي وموئلي ومذهبي

ناصـــــــر ياعـظـيـم ياعـلـي
ياحيّ ياقــــيـــوم ياقـــويّ

أنشـــر علينا عــــزة ونصـــرًا
على العـــدا ورحـــمـــة وبشـــري

قـــد جـاءنا أنكـ فـــضـــلاً تقـــبل
لمـذنـب إذا أتـاكـ يـســــــأل

إنكـ إن تغـــفـــر فـــأنـت أهل
وإن تعـــدل بنا فـــأين الفـــضل

لـين لـنـا قـــــاسي كـل قـلـب
وســــهلن مـــسلـك كل صــــعب

وأنـزل اليـــســـرى مكان العـــســـر
واكـــشف لنا مـــا ضـــاق منه صـــدري
كـن ربنـا عــــونًا لـنـا وناصــــرًا
واجـــعل لنا منك حـــجـــابًا ســــاترًا

نـشـكـو إلـيك عـــــزة الأعــــداء
وقـلـة الأنـصـــــار فـي الأنـداء

إلا إذا نـصـــــرتـنـا فـــــإنـهـم
ذلوا وهان الأمـــر إن خـــذلتـــهم

هذا دعـــاؤنا ومنكـ يامـــجـــيب
نـرجـــو إجـــابة الدعـــاء ياقـــريب

قـــد مـــسنا الضـــر وأنت أرحم
ونـشـــــتـكـي وأنـــت مـنـا أعـلـم

وهذا - كما ترى - نظم جيد بالنسبة إلى وضع اللغة العربية في هذه البلاد، وأما التظاهر بالإنتساب إلى التيجانية، فإنه كان السمة الظاهرة في البلاد في السنين الماضية. وقد صار بعض العلم الآن يدعون إلى الرجوع لما كان عليه الصحابة والسلف الصالح قبل وجود الطرق الصوفية.

جولة على جوامع بيساو:

ويسمونها المساجد يريدون بذلك الجوامع التي تصلى فيها الجمعة وهي ثلاثة في العاصمة أما المساجد الصغيرة التي تصلي فيها الصلوات الخمس ولا يُجَمَّع فيها فيدعونها الزاويا.

ولذلك أخبرونا أن العاصمة (بيساو) فيها ثلاثة مساجد و٢٩ زاوية.

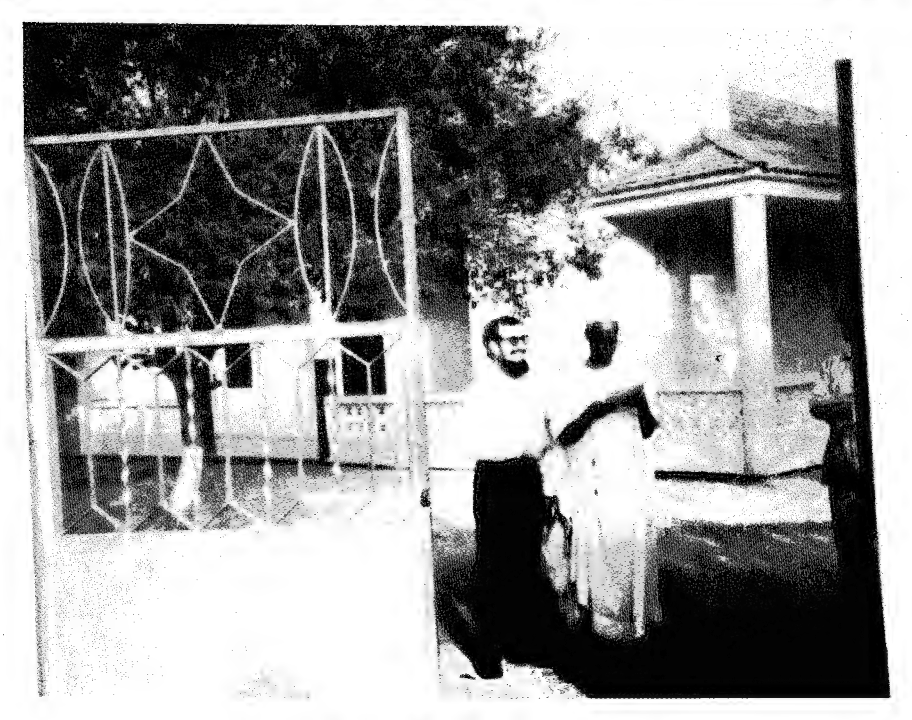
وهذا شبيه باصطلاح كان موجوداً عندنا وهو أن نسمي المسجد الذي تصلى فيه الجمعة بالجامع والذي لاتصلى فيه الجمعة بالمسجد فقط فنقول مثلاً لأحد البلدان: إن فيها جامعين وعشرة مساجد.

بدأت الجولة في السادسة عصراً، وكان من المقرر أن تبدأ قبل ذلك ولكن الإخوة تأخروا، وربما كان مرجع ذلك إلى بحثهم عن سيارة، ولكن الأمر سهل بالنسبة إلينا فلدينا سيارة رفيق صديقي الدكوري التي كانت معنا أمس وهو الأخ (مامادو تانكرا). كما أننا نستطيع أن نستأجر سيارة أجرة إلا أنهم لم يريدوا ذلك جزاهم الله خيراً.

كان رفقاء الجولة الأستاذ خليل بالدي والأستاذ يحيى كوتي نائب رئيس الجمعية والأخ الشيخ يحيى رشيد جاللو، وهو الذي كان مترجمنا هذا الصباح ويجيد العربية إجادة تامة ويتكلمها بطلاقة، كأنه أحد أبنائها، مع أنه لم يتعلمها في أي بلد عربي وإنما تعلمها في بلاده.

مسجد بيلو:

واسمه على اسم الحي الذي يقع فيه من العاصمة وهو حي بيلو ولم أرهم هنا يحفلون بتسمية المساجد بأسماء أشخاص أو حتى أسماء خاصة بها.



عند باب مسجد بيلو في بيساو

بني هذا المسجد في عام ١٩٧١م بناه المسلمون من أهل الحي من دون أن تصلهم أي مساعدة من الخارج لذلك.

وإنما كانوا يطوفون على الناس يجمعون منهم القليل القليل بعد صلاة الجمعة يسهم بعضهم بما يستطيع أو بما تجود به نفسه.

وذكروا أن الذي وضع حجر الأساس هو الشيخ هارون الرشيد جاللو والد مرافقنا الشيخ يحيى رشيد جاللو وقد توفى الأب عام ١٩٧٣م كما سبق ذكره.

ولهذا المسجد أربع صوامع قصيرة والصومعة عند إخواننا المغاربة ومنهم هؤلاء المسلمون الأفارقة الغربيون هي المئذنة عندنا غير أنها

تكون عندنا مستديرة وعندهم تكون مربعة تربيعاً كاملاً. وهذا أمر كان معروف في الأندلس تدل عليه المساجد الباقية في الأندلس والمساجد التي بنيت أو تبنى الآن في المغرب وريث الأندلس الذي حضن طائفة كبيرة من أهله عندما تغلب عليهم كفار الاسبان.

وله باحة خارجية غير واسعة، وذلك لوقوعه في حي سكني مزدحم، وفي فنائه شجرة من أشجار العمبة أو (المانقو) تتدلى ثمارها من أغصانها لأن هذا هو موسم ادراك ثمرها كما قدمت. وشجرة ماندرين وهو اليوسفي عندنا ولكن ليس فيها ثمر.



المؤلف عند منبر جامع بيلو في بيساو

وإلى الجنوب من المصلى الرئيسي خارجاً عنه قسم مغطى بالزنك تصلي فيه المسلمات وبخاصة في صلاة الجمعة.

وغرفة كبيرة واحدة مغلقة ذكر أنها تستعمل مدرسة أي كُتَّاباً لتعليم الكبار لا الصغار وأنهم الآن غير موجودين لإنهم يدرسون في الليل مبادئ الدين الإسلامي والحروف العربية.

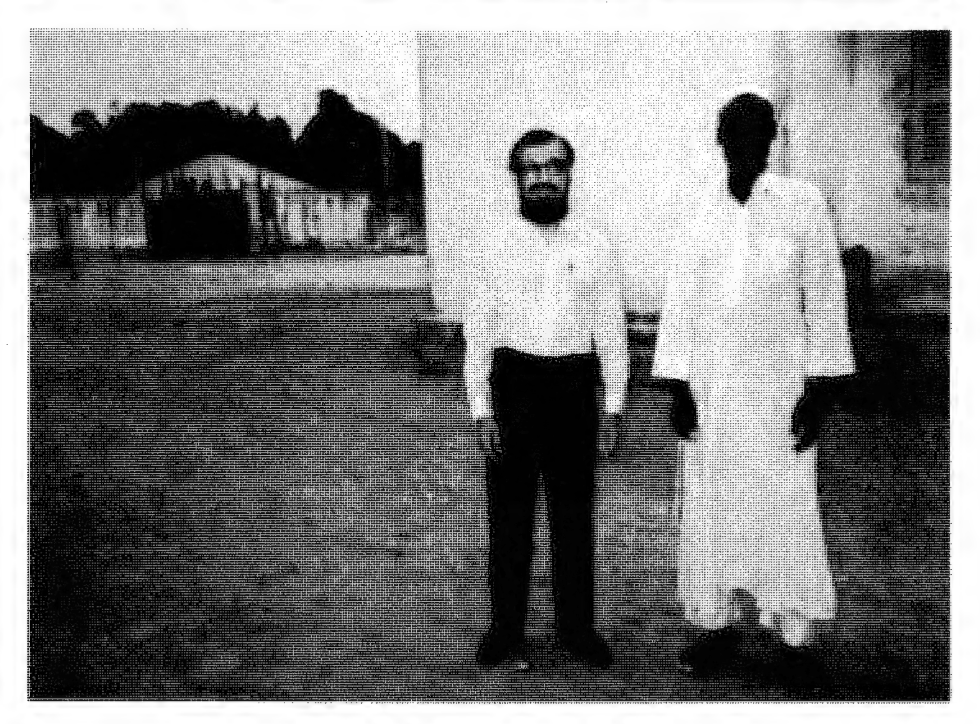
أما المسجد وهو المصلى الرئيسي فإنه غير واسع ومبني بطريقة تتجلى فيها البساطة وعدم التعقيد وليست فيه زخرفة أو تزويق.

وجدنا الإمام فيه واسمه الحاج محمد يحيى جالو وهو إمام من ثلاثة أئمة لهذا المسجد كلهم متبرع لا يتقاضى على عمله أجراً إلا من الله تعالى، وكذلك المؤذن.

وسألت الإمام عن عدد الذين يصلون أوقات الصلوات الخمس فلم يعرف وقال:

لا أدري .. لكن يصلي معنا خمسة صفوف والمغرب يكون المصلون أكثر.

وأما الجمعة فقد اجمعوا على أنه يصلي معهم خلق قد يصل عددهم إلى ألفين رغم كون المسجد لايتسع لأكثر من مائتي مصل في تقديري ولكنهم - كما ذكروا - يصلون في الساحات وفيما حوله حتى في الشارع. وقال الأخ يحيى جاللو: إن سفراء الدول الإسلامية يصلي بعضهم معنا الجمعة.



في جامع بيلو مع إمامه

ويقع المسجد على شارع يسمى بشارع الأمم المتحدة من حي بيلو الذي يتألف أكثر سكانه من المسلمين كما أخبرونا به.

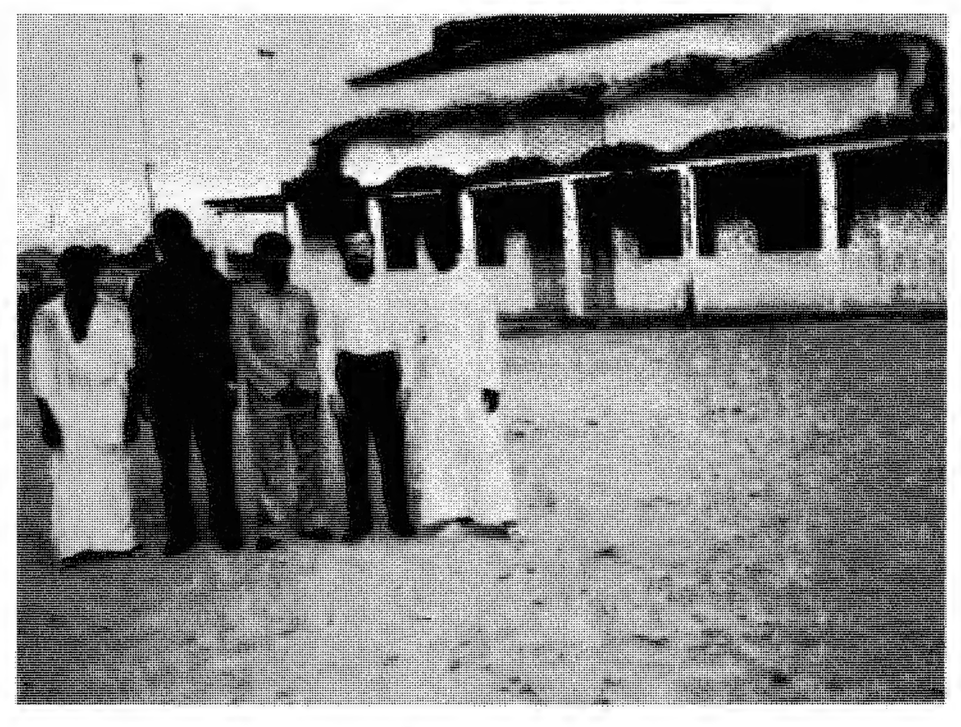
وشارع الأمم المتحدة هذا يتحد مع شوارع العاصمة المهمة في كونه خالياً من الأرصفة وإنما الزفلتة في وسطه ويحيط به تحت أعتاب البيوت مجرى المياه المستعملة المعتاد من جانبي الطريق كليهما.

مسجد حمد الله:

وهي بفتح الحاء واسكان الميم على صيغة الاضافة إلى اسم الجلالة وقد سمي المسجد بذلك على اسم الحي الذي يقع فيه وهو حي (حَمْدالله) الذي يغلب المسلمون على سكانه. بل قال لي الإخوة المسلمون: إن للمسلمين الأغلبية في العاصمة ولم اتحقق من ذلك.

وهو أقدم مسجد في العاصمة (بيساو) بني عام ١٩٦٦م تقام فيه الجمعة كما سبق، وله فناء واسع جيد ظننتهم يصلون فيه العيد فذكروا أنهم يصلونها في مكان واسع غير هذا المسجد.

ومع سعة فنائه الخارجي المكشوف هذا فإنه ليس فيه أشجار ولأي شيء يجلب الظل خلاف العادة عندهم التي يكون فيها في الأفنية أشجار ظل أو فاكهة لاتكلفهم شيئاً إلا في أول الأمر.



في جامع حمد الله في بيساو

ذكروا أن هذا المسجد بناه المستعمرون عندما بدأت ثورة الوطنيين عليهم مجاملة للمسلمين لئلا يقوموا مع الثوار.

أما سوره الطويل المدار على فنائه الخارجي فإن الجمعية الإسلامية هنا هي التي بنته.

ويقع على شارع يسمى (شارع كوركو) وهو أحد الأبطال الوطنيين الفلانيين - نسبة إلى الفلاني بالنون- وهم الذين نسميهم الفلاتة - بالتاء في بلادنا. كان قد ثار على البرتغاليين مع الثائرين فقتلوه. وذلك إبان حرب التحرير.

لم نجد في المسجد أحداً من القائمين عليه، لذلك كان مغلقاً رغم أن الجمعية كانت قررت زيارتنا منذ الصباح، وقد التقطت لهذا الشارع صورة، ومنعني ضيق الوقت من استجلاء المنطقة كلها إلا أنني رأيت أكثر من شخص من المسلمين عليهم اللباس العربي.

وفي جانب المسجد رأينا نساء معهن حزم من الحطب يبعنه للوقود وموضع الحطب من الأرض كموضع القمامة قد بعد عهده بالكنس أو التنظيف.

شارع اربعة عشر نوفمبر:

وهذا اليوم مهم بالنسبة للمسلمين لأنه اليوم الذي تنفسوا فيه الصعداء، وفيه جاءت حكومة غير متعصبة ضد المسلمين، بل هي محبة لهم هي الحكومة الحالية.

واليوم الرابع عشر هو اليوم الذي استولى فيه رئيس الجمهورية الحالي (جون برناندو فييرا) على الحكم حيث طرد لويس كابرال وهو يعيش الآن في البرتغال.

وهو شارع واسع ولكن ليس فيه من الصفات المعروفة في الشوارع الجيدة إلا السعة.

لأن الأزفلت الذي فيه غير جيد وهو مقتصر على وسط الشارع غير شامل له كله وليس فيه رصيف والمياه المستعملة في قنوات فيه غير جيدة بل هي واسعة الأعالي لأن جوانبها لم تبن بناء جيداً.

كما أن النظافة التي لا تحتاج إلى خبرة كبيرة ولا إلى نفقة كثيرة ليست على ما يرام فيه مثل أكثر الشوارع في خارج قلب المدينة إذ الشوارع في القلب القديم للمدينة والقلب الحديث نظافتها جيدة.

ومما زاد منظر الشوارع سوءاً كثرة الخنازير التي تجوبها هملا تأكل من القمامات والنفايات وأوراق الأشجار الكثيرة التي تسقطها الريح وقد تتعفن.

وذكر لي الإخوة أن الكفار من أهل البلاد يحبون لحم الخنزير ويفضلونه على لحم البقر والغنم فهو أغلى منهما وهذا خلاف العادة في أكثر البلدان التي تأكل لحم الخنازير. أن يكون الخنزير أرخص لحماً إلا أنواعاً يختارونها منه تكون أغلى من غيرها.

والغريب في أمر الخنازير في هذه المدينة اضافة إلى كثرتها أنها مختلفة الألوان مابين السود والحمر والرمادية اللون وكلها ذات أشكال قبيحة. كما أنها مختلفة الأحجام أيضاً.

وقد رأيت المسجدين السابقين مغلقين من جهة الشارع فذكر لي الإخوة أن المسلمين يحرصون على اغلاق الأبواب الخارجية في المساجد لئلا تدخلها هذه الخنازير.

مسجد بايرو أزودا.

أي مسجد حي آزودا. لأن (بايرو) تعني الحي بالبرتغالية وآزودا تعنى المساعدة.

وهو مسجد قديم بالنسبة إلى تاريخ بناء المساجد في هذه البلاد إذ بني في عام ١٩٦٧م.

دخلنا إليه مع فناء واسع جداً فيه عدة أشجار من أشجار الظل.

أما المصلى الرئيسي فإنه ليس بالكبير وليس فيه فرش إلا بسط قليلة قديمة مطوية غير كافية له. وسقفه يخر منه الماء ولذلك يحتاج إلى اصلاح، و قيل لي: إن (مسجد حمدالله) الذي وجدناه مغلقاً ولم يفتحوه هو أيضاً قد خرب سقفه من كثرة انهمار الماء منه حتى سقط جزء منه.

وهو كمسجد بيلو بسيط البناء خال من الزخرفة، بل حتى من الأشياء المعتادة في المساجد مثل المحراب المعتنى به أو المنبر إذْ ليس فيه منبر إلا مكان مبني بالأسمنت مرفوع عن الأرض بمقدار نصف متر.

وجميع ما في هذا المسجد يدل على العوز والحاجة.



جامع بايرو أزودا في بيساو

وهذا الحي (بابرو آزودا) لايؤلف المسلمون فيه إلا اقلية عددية أما الأكثرية من سكانه فإنهم كفار، إلا أن الأحياء القريبة منه فيها مسلمون كثير.

قابلنا إمام المسجد الحاج (شيخناسيسي) ذكر أن له نائباً في إمامة المسجد وأنه هو ونائبه يعملان في المسجد احتساباً للأجر من الله دون أي راتب بل دون أي أجر من الناس.

وذكر أن المسجد بني من تبرعات المسلمين وأن ما يحتاجه أيضاً يحصلون عليه من تبرعات المسلمين.

وفي المسجد كتاب لتعليم القرآن الكريم والكتابة بالعربية فيه (٢٣)

طالباً من صغار وكبار كلهم معهم الألواح الخشبية قد كتبت عليها مواد الدراسة فإذا حفظها الطالب أو تجاوزها محاها من اللوح الخشبي وكتب له الشيخ غيرها.

وهذه هي الطريقة القديمة التى كان الناس يتعلمون بها في بلادنا قبل أن نعرف الدفاتر والأوراق. وقد درست أنا نفسي في كُتّاب بجانب بيتنا أدخلني فيه أبي عام ١٣٥١هـ فكان معي لوحي ولم نكن نعرف غيره لا من ورق ولا دفتر في ذلك الكُتّاب.

وقد التقطت صورة للشيخ مع بعض طلابه الذين معهم الألواح لأنها أعادت إلى نفسي ذكرى مضت عليها الآن أكثر من ٥٨ سنة.



مع الطلبة معهم الألواح في جامع بايرو أزودا في بيساو

كـمـا رأينا في المسـجـد بعض الإخـوة المسلمين منهـم الأخ الحـاج (عباس امبالو) من كبار جماعة المسجد.

ثم عدنا إلى الفندق مسرعين.

مع نائب رئيس الجمهورية:

حان وقت لقاء نائب رئيس جمهورية غينيا بيساو ووزير الدفاع الأخ (يافاي كمارا) وهو أول مسـلم يتولى هذا المنصب الرفيع في هذه البلاد بعد أن كان المسلمون فيها محرومين حتى من الوظائف المتوسطة.

ذهبنا إليه في بيته مع الإخوة أعـضاء الجمعـية الإسلاميـة ولم نجد أمام بيته من الحراسة إلا جندياً واحداً مع أن بيته ليس فيه مايميزه عن البيوت الأخـرى المجاورة له شيء فهو بيت مـستقل مثل سـائر البيوت حوله فلاهو دارة (فيلا) ولا هو شقـة في بناء عام، وإنما يشبه (الفيللا) غيـر أنه ليس له حديقـة تلقاء الشارع فـصعدنـا درجاً من الشارع الذي يقع عليه البيت ويتمـيز هذا الشارع بأنه ذو رصيف لا بأس به ثم دخلنا الباب الخارجي للبـيت فوقعنا مباشرة في غـرفة استقبال واسـعة مؤثثة أثاثاً متـوسطاً وفيهـا تحف مناسبة وكـان فيهـا نائب رئيس الجمـهورية واثنين أو ثلاثة من كبار المسلمين.

كنت أنوي أن ألـبس الزي الرسـمي وهو الملابس العـربيـة في هذا اللقـاء لولا أن الوقت ضـاق عن ذلك فـذهبت بلبـاس معـتـاد وهو الذي نسميـه في بلادنا بالأفرنجي وما هو بالإفرنجي الآن لأنـه صار اللباس العالمي.

ووجدت نائب رئيس الجـمهورية لم يحتفل بلبـاسه أيضاً فقد اقـتصر على قميص قصير الكمين وذلك لكون الوقت حاراً.



نائب رئيس جمهورية غينيا بيساو يستقبل المؤلف

استقبلنا بترحاب حار، واحتضن ضيوفه عند اللقاء على عادة الشعوب التي تتمتع بقلوب بيض.

ثم جاؤا بالشراب البارد المعلب من البيبسي كولا وأشباهها، وانتظرت أن يبدأ الكلام فلم يفعل فبدأت أنا بأن أخبرته أنني كنت في جولة على بعض الأقطار الإفريقية الغربية التي ستنتهي بأنغولا إن شاء الله وإنني وجدتها فرصة مناسبة لزيارة الإخوة المسلمين في هذه البلاد لاسيما أنني أعمل في رابطة العالم الإسلامي التي مهمتها التعاون مع المسلمين في سائر أنحاء العالم على مافيه رفع شأن الإسلام والمسلمين.

وذكرت أن الرابطة لهذا السبب ميدان عملها واسع ومسئوليتها كبيرة، وأنها ترد إليها طلبات من المسلمين في كل العالم مما يجعل العاملين فيها لا يكادون يلاحقون ذلك لكثرته، لذلك يحدث في بعض الأحيان تقصير في الإجابة، وتأخير في الرد، وهو أمر يكون خارجاً عن الاختيار في أكثر الأحيان.

ثم قلت له: أننا بحثنا مع الإخوة أعضاء الجمعية في هذا الصباح لمدةساعتين أشياء كثيرة تهم المسلمين في هذه البلاد وشكوا إلينا بعض ما يعانونه من صعاب وطلبوا مساعدة الرابطة والرابطة مستعدة للنظر في طلباتهم والاستجابة لما هو بإمكانها أن تفعله منها.

وقد وافقناهم على تحويل تذاكر الحج التي أرسلتها الرابطة إليهم إلى تذاكر زيارة نستقبلهم فيها في غير موسم الحج الذي يكون الناس فيه منشغلين بأمر الحج وبخاصة المسئولين منهم ونقدمهم إلى الجهات المعنية في المملكة.

وكان يترجم كلامي من العربية إلى لغتهم الأخ يحيى رشيد جاللو.

فلما انتهيت من كلماتي بدأ كلامه بحماس وتأثر ظاهرين فقال: إن المسلمين كانوا إبان العهد الاستعماري محرومين من حقوقهم الدينية والسياسية وكانوا فقراء ولا يزالون كذلك ولذلك عندما جاء وفد من رابطة العالم الإسلامي من مكة المكرمة إلى هذه البلاد وقدم وعداً لهم بتوفير خمسين تذكرة للحج من الرابطة أخبرناهم بذلك ففرحوا وسروا واستعدوا للسفر. وبالفعل انتخبوا من بينهم خمسين شخصاً وأعدوا أنفسهم للسفر واعطيناهم الجوازات ولكن لم تأت التذاكر من الرابطة وقلق المسلمون غير أنهم ضعفاء ليست لهم المقدرة المالية ولم يكن لدينا

في الحكومة عملة صعبة يمكن أن ندفع منها تذاكر سفرهم ومع ذلك صادف أن بعض السفن الأجنبية غير المرخص لها دخلت مياهنا الإقليمية واصطادت منها بدون إذن منا فغرمناها نقوداً بالعملة الصعبة فأمر الرئيس أن تدفع قيمة تذاكر المسلمين الخمسين منها، وأن تقدم على أي شيء آخر فأمر المصرف الوطني أن يدفع للجمعية الإسلامية مائة وعشرة آلاف دولار أمريكي وأن تعتبر دينا على الجمعية.

وحج الحجاج الخمسون وبقي المبلغ حتى الآن ديناً على الجمعية الإسلامية للمصرف ولم تدفع الرابطة المبلغ المذكور.

ثم قال: إننا نقدر مسئوليات الرابطة وسعة أعمالها، غير أننا نرى أنها إذا لم يكن بإمكانها أن تدفع المبلغ المذكور فإنه لاينبغي أن تعطي وعداً بدفعه، إن إخلاف الوعد أمر مذموم.

ثم تكلم عن بلاده (غينيا بيساو) فقال: بلادنا منظمة ولكنها فقيرة وليس لدينا عملة صعبة وهي مشكلتنا، ويجدر بالمملكة العربية السعودية أن تساعدنا.

ثم قال إنني أنتهز فرصة وجودك هنا، وأنت على مستوى عالٍ لأتحدث معك بما تحدثت به.



مع نائب رئيس الجمهورية في غينيا بيساو في بيته

فلما فرغ من كلامه كررت له ماذكرته للإخوة أعضاء الجمعية الإسلامية ضحى هذا اليوم من اتساع أعمال الرابطة وضخامة مسئوليتها تجاه الإخوة المسلمين في جميع أنحاء العالم. وقلت له: إن ذلك لا يعني أننا لانبحث عن مساعدة الإخوة المسلمين في غينيا بيساو والذين لهم حق التقديم بالنظر إلى أنهم ظلوا محرومين من الاتصال بإخوانهم المسلمين في العالم الإسلامي، وبخاصة المملكة العربية السعودية غير أن ماذكرتموه من وعد وفد الرابطة بالتذاكر الخمسين لم أعرف أن رئيس الوفد كان مخولاً بالوعد بذلك، وهو بحكم موقعه في الرابطة لم يكن مطلعاً على الأمور المالية فيها ولم يكن مخولاً بالالتزام بمثل هذا المبلغ.

وربما كان لم يعد وعداً جازماً وإنما قال: إنه سيعرض الأمر على الرابطة.

والذي نفهمه أن الحج لمن استطاع إليه سبيلاً، أما الفقير الذي لايستطيع ذلك، - ومن الاستطاعة بطبيعة الحال - الحصول على تذكرة السفر بالعملة التي لابد من الحصول عليها كالعملة الصعبة فإنه لايلزمه الحج. فحبذا لوكان الإخوة المسلمون قد انتظروا حتى ترسل لهم الرابطة التذاكر التي طلبوها أو تعتذر عن إرسالها ويفتح الله لهم الباب الذي أرادوه.

أما وقد تم الأمر على ماذكر فحرصاً على مشاعر المسلمين وتلبية لرغبتهم في الحج فإن رابطة العالم الإسلامي ستنظر في أمر المساعدة على إيفاء ذلك الدين بدفع البعض ولكن ذلك يعني أن يتقدموا بطلب مكتوب للرابطة، في هذا الخصوص، وأن تسلموه لي وسوف ننظر فيه وأرجو أن لا تعتبروا هذا أيضاً من الوعد بوفاء المبلغ كله، وإنما ستنظر الرابطة - على ضوء المبالغ المخصصة لهذه الأمور الموجودة لديها - في دفع جزء منه.

ثم ذكر أيضاً شيئاً أشار إليه الإخوة المسلمون في جلسة الضحى معهم هذا اليوم وهو أن أئمة المساجد في غينيا بيساو ليست لديهم المعرفة اللازمة بفقه الصلوات ولاما يحتاجون إليه من ثقافة إسلامية عامة ويحتاجون إلى دورة تدريبية لتثقيفهم على غرار الدورات التي تقيمها الرابطة للأئمة والدعاة، وقلت له: إن هذا ممكن وسنحرص على أن نعتمد ذلك هذا العام وأن نكتب لهم بشأنه، وربما نتفق على التفاصيل اللازمة عندما يصل وفد الجمعية الإسلامية إلى الرابطة.

تبرع عاجل:

ثم أعلنت لهم أمامه بأنني أقدم الآن مبلغاً رمزياً حاضراً هو اثنا عشر ألف دولار أمريكي منها عشرة الآف دولار للترميم الفوري للمساجد التي رأينا أنها تحتاج إلى ترميم وألفا دولار لصندوق الجمعية مساعدة على الأشياء المكتبية الضرورية.

هذا مع تأكيدنا على الإخوة أعضاء الجمعية الإسلامية أن يسارعوا إلى وضع المخططات اللازمة لبناء مقر الجمعية على الأرض التي أعطتهم الحكومة إياها، وذلك من أجل أن يحصلوا على المبلغ الذي تبرعت به لهم المملكة لهذا الغرض وهو عشرة الآف دولار موجودة الآن لدى مكتب الرابطة في داكار الذي يديره زميلنا الحاضر معنا الشيخ عبدالوهاب الدكوري وإذا أنفقوا المبلغ ولم يكف لبناء المقر فإن الرابطة سوف تنظر في زيادة المبلغ بعد أن تتأكد أنه أنفق كله في محله وربما يفتح الله للجمعية تبرعات أخرى من جهات أخرى في المملكة أو غيرها وإنما المهم أن يبدءوا هم بالتحرك لأنه ليس من عادة الرابطة أن تتبنى إقامة المشاريع كاملة للمسلمين في أنحاء العالم، وإلا لاحتاج ذلك إلى مبالغ مالية طائلة لا طاقة لها بها.

وقد ضربت المثل للإخوة المسلمين اليوم بالمساجد في الصين الشعبية التي يزيد عددها على عشرين ألف مسجد وأكثرها يحتاج إلى إصلاح.

ناهيك بالمساجد في الهند مثلاً، وإن كان إخواننا مسلمو الهند من أنشط المسلمين في اقامة المساجد والمدارس بالجهود الذاتية وانما كانوا يطلبون إسهام الرابطة بالمساعدة على ذلك.

وقد اعجبني كلام نائب الرئيس الأخ(يافاي كمارا) وشدة حماسه للنهوض بالمسلمين ولكنني عجبت من كونه اعتبر ذلك الوعد أمراً لازماً فدعوت له بالتوفيق والنصر للإسلام والمسلمين.

وفي نهاية اللقاء قدمت له هدية رمزية هي ساعة يدوية مناسبة.

وودعنا حتى السيارة في الشارع حيث اركبنا بسيارته بدلاً من السيارة التي كانت معنا من قبل.

وكان قال لنا: انني أرى أن تسافروا إلى مدينة (بافتى) غداً للإطلاع على المساجد والمدارس فيها فهي تعتبر من المراكز الإسلامية في (غينيا بيساو) ثم سمعه الشيخ الدكوري يقول بالفرنسية لأحد المسلمين ليست لدينا سيارة فيمكنكم أن تأخذوا سيارة مدير البنك وتخبروه أنني أمرت بذلك.

وعدنا إلى الفندق ولكن الكهرباء انقطعت عنه لفترة في أول الليل، وانقطع الماء عن الفندق في آخر الليل.

وليس في الغرفة هاتف وإنما على من يطلب الهاتف أو يطلب منه أن يذهب إلى مكتب الاستقبال وهو بعيد عن الغرف وليست في الغرفة مرآة كبيرة يرى المرء فيها كيف يرتدي ثيابه.

وهذا أي عدم المرآة الكبيرة موجود في فندق نوفتيل في داكار الذي نزلت فيه، وتقاضى أجرة الغرفة مائة دولار في اليوم أي ضعف أجرة الغرفة في هذا الفندق، بل يتميز هذا عليه بأن في الغرفة ثلاجة انتفعنا منها في حفظ العمبة (المانقو) اللذيذة والماء المعدني الذي كان ثمن الزجاجة الواحدة منه ثلاثة دولارات في الفندق نفسه وهي مستوردة من فرنسا.

يوم الاثنين ١٤٠٩/١١/٢هـ ١٩٨٩/٦/٥م

إلى مدينة بافتى

وهي بفتح الفاء على وزن فتى، بمعنى شاب وفيها (با) وهي مقاطعة تسمى بهذا الاسم ومركزها وعاصمتها مدينة تسمى أيضاً (بافتى) وتؤلف مع مقاطعة جابو ما أسموه بالمحافظة الشرقية وتبعد المدينة عن بيساو مائة وخمسين كيلو متراً، وتبلغ نسبة المسلمين بين سكانها ٧٠٪.

والهدف من زيارتها هو الاطلاع على المؤسسات الإسلامية فيها من مدارس ومساجد ومن ثم الاطلاع أيضاً على ريف هذه البلاد، وطبيعة أرضها.

وقد أمر بهذه الرحلة لنا نائب رئيس الجمهورية عند مقابلته أمس.

وكان الرفقاء فيها هم رفيقي الشيخ الدكوري وهو المترجم من الفرنسية إلى العربية في كل الرحلة والأخ خليل بلدي رئيس قسم الشرق الأوسط و«آسيا» في وزارة الخارجية وهو يتحدث العربية كأهلها والأخ الحاج يحيى كوتي نائب رئيس الجمعية الإسلامية ولايعرف من اللغات العالمية إلا البرتغالية وشيئاً من الفرنسية.

بدأت الرحلة في الثانية والنصف ظهراً على سيارة يظهر أنها لمدير المصرف (البنك) وهي التي كان نائب رئيس الجمهورية قد أمر أن تكون معنا لأن وزارة الخارجية ليست عندها سيارة مناسبة وهي من طراز مرسيدس لا يعمل مكيفها ولذلك تركنا النوافذ مفتوحة لأن الجو في الظهيرة حار واكثر مافيها يحتاج إلى إصلاح.

سلكنا طريق المطار الذي يكاد يكون الطريق الوحيد المزفلت الذي يخرج من مدينة (بيساو) العاصمة إلى ما عداها من خارج البلاد.

ولم يكن المارة كثروا في الشوارع في هذه الساعة من الظهيرة، إلا أن الذين نراهم كانوا يسيرون في الشمس دون أن يشعر المرء بأنهم يتقونها، أويتفادون أشعتها فأنت ترى الرجل يسير في الشمس وليس على جسمه من اللباس إلا مايستر العورة من سروال قصير (تبان)، أما الحفاء وهو عدم الإنتعال فإنه ليس شائعاً فيهم.

وأول مارأيناه في الريف بيوت الطين التقليدية المسقفة بالقش وهي المعتادة في أكثر أنحاء افريقية وتجرى إقامتها أولاً بنصب عدد من العيدان، وربطها بعضها ببعض ثم طلائها بالطين ثم تسقيفها بالقش وجعل السقف بارزاً عن مستوى الجدار لكي يقيه من نزول الأمطار عليه.

وأحياناً يكون البناء بالبلاد الأقل رطوبة بالطين وحده مسقفاً بالقش، وقد رأيت بعد ذلك بيوتاً في الطريق بجانبها لبن الطين قد ترك ليجف في الشمس فذكرني هذا بما كنا نبنى به بيوتنا في الزمن السالف قبل التطور بل الازدهار الاقتصادي الحالي.



منزل تحت الإنشاء في الطريق إلى بافتى

إذْ كنا نجعل الطين لبنا، وإذا كنت لا ترى اللبن – بكسر الباء – وهو جمع لبنـة فانني أخبـرك بأنه من الطين الرطب الذي يجعـل في قوالب على حجم مـعين ويترك في الشمس ليـجف، وبعد أن يجف تماماً تبنى به الحيطان ولابد من طلائه بطين مخلوط بشيء من التبن.



اللبن عند البيت في ريف بيساو

وعلى ذكر الشـمس وحرارتهـا في هذه السـاعـة وهي أقل حرارة من شمـسنا في وقت القائلـة أقول: إنني رأيت طائفـة من أطفالهم الصـغار وهم عراة يلعبون في الشمس دون أن تضرهم فذكرت أطفال الأعراب عندنا وكيف كـانوا يعيشـون في الشمس ولا تضرهم مع أن صـغارهم يكونون عراة في الصيف.

ولاشك في أن العادة لها دخل في عدم الشعـور بأشعة الشمس مثلما ان أطفال الاسكيـمو قد يقـضون وقتهم عـراة في درجة حرارة لا تبـعد كثيراً عن الصـفر لأن ذلك يعتبر صيفـاً بالنسـبة إليهم ولا يضرهم ذلك البرد.

الريف الخصب:

وريف بيساو خصب وخاصة في عين من يكون مثلنا قادماً من بلاد جافة مثل بلادنا، أو في بلاد نصف جافة مثل السنغال.

ومع ذلك فإن الزراعة في هذا الريف هي قليلة.

وقد ذكروا أن الـزراعة المعتادة عندهم تكون على المطر ولم يـتعودوا الاعتماد على الآبار الارتوازية. أو سحب المياه من الأنهار بالمضخات أو بالمحركات.



من السيارة ريف بيساو في الطريق إلى بافتى

وبمناسبة الحديث عن الزراعة سألتهم عن الطعام الرئيسي لعامة الناس فأكدوا أنه الأرز وأن بلادهم تنتج منه مقادير كانت كافية لهم غير أنها الآن لم تعد كافية وهم يستوردون مقادير من الأرز من الخارج.

بلدة نياقارا:

وصلنا إلى واد غير واسع فيه عدد من المستنقعات ذكروا أنهامن المطر وأن الوادي يسمى وادي نياقارا إضافة إلى بلدة (نياقارا)، وفي هذه المستنقعات طيور بيض بل ناصعة البياض من الغرانيق.

وعلى هذا الوادي جسر خرب صار الناس يتجنبونه ويمرون بجانبه.

ولم أر فيما رأيته من هذا الوادي أشجاراً مثمرة وإنما فيه أعشاب برية ملتفة.

وبعد الخروج منه كانت هناك تجمعات لبيوت إفريقية تقليدية التي هي الأكواخ من القش الخالص سواء في ذلك حيطانها أو سقوفها.

ثم دخلنا بلدة (نياقارا) وأول ماشاهدنا منها بيوت الطين المسقف بالقش ومزارع فيها أعداد قليلة من البقر، ومجموعة من الأواني الحمر المصنوعة محلياً من الطين المفخور - على هيئة ليست جيدة. وقد عرضها أصحابها في شارع البلدة الذي هو جزء من الطريق من أجل البيع.

وماعز قصير الأرجل، ضخم البطون. صغير الحجم بالنسبة إلى جسم الماعز عندنا.

وأهم معالم (نياقارا) برج عالٍ لتقوية الإذاعة ذكروا أنه سيكون أيضًا لتقوية التلفزة التي لاتوجد الآن عندهم ويستعدون لبدء البث بها في شهر يوليو المقبل.

أما البيوت التي على شارعها العام فإنها من الطين المسقف بالصفيح الأبيض.

وفيها أشجار ضخمة تحت ظلالها جماعات من الناس كالذين رأيناهم في العاصمة بيساو يكونون تحت ظلال الأشجار إما لمجرد قضاء الوقت أو لبيع مالديهم من سلع قليلة أو حتى لمجرد الالتقاء بالآخرين.



القوم تحت ظلال الأشجار في الطريق إلى بافتى

ولم نقف في (نياقارا) هذه وتعتبر قرية بالقياس إلى البلاد الكثيرة السكان ولكنهم يعتبرونها هنا بلدة أكبر من القرية بالقياس إلى مدنهم القليلة السكان. بل إلى دولة (غينيا بيساو) التي لايزيد السكان فيها على حوالي المليون نسمة.

وبعد مفارقتها وقعنا في ريف غير مستغل، فأكثر أراضيه ليست مزروعة.

ومن المناظر التي رأيتها هنا منظر جماعة من القرويين تحت سيارة نقل كانوا يركبونها، ثم استظلوا بظلها. فبقوا تحتها اتقاء للشمس، كما كان المسافرون في بلادنا يصنعون في الزمن السالف غير البعيد عندما تتعطل سياراتهم في الخلاء.

وفي هذا الريف كثر منظر أهرامات الأرضة وهي التي يسميها بعض الناس بالنمل الأبيض وهو نوع آخر من فصيلة الأرضة وتبنى بيوتها على هيئة أهرامات صغيرة أو إن شئت قلت أبراج صغيرة سيان إلا أن كونها أبراجًا قد يكون أصدق في وصفها لأنها تسكن هذه الأبراج وتهاجم الأشجار من خلالها.

ولقد رأيت عدة مرات في هذا الطريق أبراج هذه الحشرة قد بنتها على جذع شجرة ضخمة أو بجوارها فقضت على الشجرة فخرت صريعة الحشرة الضعيفة.

وربما لا يكره بعض الأهالي الفقراء صنيع هذه الحشرة لأن ذلك يوفر لهم وقودًا يابسًا سهل التناول بعد أن كانت الشجرة خضراء يصعب قطعها.

والطريق الذي نسير عليه مزفلت وهو على حالة لا بأس بها لولا أن فيه مواضع تحتاج إلى ترميم وقد أخبرونا أنه أنشىء في عهد الاستعمار.

والسيارات التي تسير عليه في هذا الوقت ليست كثيرة.

قرية نيوما:

وهي أشبه بالمخيم منها بالقريةالحضرية، تتألف من أكواخ من القش متفرقة إلا أن فيها ما هو قريب بعضه من بعض ومحاط بأسوار، أو لنقل باحواش من الأعواد ذكروا أنها تكون عادة لأسرة واحدة كثيرة العدد كأن تكون للرجل وزوجاته وأولاده.

ثم كثرت أشجار الأخشاب المغروسة على جانبي الطريق منذ وقت طويل لأنها صارت كبيرة وارفة الظلال كثير منها ترى الأهالي تحتها يتقون الشمس في ظلالها وذلك لكون الجو صاحيا، بل شامساً.

ومن الطريف الذي رأيته في هذا الجزء من الطريق حزم من أنواع من الأعواد المستقيمة من القش وتبين أنها أعداد من نبات يشبه القصب ينبت عادة في الماء والمستنقعات وهم يجمعونه حزماً غير كبيرة ويبيعونه لأنه يصلح في تسقيف الأكواخ من القش، وهم يعرضونها للبيع على الطريق حتى يشتريها من يحتاجها في ترميم بيته.

ويسمون هذا القصب (مَنْسُوَّى).



الأعواد التي تبنى بها البيوت في غينيا بيساو

قبيلة بالانت والخنازير

رأيت أكواخاً من القش وهي المنازل التقليدية الخالصة وعندها صبية من صبيان البلدان الإفريقية الأصيلة وإن كانوا ليسوا قريبين في الموقع من خط الاستواء فهم من الذين يسميهم الأوروبيون بالزنوج وبعضهم يسميهم (البانتو) وهم في نهاية السواد وتتجلى فيهم المظاهر الجسمانية الإفريقية وأكثر ذلك بروزاً كون صغارهم ليس عليهم ثياب واما المتوسطون فيهم الذين هم في السابعة فما فوق فليس عليهم إلا ما يستر العورة.

طلبت أن التقط معهم صورة فرحبوا بذلك بسرور وصاروا يتسارعون إلى الاقتراب مني لكي يظهروا بوضوح في الصورة.



أطفال في ريف غينيا بيساو

والتقطت صورة أكواخهم.

وهؤلاء من قبيلة (بالنت) التي لاتزال الأكثرية منها وثنية لم تدخل في المسيحية ولا في الإسلام والداخلون منهم في الإسلام على قلتهم هم أكثر من الداخلين منهم في المسيحية.

ورأيت خنازير قرب بيوتهم ولم أر غيرها من الماشية. فأخبرنا الإخوة المرافقون أن لحم الخنزير عند الكفار من الوثنيين والمسيحيين أغلى من لحم البقر والغنم. وأنهم يحرصون على تربيتها.

وهذا من أسباب كثرتها في شوارع العاصمة كما سبق.

ومعلوم أن الخنازير أسهل تربية من الأنواع الأخرى من حيوان اللحم، لأنها تأكل الحشائش كما يأكلها وتزيد على ذلك أكل القمائم

والقذرات، فتجدها تطوف وتضع في أفواها أشياء مستكرهة يعافها الحيوان الآخر.

وأخبرونا أن الخنازير البرية المتوحشة موجودة أيضًا في البلاد وأن الكفار يقتنصوها إلا أنهم يكونون على حذر منها لشراستها وعدوانيتها.

مفترق الطرق:

ومفترق الطرق ينوه به في البلدان المتخلفة لإنه يدل على وجود طرق متعددة وهو أمر سار. وصلنا إلى مفترق الطرق بعد العاصمة بيساو بسبعة وخمسين كيلو مترًا.

حيث يذهب طريق منه إلى محافظة (فارن) وطريق إلى محافظة (ووي).

وفي هذا الريف بيوت قليلة متفرقة رأيت بقرب أحدها مسلمًا عليه الملابس العربية من قميص طويل وقلنسوة (طاقية) على رأسه.

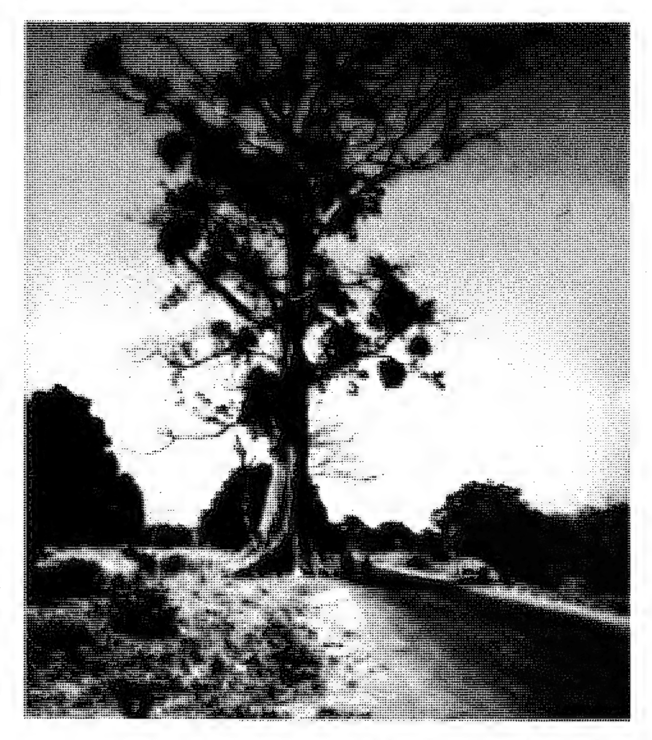
وامرأة غير مسلمة عارية الصدر تمامًا.

وعلى الطريق عرضوا حزمًا من الحطب للبيع، لأن الايقاد بالحطب هو الشائع.

قرية سالالا:

قبل الوصول إلى هذه القرية رأيت الشجرة العملاقة الموجودة في أكثر البلدان المطيرة غير البعيدة من خط الاستواء في افريقية وهي

أضخم الأشجار الضخمة فيها من حيث غلظ السوق والفروع ويستفيد السكان منها فوائد متعددة منها أنهم يتخذون من أوراقها خضروات تطبخ مع المرق وتؤكل ولذلك لايرى المرء على الأجزاء القريبة من يد المتناول منها أوراقًا، وأحيانًا تكاد تخلو كلها من الأوراق ويسمونها (سيتو).



الشجرة العملاقة في ريف غينيا بيساو

وقرية سالالا صغيرة فيها نخيل غير كثيرة من نخيل الزيت الذي ينتفعون بزيته على أوجه كثيرة من أهمها أنهم يتخذون منه إداماً للطعام. إلا أن أكثر هذه النخيل الزيتية غير نضر. كما أنها ليست في ضخامة النخيل المعروف لنا عند خط الاستواء الذي يكون أغلظ من نخيل التمر فهو في هذا الأمر على طرفي نقيض مع نخيل النارجيل

الذي يكون نحيف القوام. وتأتي نخلتنا العربية المباركة نخلة التمر الذي هو فاكهة وغذاء فتكون في غلظ القوام بين النخلتين الاستوائيتين، ثم رأينا قطيعاً من الأبقار البيض بل الناصعة البياض وهي ترعى في هذا الجو الذي يصبغ الأجساد بالسواد أجساد بني الإنسان لا أجساد الحيوان.

قرية تامامدو:

وفيها رأينا ماعزاً أبيض صغير الحجم كبير البطن قصير القوام. ربما كان قصر قوامه سببه أنه يرعى في بلاد خصبة كثيرة الحشائش والأعشاب فلا تحتاج إلى قوائم طويلة ترتفع عليها حتى تتمكن من أكل الورق في أغصان الأشجار مثلما تحتاج إليها الماعز عندنا.

وبيوت القرية من الطين ذي اللون الأغبر، أكثر ما رأيت فيها الأطفال الذين يكاد يجزم الناظر إليهم أنهم كلهم خارج بيوتهم ليس فيها منهم أحد، وذلك لضيقها وسعة الأرض الفضاء عندهم.

وبعد أن تجاوزنا هذه القرية رأينا أرضا أحرقوها من أجل أن يزرعوها زراعة حقلية، وإحراق الأرض أسهل في القضاء على الأعشاب الوحشية النامية فيها، وعلى الأشجار التي ليس فيها نفع عاجل من قطع الأخشاب وإزالة الأعشاب كما أن الرماد المتخلف عن إحراق ذلك يخصب الأرض.

وهذه طريقة معروفة في كثير من البلدان المطيرة ذات الأعشاب والأشجار الكثيرة.

ولاحظت في تجمع لبيوت من أكواخ القش التقليدية أنهم يتأنقون في بعضها بحيث تبدو سقوفها كأنما صبغت بصباغ إما أن يكون في أصل

القش أو السعف الذي صنعت منه السقوف أو أنهم يصبغونها بصباغ فتبدو طرائق ملونة جميلة.

وذكرت بهذه المناسبة أن بني قومنا كانوا في القديم يلونون الحصر التي يسفونها من سعف النخيل بحيث تبدو كأنها البساط الذي تأنق ناسجوه في صبغه.

بل هي تشبه بيوت الشعر التي تكون في نسجها طرائق سود وطرائق بيض.

ولاحظت الفرق بين بيوت القش الإفريقية وبين بيوت الشعر العربية الصحراوية أن الإفريقية يجعلها أهلها تحت ظلال الأشجار العالية أو قريبة منها بحيث تختفي فيها على من يقدم إليها من جهة من الجهات على حين أن بني قومنا من الأعراب ينصبون بيوتهم في مكان مرتفع من الأرض، ويمتدحون بذلك من أجل أن يراها من يكون في حاجة إلى الاستضافة في الصحراء التي لم يكن فيها شيء يباع أو يشترى. ويذمون من ينصب بيته في وادٍ خفي لايطلع عليه إلا من قرب منه أو جاءه من جهة معينة يتهمونه لذلك بأنه يريد أن يخفي بيته عن الضيفان.

نهر بافتي :

وصلنا نهر (بافتى) وليس هو بالكبير في الوقت الحاضر بمعنى أن المياه التي تجري فيه ليست في كثرتها كالمياه التي تجري في الأنهار الكبيرة ولكن واديه واسع وظاهر منه أن المياه كانت تملأه في القديم.

وقد أكد المرافقون لنا ذلك وقالوا: لقد كانت البواخر تسير فيه أيام الاستعمار، ولكن قلت الأمطار في السنوات الأخيرة عما كانت عليه قبل عشرين سنة.

وقلت لهم: قد يكون للمحل والجدب الذي ران على دول الساحل الصحراوي التي تقع عنكم جهة الشمال فتوقفت فيها عنهم الأمطار علاقة بذلك.

غير أنه يذكر هنا أن الأمطار عادت تهطل على تلك الدول في أوقاتها المعتادة، وهذه البلاد الغينية البيساوية لاتشكو الآن من جدب أو جفاف ولكنها المقارنة بين ما كان في القديم والحديث.

ويبعد نهر (بافتى) عن العاصمة المحلية مدينة (بافتى) (٣١) كيلو متراً.

وهي عاصمة لولاية (بافتى) من دون تغير في اللفظ أو الحروف لهذه الكلمة التي جمعت هذه الأماكن الثلاثة في لفظ واحد لاشك أن الأصل فيها هو اسم النهر لأنه أقدم من التقسيم الإداري ومن بناء المدينة.

قرية بان تان جان:

ولفظها غريب على لغات القوم الذي يسكنون في هذه المنطقة وأكثرهم من الماندنق وفيها معهم أقوام آخرون من أهل العراقة التاريخية والسابقة في الإسلام فهم من أهل سلطنة مالي العظيمة التي سجلها مؤرخونا العرب باسم سلطنة (مالي) وسلطنة السودان وسلطنة التكرور، وهي تسميات متعاقبة على مدى الدهور.

إلا أنه كان يسكن في هذه المنطقة جماعات من الأفارقة لايزال بعضها موجوداً فيها قبل أن يغلبهم عليها الماندنق والفلانيون والسرقليون ومن التحق في تلك الأقوام السودانية العريقة التي كانت تسكن في بلاد مالي في الشمال.

ونرجو أن ننبه هنا إلى أن المراد بنسبتهم إلى السودان هنا نسبتهم إلى السودان التاريخي العريق الذي ملأت أخباره صفحات ولا أقول سودت صفحات كثيرة من تاريخنا لئلا يشتبه سواد المداد بسواد العباد فيظنه بعض القراء سواداً في الأعمال وهو سواد فيما تركه الأجيال للأجيال من الأمجاد.

فالعرب القدماء لم يعرفوا سوداناً غير ذلك السودان الغربي الذي كانت قاعدته في زمن ازدهاره بلاد مالي العريقة.

أما السودان العربي – بالعين المهملة – الذي يعرف بهذا الاسم الآن وعاصمته الخرطوم فإن تسميته بذلك محدثة لم تكن معروفة بحدودها ومدلولاتها في كتب التاريخ العربي القديم.

ونعود إلى غرابة اسم هذه القرية الغينية البيساوية ولا أدري لِمَ لَمْ يقتصر أهل غينيا بيساو على تسميتها باسم (بيساو) مجرداً من غينيا الذي اشتركت فيه معها عدة بلاد كما سبق.

ولو كانوا فعلوا ذلك لأراحونا من كتابة كلمتين في النسبة إلى بلادهم فكانت النسبة إليها بكلمة واحدة.

نقول أنه ربما كانت تسمية القرية من لغات الجماعات القديمة التي تسكن هذه المنطقة قبل أن يحل عليهم فيها الأقوام الذين كانو في

(مالي) القديمة حتى ولو كانت التسمية حديثة فأصل الاسم قد يكون قديماً.

الآبار السعودية:

وهي آبار غينية بيساوية حفرتها المملكة العربية السعودية للإخوة البيساويين الذين يحتاجون إلى مياه الشرب من الآبار في عدة مناطق من البلاد.

وقفنا عند بئر منها ويستخرج الماء منه بمضخات يدوية يضغط عليها باليد، فينبع الماء والبئر مرفوع عن الأرض كثيراً ومحاط بحواجز إسمنيته عالية كيلا تصطدم به السيارات. ولئلا تصل إليه الدواب.

وقد رفعت عليه سارية من الحديد كتب في لوحة أعلاها باللغة العربية: «لا إله إلا الله محمد رسول الله، هدية من المملكة العربية السعودية إلى شعب غينيا بيساو» وأسفل من ذلك ترجمة هذه العبارة بالفرنسية.

ومما أسعدني أن رأيت عليه جماعات من النساء والأطفال عديدين وهم يروون منه الماء وقد اجتمعوا عليه يجذبون الماء بالمضخات التي هي أكثر من واحدة على البئر الواحدة.



مع الأطفال عند البئر السعودية في الطريق إلى بافتى

وهذه البئر تقع بجانب الطريق العام وتنتصب شاهداً على مساعدة المملكة العربية السعودية، ورأينا بئراً أخرى عليها حشد من المستقين.

وكان عدد من النساء والأطفال تحت ظل شجرة ضخمة من أشجار العمبة (المانجو) التي تكثر في المنطقة قد تبادروا إلى عرض ثمار العمبة الناضجة الكبيرة بأسعار زهيدة جداً لأن هذا هو موسم إداركها وقد اشترينا منهم شيئاً منها وهم يفعلون ذلك مع ركاب السيارات التي تعبر هذا الطريق مثلنا.

وذكر لي الشيخ عبدالوهاب الدكوري أن هؤلاء من المندنق وذلك بعد أن تحدث معهم لأنه يفهم لغتهم التي هي مع لغته الأصلية وهي

السراقولية وشقيقتها البامبراوية من أصل واحد كاللغة السامية القديمة المفترض أنها أصل اللغات السامية الحية الآن مثل العربية والعبرية والأرامية والسيريانية والحبشية.

وتبعد قرية (بان تان جان) ٢٦ كيلو متراً من مدينة (بافتى).

وذكر لنا المرافقون من أهل البلاد أن أهلها كلهم مسلمون.

ومع ذلك رأيت امرأة من المستقيات من البئر ليس على النصف الأعلى من جسمها شيء من الثياب وهي في منتصف العمر ولا أدري أهي من المسلمين أم من غيرهم.

ومما يجدر ذكره هنا أن الحجاب الذي نعرفه في بلادنا وفي كثير من البلدان الإسلامية غير موجود على النساء في هذه البلاد بل حتى في المنطقة المسلمة في افريقية الغربية، والمتسترة من المسلمات هي التي لايرى منها، إلا وجهها ويداها.

وهناك مسلمات يكشفن عن أكثر من ذلك من أجسادهن، ولا ينكر عليهن أولياء أمورهن ذلك لغلبة العادة عندهم في هذا الأمر، لكن التبرج بمعنى تعمد إظهار مفاتن المرأة أو زينتها غير موجود أيضاً، وإنما تظهر المرأة ماتظهره مما تستره المسلمات الأخريات في البلدان الإسلامية بطريقة يعتبرونها عفوية غير متعمدة، وذلك أمر شائع بل شامل للنساء في بلادهم.

وهو أمر قديم فيهم رآه الرحالة ابن بطوطة قبل سبعمائة سنة، فعجب منه واستنكره حتى إنه رأي زوجات القاضي وبناته لايتسترن فذكر ذلك لهم فضحكوا منه.



باعة المانجو في الطريق إلى بافتى

أما الجو في هذه الساعة فانه ذو شمس حارة ولكن الهواء ليس حاراً فهو خال من السموم ولذلك لايشعر من يتعرض له بالحر وإنما يشعر بذلك من يكون في مكان لا يصل إليه النسيم، بل يتعب ويتصبب عرقًا.

قرية مين جان بان:

وهذه قرية لا تبعد عن سابقتها غير أنني رأيت فيها عجبًا وذلك أن بعض البيوت فيها ولا شك في أنها من بيوت الوجهاء أو الأغنياء، هي مبنية بالطين ومسقفة بالقش مثل سائر البيوت خارج المدينة ولكن رأينا فيها نوافذ عربية عريقة تشبه نوافذ كنا نجعلها في بيوتنا الطينية

قبل التطور الاقتصادي الأخير في المملكة تكون صغيرة على هيئة مثلث رأسه إلى أعلى ولا تكون عليه أبواب.

وهذا يعني أن أربابها من ذوي الحضارات العريقة الذي كانوا احتكوا بالعرب والمسلمين منذ القديم.

وقيل لي إن سكانها هم من الفلانيين.

وليس كل بيوتها من الطين المسقف بالقش وإنما فيها بيوت كلها من القش على هيئة الأكواخ الافريقية الشائعة.

وفي المعروضات التي عرضوها للبيع على الشارع العام الذي هو الخط الازفلتي حزم من الحطب الجزل لمن يريد أن يشتريها ويحملها بسيارته إلى أماكن أخرى أو من يريد من ذوي المساكن القريبة شراءها.

هذه بافتى:

في الرابعة والنصف بدت لنا مدينة (بافتى) وكان أول معالمها جسراً على نهر بافتى الذي كنا قطعناه في منطقة أخرى ماءه أقل مما كان في تلك المنطقة وعلى ضفتيه حقول خضر من الأرز وسط تربة سوداء مما يجلبه النهر من الطمي.

وقد أصبح الطريق عند مدخلها أوسع وأحسن مما كان قبلها مع أنه لم يكن سيئًا قبل ذلك.

وكان دليلنا في الرحلة الأخ خليل بلدي.

توقفنا عند بيت الحجي – أي الحاج – (محمد يورو سعيد) وهو فلاني. بالنون – أي من الفلانيين الذين نسميهم في بلادنا الفلاتين أو الفلاتة.

حي نعمة:

ويقع بيته في حي نِعْمة – على لفظ مفرد النعم من الله تعالى وسكان الحي كلهم مسلمون.

بيوته كلها من الطين المسقف بالقش وذات أسوار من القش أو الطين – وليس في شوارعه ازفلت.

ذكروا أن الذي سمى الحي (نعمه) هو الأخ مامادو سيدي و (مامادو) تعني محمداً وكان ضابطًا في الجيش.

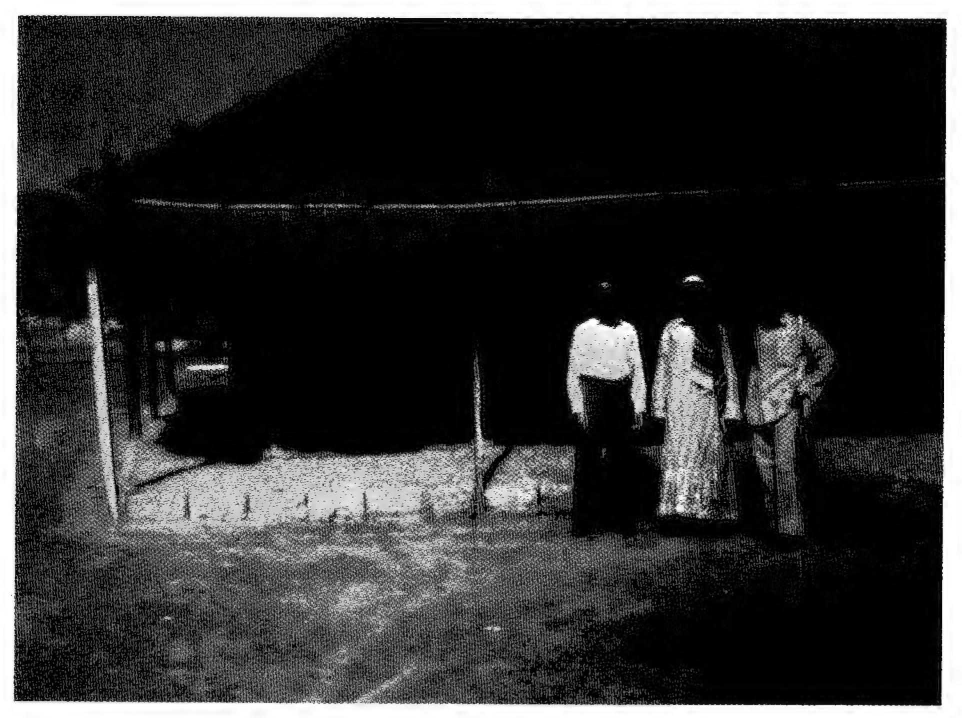
كما ذكروا أن أول انشاء الحي يرجع إلى سبعين سنة لأن الأخ (محمد يورو سعيد) ولد فيه وعمره الآن فيما ذكر ثمان وخمسون سنة وهو موظف في وزارة العدل.

وفي الحي مسجدان ومدرسة واحدة.

مسجد نعمه:

وهو كسائر الحي مبني من الطين ولكنه مطلي بالجص الأبيض من الداخل حتى يكسبه الجمال والقوة ومسقف بالقش سقفاً اضافياً على شكل سنام من أجل أن يبعد مياه الأمطار عن أن تنزل على حيطانه الطينية فتجرف شيئًا منها.

ويصح أن يسمى حسب اصطلاحهم بالزاوية اكثر مما يصح أن يسمى بالمسجد فالمسجد - في عرفهم - هو الذي تصلى فيه الجمعة والزاوية هي المسجد الصغير الذي تصلى فيه الصلوات الخمس، ولا يجمع فيه.

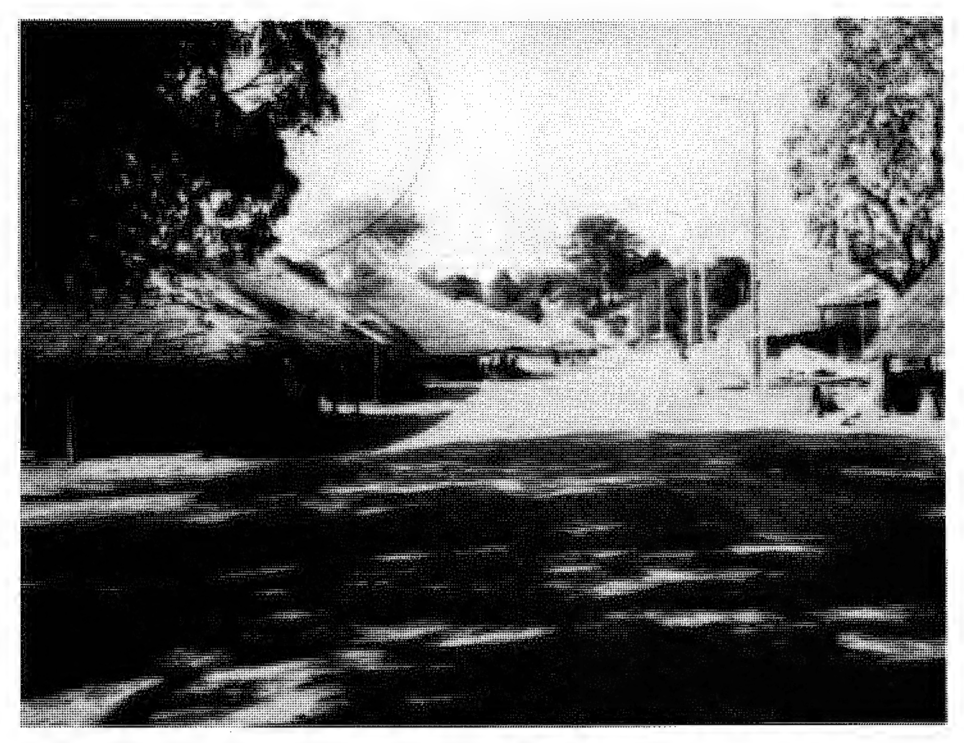


المؤلف مع إمام مسجد نعمه في بافتى

وهو صغير ومع ذلك له ثلاثة أبواب من أجل أن يتخلله الهواء الطبيعي وهو وسيلة التبريد الوحيدة.

وذكروا أن الذي قام على بنائه هو الأخ الحاج (محمد يورو سعيد) نفسه، وقد قام على بنائه من ماله ومن مساعدات المسلمين رغم كون المسجد صغيراً.

وقال مرافقنا الأخ خليل بلدي رئيس قسم الشرق الأوسط والبلدان العربية في وزارة الخارجية: أن والدي هو أول من أم في هذا المسجد.



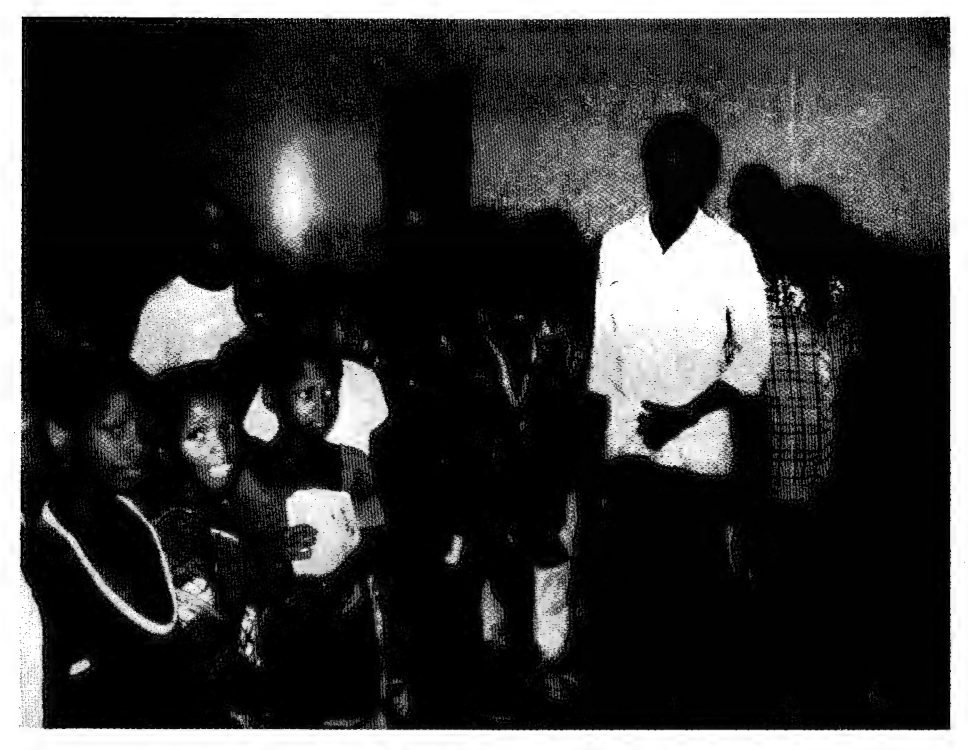
شارع في حي نعمه

اجتمعنا في الحي بعدد من الإخوة المسلمين من سكانه والتقطنا معهم صوراً تذكارية. ثم صحبنا الحاجي (محمد يورو سعيد) إلى:

مدرسة بافتى:

ويقولون لها المدرسة الكبرى في بافتى، فرأينا طلابها عندما وصلنا هم في فسحة بين درسين وقد انتشروا خارج المدرسة وحق لهم أن يفعلوا ذلك لأن المدرسة غرفة واحدة كبيرة خالية من المقاعد أو الفرش، ولذلك وضعوا كسراً من لبن الفخار، أو الاسمنت بمثابة

المقاعد وهي غير متساوية لذلك تميل بمن يجلس عليها، ويظل في شغل شاغل من جلوسه فوقها ولاشك في أن الأرض على كونها مبلطة بالاسمنت الأقرع هي أكثر راحة من هذه المقاعد التي لاتتسع لمقعد الطالب أما رجلاه فهما على الأرض.



المدرس مع تلاميذ المدرسة في بافتى في غينيا بيساو

وجدنا مع أحد الطلاب الذين هم خارج المدرسة واسمه (كاستيو درامي) خرنقًا وهو الصغير من الأرانب أشهب اللون وصغير الحجم يشبه الأرانب البرية التي تعيش في الحرار - جمع حرة - وهي الأراضي ذات الحجارة السوداء تكون الأرنب فيها شهباء، تميل إلى السواد حتى لا يتعرف عليها أعداؤها من الأناسي والصقور الجارحة عن بعد.

فسألت الطالب عما معه فقال بالعربية (أرنب). وقال المرافقون والعاملون في المدرسة إن الطلاب حتى الصغار منهم يجيدون العربية.

استقبلنا في خارج المدرسة مديرها الحاج محمد صالح بلده وهو فلانى من أهل (بافتى) ومساعده محمد كاندي من أهل البلدة أيضاً ومعهم مدرسان من الإخوة المصريين مبتعثان من الأزهر الشريف أحدهما الشيخ رمضان على عبد البر والثاني الشيخ محمد أبو الفتح بن علي محمد منصور وكلاهما من كلية أصول الدين.

وقد جهد أحدهما يكرر على مسامعي أنهما من الأزهر وأن الأزهر في مصر ليثبت هذه المعلومة الأخيرة في ذهني وهي أن الأزهر في مصر. فقلت له: أفادك الله ياشيخ.

أحاط بنا المدرسون والطلاب فكانت المعلومات التي حصلناها منهم عن المدرسة وبعضهم يصدق بعضاً أن طلابها مائتان من الذكور والأناث، وعدد المدرسين فيها أربعة. منهم الشيخان المصريان اللذان يدرسان أيضا في مدارس أخرى محتاجة إلى جهودهما.

وعندما دخل الطلاب إلى المدرسة التي هي غرفة واحدة كبيرة مبنية بلبن الاسمنت ومسقفة بالصفيح اصطفهم المدرسون وأمروهم بإنشاد أناشيد عربية منها:

طلع البدر علينا

من ثنيات الوداع

ثم انشدوا نشيدين آخرين بالعربية وقد أدوا الأناشيد أداء جيداً فصيحاً.

وذلك رغم حداثة المدرسة فقد ذكر أنها أنشئت في العام الدراسي ١٩٨٧ - ١٩٨٨م ورغم موقعها غير المناسب، حتى أنه لاتوجد حواجز بين فصولها بل الطلاب يكونون فيها مجموعات حسب فصولهم وبدون حواجز بينها.



بين المدرس المصري
والأمين العام للجمعية الإسلامية في بافتى

وتدرس فيها اللغة العربية والمواد بالعربية وطلابها يأتون إليها على وجبتين فطلاب المدارس الحكومية الذين يدرسون في النهار يأتون إليها في المساء والعكس بالعكس، وذلك أن المدارس الحكومية تدرس الطلاب على وجبتين.

المدارس والجوامع في بافتى

لمناسبة الحديث عن هذه المدرسة وعن مسجد حي نعمه حدثونا بأن الجوامع وهي المساجد الكبيرة التي تقام فيها صلاة الجمعة هي اثنان أحدهما في حي كورتيل والثاني في حي (بونتا نوفو) وأما المساجد التي لاتقام فيها صلاة الجمعة فإنها عديدة.

وأما المدارس الإسلامية فإنها ثلاث فيها مدرسان مصريان وستة من المدرسين الوطنيين.

وقد شكا الإخوة جميعاً من حالة المدارس الإسلامية حتى إن المدرسة الكبيرة التي رأيناها ذكروا أن الذي بناها رجل مسيحي أمه مسلمة وهو فولاني اسمه كارلوس كابيّ.

وهكذا رأينا أن المسلمين في هذه البلاد لايقومون بما يقوم به إخوانهم وجيرانهم من المسلمين في الأقطار الإفريقية المجاورة كالسنغال وغينيا وسيراليون.

ولقد قال لنا نائب رئيس الجمعية الإسلامية في هذه البلاد خلال اجتماعنا أمس: إننا إذا نظرنا إلى ما يوجد عند إخواننا المسلمين في السنغال من المدارس والمساجد والمشروعات الإسلامية حزناً لكوننا لم نكن مثلهم.

وعذرهم في هذا ضعف الامكانات ولكنني أظن أيضاً أن هناك سبباً نفسياً مع نقص الامكانات ألا وهو رواسب من أثر السياسة الاستعمارية البرتغالية السابقة التي حرمت تعلم العربية والحج إلى بيت الله الحرام ودخول المدارس النظامية على المسلمين.

إضافة إلى العزلة الثقافية بسبب اللغة التي كانت قائمة إبان الاستعمار ما بين السنغال الذي كانت لغة الثقافة فيه هي اللغة الفرنسية وغينيا بيساو هذه التي لغة التعليم فيها اللغة البرتغالية.

حي بونتنا نوفا:

ومعناه النقطة الجديدة فبونتا: نطقة ونوفا: جديدة بالبرتغالية وقد تترجم بمزرعة النقطة الجديدة.

اخترقنا للوصول إليه وسط المدينة الحافل بالمتاجر التي كان أكثرها مغلقاً بسبب الظهيرة حسبما قالوا مع أن الساعة قد قاربت السادسة.

فدخلنا الحي مع ربى مهملة من الازفلت ليس في غير شارع السوق الرئيسي منها شيء من الأزفلت.



شارع في حي بونتانوفا بافتى في غينيا بيساو

ومع أن البيوت التي في هذا الحي أغلبها جديد أو غير قديم كما ذكر ذلك في اسمه فإنه من طراز بنائه ليس جديداً بل هو التقليدي القديم المعروف الذي يتألف من حيطان من الطين أو لبن الأسمنت وسقوف من الصفيح أو القش.

وفيه من الحيوان غنم بيض الألوان خلاف الآدميين إلا أن رؤسها سود وهي شبيهة بالأغنام التي نسميها البربرية لأنها تأتي إلينا من ميناء بربرة في الصومال.

واطفال شبه عراة وذلك لغلبة الحر ولغلبة العادة عندهم في عدم الاحتفال بالباس الأطفال كما كانت عليه الحال عند الأعراب من بني قومنا في السابق ولو كانوا ذوي مال.

مسجد الجمعة:

قصدنا المسجد الكبير في الحي ويسمونه مسجد الجمعة وهو ليس بالكبير إلا بالنسبة للمساجد الصغيرة في هذه المدينة.

كما أنني لاحظت انه صغير بالنسبة إلى حجم المسلمين لذلك سألتهم عما اذا كان يتسع للمصلين في الجمعة؟ فأجابوا: إنه يضيق بهم، فقلت لهم: لماذا لاتوسعونه؟ فأجابوا: ومن يستطيع ذلك؟

والواقع أن الأمر في هذا المسجد كالأمر في غيره من المؤسسات الإسلامية في هذه البلاد فالمسلمون - كما قدمت - يحتاجون إلى روح جديدة تحملهم على بدء الأعمال والتخطيط لها بأنفسهم.

وهذا أمر آتٍ بإذن الله، ولكنه يحتاج إلى وقت.



على باب مسجد الجمعة في بونتا نوفا في بافتى مع المسلمين

والشيء المفرح أن لهم خمسين طالباً يدرسون في الأزهر، وان لجنة مسلمي افريقيـة الكويتية وعدت بأنها ستعـيد بناء المدرسة التي رأيناها بناء عصرياً كما أخبرنا بذلك الشيخان الأزهريان.

قـابلنا عند باب المسـجـد الحاج (فـودي سـري درامي) إمـام المسجـد واصله من غامبيا ذكـروا انه يؤم المسلمين تبرعاً، لايتقاضى على ذلك أجراً ولا يطلبه من أحد.

وكان الإخـوة المرافـقون من أهل البـلاد يكررون ذلك أمامنا يقـولون انظروا إلى أئمـة المساجـد عندنا لا يتـقاضـون شيـئاً عن الإمامـة لفقـر المسلمين ولا يجوز أن يبقوا كذلك.

وكدت أن أقول لهم ما أعرفه عنا إذ كنا في بلادنا لانعرف أن الإمام يمكن أن يتقاضى على عمله في إمامة الناس أجراً ولو طرح أحد من الناس موضوع تخصيص راتب له لكان ذلك مدعاة لتبرؤ الإمام من العمل، لأنه يؤم الناس ويصلي بهم الجمعة والجماعة محتسباً الأجر والثواب من الله تعالى، ولأنه لم يكن يوجد إمكان لتخصيص رواتب لهم بسبب عجز الناس عن ذلك.

والآن بعد أن منَّ الله تعالى على بلادنا بالمال والأعمال خصصت الحكومة لكل إمام من أئمة المساجد وكل مؤذن من المؤذنين راتباً شهرياً مجزياً، بل إنه يعتبر أكثر مما تصرفه البلاد الإسلامية التي كانت توجد فيها أوقاف كثيرة مخصص ريعها للمساجد.

وقد بني المسجد على هيئته الحالية في عام ١٣٨٨هـ من تبرعات المسلمين التي كان القائمون عليه يجمعونها من المتبرعين إثر صلاة الجمعة وغيرها من الاجتماعات.

وهو مفروش بفراش جيد، وفيه ساعات ولوحات بالعربية أكثرها آيات قرآنية كريمة.

وبناؤه بلبن الأسمنت وسقفه من الصفيح ويحتاج إلى توسعة، والأرض بجانبه رخيصة الثمن ولا تتكلف توسعته أموالاً طائلة. ولكنها تحتاج إلى عزيمة صادقة وعمل منظم أهمه شرح الحال لاخوانهم المسلمين في المؤسسات الإسلامية في خارج بلادهم، وعلى سبيل المثال لو رأيت عملاً لهم من هذا القبيل لأعلنت تبرعا من رابطة العالم الإسلامي بالإسهام في هذا العمل بعشرة آلاف دولار أمريكي

وهو مبلغ له أهمية في بلاد مثل بلادهم تفتقر إلى العملة الصعبة وتتدنى فيها دخول الأفراد.

وقد طلبت منهم اذا عزموا على توسعته أن يكتبوا لرابطة العالم الإسلامي ويذكروا فيها أنني زرتهم في هذا التاريخ وشاهدت المسجد، وأن يكتبوا إليّ شخصياً لنرسل لهم المساعدة المطلوبة، أما هذا الحي بونتا نوفا فذكروا أن سكانه مسلمون من السراقوليين والفلانيين والمانديقين.

وأرجوا أن يلاحظ هنا أن اسم الماندنق يلفظ به الناس بصيغ مختلفة جداً وكثيرة جداً،. فمنهم من يقول مادنقو ومنهم من يلفظه ماندنكا ومنهم مدانقا إلى غير ذلك وقد لاحظت اختلاف النطق به في البلاد التي زرتها في غرب افريقية من مالي والسنغال وغينيا وغامبيا، وفولتا العليا. ولذلك أرجو أن لايسارع القارئ الكريم الذي يعرف لفظاً مختلفاً لاسم هؤلاء الأقوام العريقين في الحضارة الإسلامية بالحكم على ماذكرته بأن خطأ بناء على كونه يحفظ الاسم بصيغة أخرى.

كما ينبغي أن يلاحظ هنا أن السراقليين مثل الماندنقيين من احفاد سلطنة مالي القديمة العظيمة أما الفلانيون فإن انتشارهم في مالي القديمة كان بعد المذكورين وكانوا يعرفون في بعض الأماكن باسم التكرور.

والتكرور: اسم غلب على الأقوام السودانية من الفلانيين وغيرهم في خارج سلطنة مالي.

ولذلك قال بعض أسلافنا المؤرخين: إن الناس في البلدان الإسلامية يسمون سلطان السودان باسم سلطان التكرور ولو سمع بذلك لأنف منه لأن بلاد التكرور هي جزء صغير من مملكته الواسعة.

وقال الشيخ محمد بيلو بن الشيخ عثمان دآن فودي مؤسس المملكة الإسلامية الواسعة في شمال نيجيريا التي لاتزال لها عاصمة مظهرية في شمال نيجيريا هي صوكتو وهي مقر أمير المؤمنين كما يسمى الآن.

قال الشيخ محمد بيلو في كتابه الذي عنوانه «إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور»: إن الناس يسموننا التكرور وهو اسم لانعرفه في بلادنا.

وكانت بلاده في ذلك الزمن تشمل جزءاً هاماً من سلطنة السودان القديمة ولكنها أصغر منها ومركزه في شمال نيجيريا كما قدمت.

ولكن الفرنسيين أخذوا الاسم المعروف في المصادر العربية وأطلقوه على الفلانيين باسم التكرولي حتى ظن بعض الناس إن اسم تكرور إنما هو تعريب للفظ الفرنسي ولم يعرفوا أن الأمر هو العكس.

والكلام على الفلانيين طويل وهو كلام مشوق ولكن لكل مقام مقال، وقد تأتي له مناسبة قادمة والله المستعان.

مدرسة تحت الشجرة:

والمدارس التي تحت الشجرة كثيرة في البلاد الشجيرة - أي كثيرة الشجر - من المناطق الاستوائية وماشابهها في افريقية وآسيا - ولذلك لايستغرب مثلي وجود مثلها.

غير أن الذي فاجأني أن القوم طلبوا مني أن أذهب إلى مشاهدة مدرسة (بونتا نوفا) فظننتها في مقر مبنى معتاد غير أنني عندما وصلت مع القوم يقودنا صاحب المدرسة أي المدرس فيها وهو الشيخ فودي سري درامي إمام الجامع وقف في ظل شجرة ضخمة من أشجار العمبة أي المانقو وقال دون احتفال أو اهتمام: هذه هي المدرسة كنا ندرس تحت ظل هذه الشجرة لكن عندما جاء المدرسان المصريان وجاء أهل الكويت، وذكروا أنهم سيبنون للمدرسة الكبرى بناية مناسبة انضم أهل مدرستنا إلى المدرسة الكبرى التي هي المدرسة الإسلامية التي قدمت ذكرها وذلك فيما يتعلق بالامتحانات واختيار الطلاب للفصول التي تناسبهم.

قال الشيخ فودي: أما في الأوقات المعتادة فإن الأطفال لايزالون يأتون عندنا وادرسهم في هذا المكان.

والمكان كما قلت هو ظل شجرة ضخمة من أشجار العمبة التي تكثر في هذه المنطقة والفراش فيها هو ما يسقط من ورق هذه الشجرة وما تأتي به الريح أو يأتي به الأطفال من القش والأشياء الأخرى التي تقي الجالس خشونة الأرض، لأن أرض الحي صلبة تجمع بين الطين والحجارة.

ذكر الحاج (فودي) أن الطلاب يبلغ عددهم ثمانين وأن المدرسة ليس لها اسم خاص غير مدرسة بونتا نوفا على اسم هذا الحي. وأنه كان يدرس الطلاب في بيته في أول الأمر وهومجاور للشجرة التي تقع في متسع يشبه الميدان الصغير بين البيوت التي لم تكن منتظمة في صفوف تفصل بينها الأزقة ماعدا الشارع الرئيسي فهو مستقيم.

ثم ذكر أن الشيخ (عثمان بلدي) صار مدرسهم بعد ذلك.

وأخذت مصورتي بيدي أبحث عن صيد لها في هذا الحي فوجدت الصورة التي تكاد تكون متكررة في معظم القرى والأرياف الإفريقية على تباعد اماكنها:

وهي نساء متخففات من اللباس جالسات خارج بيوتهن وبعضهن نائمات في أركان البيت الذي يظل بابه مفتوحاً وربما لايغلق إلا في المناسبات. أو إذا غاب عنه أهله لأنه يكون غير واسع.

وأهله يظلون اكثر الوقت بالقرب منه، وأطفال نصف عراة، ودجاج سارب بين البيوت وأماكن متسعة على هيئة ميادين وما هي بميادين بين البيوت.

وازقة وفراغات بين البيوت لم تعرف الأزفلت، بل ربما لم يخطر الأزفلت على بال أهلها.

والبراءة الكاملة تتجلى في كل شيء فما أن تقترب من أحد الأطفال حتى يجفل سريعاً ولكنه كغضب الحبيب الذي يذهب أسرع مما تذهب غمامة الصيف.

وضعت يدي على رأس طفل من هذا الحي فقلت له: ما اسمك؟ فأجاب: (بيافادا) وفسر المرافقون اللفظة بأنها تعني (ابن ابيه).

فقلت له: اخفض الصوت فلا يسمعك زياد بن أبيه في قبره وهو من نعلمه شدة وصرامة، وفتح فاه من الدهشة لكلام لم يفهمه وكأنه ظن أن ليس في الدنيا كلام يعجز ذكاؤه عن فهمه.

سوق بافتى :

انتقلنا بعد ذلك على عجل إلى سوق كبيرة يسمونها (بافتى فيزا) وفسروها بأن معناها السوق الشعبي.

أهم مايراه المرء في هذا السوق ويعجب له أنه مبني على طراز إسلامي أندلسي خالص ومع ذلك ذكروا أن الذين بنوه هم البرتغاليون كانوا يؤجرون حوانيته ومتاجره للناس ثم أصبح الآن تابعاً للبلدية، وعنده زحام من الناس تمنيت أن الوقت يتسع للتجول فيه غير أن الإخوة المرافقين استعجلوني ذاكرين أن الشمس لاتمهلنا إذا تأخرنا فاكتفيت بألتقاط صورة له.



المؤلف في السوق المبني على الطراز الأندلسي في بافتى

الشيخ محمد يورو سعيد:

تركنا السوق قاصدين الجامع الكبير فمررنا بقلب المدينة التجاري بشارعه الواسع المزفلت وهو يتدرج تدرج التلة التي يقع عليها وقد بنى البرتغاليون في أعلاها الذي هو أعلى هذا الشارع كنيسة مشرفة البرج سكرية اللون يرتفع شعارها في هذه المدينة المسلمة على قلة المسيحيين فيها أكثر مما ترتفع مآذن المساجد على غلبة المسلمين في العدد فيها.

ومع ذلك اتسع الوقت لسؤال الشيخ محمد يورو سعيد الذي كان يرافقنا في الجولة عن معنى (يورو) فقال المرافقون قبل أن يقول هو فيوافقهم على قولهم: إنه التوءم، وقال بعضهم: إنه الولد الثاني ولا أدري الصحيح في ذلك.

وزاد على ذلك أنه متزوج من اثنتين وأن لديه ستة أبناء ذكوراً وثلاث بنات فقلت له: إذا أنت لديك زوجتان فقط على خلاف عادة المشايخ هنا الذين يكثرون من الزوجات حتى يصل بعضهم بهن الأربع وعلى عادة بعض الوجهاء والأثرياء الذين يزيدون على الزوجات الأربع رغم علمهم بأن ذلك لا يجوز.

وقد أخبرني أحد الإخوة المسلمين أن والده له ست زوجات في آن واحد مع أنه مسلم.

وذكرت بهذه المناسبة أننا تلقينا في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة قبل سنتين طلبات جمعية نسائية أسستها جماعة من المسلمات في السنغال اسمها (جمعية منع الزواج بأكثر من أربع) تطلب المؤسسات للجمعية من الرابطة أن تعترف بها وتسجلها لديها ضمن الجمعيات المسجلة لديها.

فقال الشيخ محمد يورو: أنا عندي أربع زوجات لا اثنتان، اثنتان لي واثنتان خلفهما لي أخي!

فقلت له: كيف ذلك؟

فقال: العادة عندنا أن الرجل إذا توفى فإن على أخيه أن يتزوج زوجته أو زوجاته إذا كان عنده أقل من أربع وذلك من أجل كفالة أولاده وصيانة زوجاته، والإنفاق عليهن !

أول مسجد:

وقفنا عند أول مسجد أسس في هذه المدينة ويسمونه الجامع الكبير وجامع كورتيل لأنه يقع في حي (كورتيل) ويعتبر الآن المسجد الرئيسي فيها.

له فناء واسع قد سور تسوراً جيداً.

ذكروا أن بناءه تم بجهود أهالي المدينة مجتمعين وأنه بني على هذه الصفة في عام ١٩٦٣م.

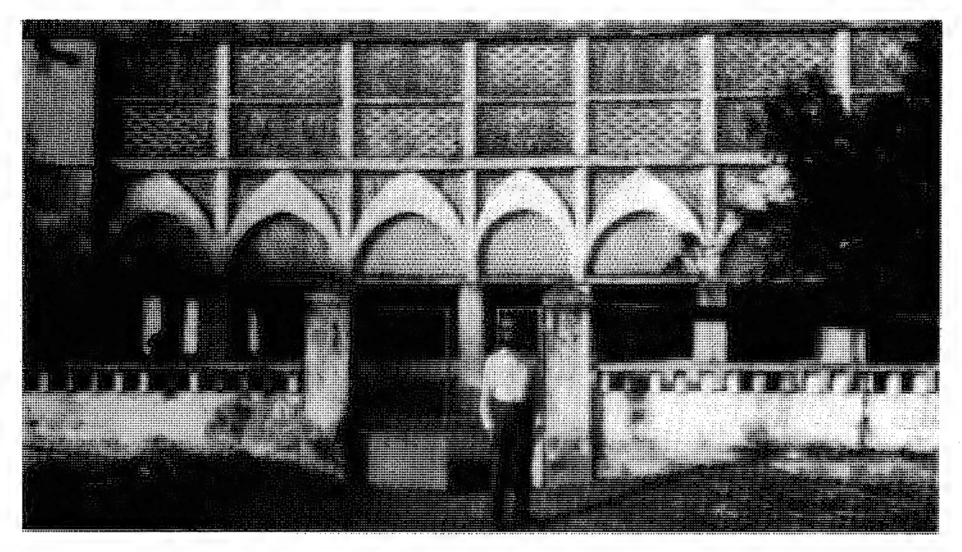
وبناءه جيد وهو الوحيد الذي رأينا على مبناه مسحة هندسية عربية إذْ تعلوه شرفات أندلسيةجميلة.

وهو مفروش كله ولكنه يفتقر إلى مكان لائق تصلي فيه النساء لأن المصلى الرئيسي الذي هو المسجد المسقوف ليس واسعاً ولكن للمسجد فناء واسع جداً مسور بسور جيد أغرب ما فيه أنني رأيت منارته في الركن الجنوبي الغربي على هيئة برج من الأبراج غير العالية بل لايزيد ارتفاعها على ارتفاع الطابق الواحد ويصعد إليها من درجة خارجية معلقة.



مع إمام جامع كورتيل في بافتى في محراب الجامع

ويحتاج المسجد إلى مكبر للصوت وأماكن لقضاء الحاجة والوضوء. وقد رأيتهم حفروا فيه بئراً عميقة لاستخراج الماء منها غير أنها جافة الآن.



أمام مدخل جامع كورتيل فى بافتى

وهذا مما يعطي أهمية للآبار التي حفرتها المملكة العربية السعودية في هذه البلاد، مع أن نهر بافتى يمر بالمدينة وفيه من المياه ما يكفي المدينة لولا أنها تحتاج إلى تمديد، وربما إلى تنقية أيضاً وليس لهم بذلك يدان.

وذكر إمام المسجد الحاج بشير مادي جلو واحد الجماعة الكبار فيه واسمه لامراني جلو أنهم يحتاجون إلى بناء للمدرسة في المسجد فسألتهم أين هي المدرسة؟ فأشاروا إلى ثلاث أشجار من أشجار الظل قد تعانقت فروعها في فناء المسجد الواسع وقالوا: هنا: ولم أر أثراً للمدرسة من فراش أو غيره.



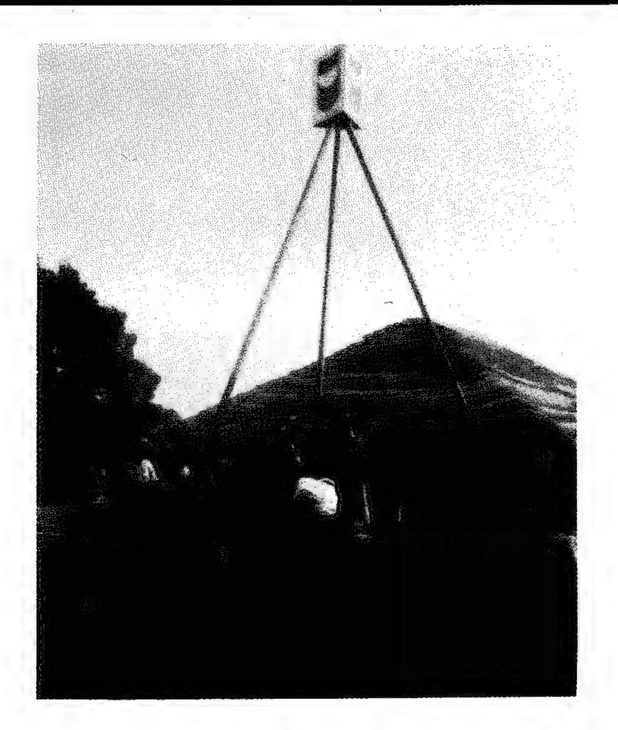
منظر عام لجامع كورتيل في بافتى

مغادرة بافتى:

غادرنا بافتى والشمس على وشك مغادرة الأفق فرأينا على مخرجها الذي هو مدخلها مركزاً عسكرياً للجيش لم يوقف سيارتنا لأن عليها علماً أو علامة على أنها رسمية وسائقها عسكري.

ومررنا أيضاً ببئر سعودية تبعد ٥٠ متراً عن الطريق لم نرها من قبل وذكر لنا المرافقون أن عدد الآبار التي حفرتها المملكة في أنحاء غينيا بيساو يبلغ مابين ١٥٠ إلى ٢٠٠ لأنهم لايعرفون العدد بالضبط ولم نر قبل أن يحل الظلام ما يلفت النظر إلامنظر امرأة على شفير الطريق وهي ترقص تلوي ظهرها وما كان أسفل منه بسرعة يميناً وشمالاً تبدو كأنما هي شربت فطربت وإلا فما الذي يطربها وهي تسير على قدميها بجانب هذا الطريق التي تتسابق فيه السيارات؟

وقد حسن الجو عندما تولت الشمس وصار الهواء كالنسيم وكنا عانينا شيئاً من الضيق عند القدوم في الظهيرة لأن السيارة ليس فيها مكيف للهواء، ولذلك كنا نفتح النوافذ على آخرها.



بئر سعودية قرب بافتى في غينيا بيساو

ولكن الله سلم

ساد الظلام واسترخت الألسنة والأجفان عندما عادت لم تجد ماتقطع به السآم. وأصاب السائق من ذلك ما أصاب الركاب، فصار يسبق ما يكون أمامه من السيارات ومرة من المرات قبل الوصول إلى المدينة بحوالي ٢٥ كيلو متر كان أمامه أربع سيارات يتبع بعضها بعضاً وهي تسير بحذر في هذا الليل البهيم لأن الطريق لايتسع إلا لسيارتين.

واطلق السائق لسيارته العنان وسبق الأولى والثانية وإذا بنا نفاجأ – وياللهول – بسيارة نقل صغيرة تسير بدون نور أصلاً وحتى ليس فيها

من المصابيح الحمر العاكسة وحتى لو كان فيها مصباح عاكس غير منير فإن سيارة كانت خلفها مقبلة ذات مصابيح قوية ستمنع من رؤيتها ولم يكن بالإمكان الوقوف فالسيارة مسرعة وسيارة النقل قادمة من الطريق مقابلة لها ولا الذهاب يميناً لأن السيارات التي سنسبقها تشغل هذه الجهة من الطريق وهي مسرعة أيضاً.

وجاء الفرج العاجل الذي لم نحسب له حسابا فقد أيقنا بسرعة بالعطب وصرخ الشيخ الدكوري قائلاً بدون شعور بأعلى صوته: اللّهْ!

وإذا بسائق سيارة النقل يقحمها الأشجار والأعشاب التي على يمين الطريق ولو كان سائق سيارة صغيرة لم يستطع ذلك وإذا بنا نسمع صوت الأغصان وهي تتكسر ولا ندري ما حصل بعد ذلك ولكننا عرفنا أن من لطف الله تعالى أنه لم يكن على يمين السائق المقابل شجرة كبيرة أو حاجز لايستطيع النفاذ منه وإلا لكنا عطبنا و (لكن الله سلم).

وكان واضحاً أن سائق الشاحنة الصغيرة هو المخطيء لأنه كان يسير بدون أنوار أصلاً ولا أدري كيف يهتدي للطريق إلا إذا كان ذلك بواسطة أنوار السيارة الأخرى. وبخبرته فيها. وظل سائقنا يدمدم فقلنا له: إنه مخطيء ولكنه شهم إذ أقدم على انقاذنا وانقاذ نفسه بارتكاب الضرر العاجل الأخف عليه، وسلمنا منه !

يوم الثلاثاء ١٤٠٩/١١/٣هـ - ١٩٨٩/٦/٦م:

يوم آخر في غينيا بيساو:

كان من المقرر أن نغادر بيساو هذا اليوم وهكذا كان حجزنا من داكار ثم قيل لنا عندما أردنا تأكيد الحجز من بيساو: إن الرحلة لن تقوم إلا في الرابعة من بعد الظهر.

وجاء الخبر هذا اليوم أن الرحلة التي كان مقرراً أن نعود عليها إلى داكار وهي على خطوط غامبيا ألغيت، وأنه لايمكن مغادرة بيساو إلا في صباح الغد على طائرة خطوط بيساو التي قدمنا عليها. وكلها طائرات صغيرة ذات مروحتين.

وقال أحدهم إنه يمكنكم أن تسافروا إلى كوناكري ثم تسافروا منها إلى داكار غداً في الواحدة بعد الظهر وليس هذا مناسباً لنا لأننا سنزور كونكري زيارة رسمية طويلة فيما بعد.

أما صباح هذا اليوم فإنه كان ممطراً واليوم الممطر بالنسبة لمن لا يتجول فيه هو يوم جميل فقد غسل المطر حره، وإن كان زاد رطوبته بحيث أنه عندما كف المطر زاد الشعور بالحر.

كالعيس في البيداء

تشتهر هذه البلاد البيساوية بكثرة مصائد الأسماك فيها وبخاصة السرطانات البحرية الغالية والاربيان الذي نسميه بالروبيان وتسميه العامة في مصر بالجمبري وله اسماء كثيرة حتى في الانكليزية له اسمان هما شْرنب وبرون.

وقد طلبنا من مطعم الفندق وجبة من السرطان أو الاربيان فاعتذر بأنه لايوجد عندهم وعرفنا أن الشركات التي تصيده تقوم بتصديره إلى الخارج، ولا تبيع منه شيئاً في الداخل. وحتى السمك المنوع الذي تصيده هذه الشركات يصدر كله إلى الخارج. ويكتفي الأهالي بالأسماك المعتادة التي يصطادونها بالطرق المعتادة عندهم.

مقابلة لم تتم:

كما لم تتم اليوم رحلتنا إلى داكار لم تتم مقابلة كان طلبها وزير الخارجية فأبلغ خليل بلدي ذلك للشيخ الدكوري وكنا غير راضين على عدم استكمال رؤية المدارس والمساجد في العاصمة.

فقال له: إننا يهمنا رؤية المدارس والمساجد أكثر من المقابلات فذهب خليل إلى وزير الخارجية واعتذر إليه بأنني متعب بعد سفرنا أمس إلى بافتى ولذلك لا استطيع مقابلة وزير الخارجية.

ثم بعد ذلك قال لي خليل: لقد اعتذرت لك من وزير الخارجية وكان حريصاً على مقابلتك لأنه قدم منذ وقت قصير من السعودية حيث مثل (غينيا بيساو) في مؤتمر وزارء الخارجية لدول منظمة المؤتمر الإسلامي. ويود أن يذكر لك امتنانه للسعوديين عن تلك الزيارة.

فقلت له: أنت تعلم أنه من المقرر أن نقوم بجولة مساء هذا اليوم على بقية المساجد والمدارس ونرى الأرض التي اعطتكم إياها الدولة لتكون مقر الجمعية الإسلامية وأنا لا أحس بأي تعب فكيف تعتذر عنى بأنني متعب؟

جولة أخرى على المدارس والمساجد:

رؤية المدارس والمساجد في أي بلد نزوره من مواطن المسلمين أمر مطلوب لنا، وذلك من أجل الاطلاع والمعرفة بواقع تلك المدارس والمساجد لأنه تأتينا في رابطة العالم الإسلامي طلبات من أربابها واذا كنا قد اطلعنا عليها أمكننا أن نقدر حاجتها حق قدرها.

وبخاصة في هذه البلاد التي سبقتنا إلى رؤيتها أخبار بالحالة المتدنية، بل المزرية - كما قيل - عن الحالة التي هي عليها من حيث الشكل والمضمون فوجب أن نراها لنستطيع تقدير حاجتها.

مدرسة دانكوتي الإسلامية:

ونسبتها إلى حي (دانكوتي) الذي تقع فيه. يبلغ عدد طلبتها (١٥٠) طالباً وعدد مدرسيها أربعة. كلهم متطوع فلا يأخذ على التدريس فيها أجراً وكان فيها مدرس خامس من موريتانيا مجود للقرآن ابتعثته الرابطة من موريتانيا وتتحمل راتبه ولكنه غادر هذه البلاد إلى موريتانيا خوفاً على نفسه من أن يحدث له ماحدث للموريتانيين في السنغال حيث نهبت متاجر التجار فيهم وأخذت أموال غيرهم وممتلكاتهم بل قتل من قتل منهم. واسمه محمد ولد احد، والمدرسة تابعة للجمعية الإسلامية بمعنى أنها تشرف عليها.

أما مظهرها فإنه سيء، إذْ هو كوخ مسقف بالقش خال من الأثاث إلا بعض المقاعد دون موائد للكتابة وسبورة ذكروا أن أهالي الطلاب دفعوها للمدرسة وأنهم يأخذون من أولاد الأغنياء من الطلبة مائة بيزو في الشهر وهي تعادل ١٠ ٪ من الدولار من كل طالب.



في المدرسة الإسلامية في غينيا بيساو

ووجدنا إعلاناً على السبورة مكتوباً فيه (اعلانات المدرسة الإسلامية) وقالوا: إننا كنا ننتظركم وتحتاج المدرسة إلى أشياء كثيرة منها مقاعد للدراسة وكتب مدرسية ومساعدة شهرية أو سنوية يدفعون منها شيئاً للمدرسين لكي يتمكنوا من الاستمرار في العمل كما تحتاج المدرسة إلى ترميم شامل مع أنها غير صالحة.

ومع ذلك وجدنا فيها مكاناً مخصصاً للصلاة ظننت أنهم خصصوه لذلك فذكروا لنا أنه زاوية قديمة أي مسجد صغير قديم كأن يعرف بالتيجاني كوتي.

وعند انتهاء الزيارة التقطت صورة للشارع وهو شارع (بو) على اسم منطقة في شرق البلاد أعلن منها استقلال دولة غينيا بيساو وجزر الرأس الأخضر قبل أن تفصل جزر الرأس الأخضر عن غينيا بيساو.

مسجد بايرو بوليس أو الرمز:

وهو مضاف إلى (بايرو بوليس) التي تعني حي الشرطة، لأن معنى بايرو الحي من أحياء البلدة، وبوليس الشرطة. وسمي الحي بهذا الاسم، لأن المنازل فيه كانت مخصصة في السابق للعاملين في الشرطة. والمسجد صغير مبني من الطين المبلط بالجص الأبيض ومسقف بالصفيح.

ذكروا أنه بني قبل ٣٥ سنة وأن الذي قام على بنائه هو الأخ (مهدي جاللو)، وأنه يضيق بالمصلين في رمضان.

وله فناء مكشوف أي حوش محاط بقطع من الحديد التي أخذت من السيارات التالفة وذلك لعجز القوم عن بناء سور معتاد عليه. وقد حرصوا على وضع هذا الحديد من أجل منع الخنازير التي تجوب شوارع الحي من الدخول إلى المسجد. ومن أجل المحافظة على حدود أرضه.

وقد رأيت بالفعل خنازير حمراً وسوداً بالقرب منه. وقد التقينا بقرب المسجد بالأخ أحمد دمبو وهو مدرس في كُتّاب يضم ٥٤ طالباً ، يدرسهم بنفسه، ويرتدي الملابس العربية.

ومعظم بيوت الحي تقليدية أي معتادة في هذه البلاد ذات سقوف من القش المنقوش تظلها الأشجار الباسقة الوارفة الضخمة كأشجار العمبة (المانجو) ومثيلاتها.

ثم جاء الإخوة بأحد الشيوخ المسنين من المسلمين وقدموه إلينا ذاكرين أن اسمه (فاكبا جغتي) وأنه هو الذي وهب أرض المسجد مجانًا احتسابًا للأجر من الله تعالى، فشجعناه ودعونا له واعربنا له عن الامتنان العظيم لذلك ثم أسر الينا أحد الإخوة المرافقين بأن الرجل محتاج لأنه مسن ولادخل له فنفحناه شيئًا شكره.



شارع مسجد بايروبوليس في بيساو

وكان سبب مشاهدة المسجد أمرًا غير كونه مسجدًا صغيرًا لا يلفت النظر وجوده في مدينة أكبر طوائفها من المسلمين ولكن إخواننا أرادوا

أن يرونا رمزًا لصلابتهم ووقوفهم في وجه من يريد أن يزيل هذا المسجد من الوجود ويلحقه بأرض كنيسة كبيرة.

فقد كان دعاة التنصير وهم من الأجانب من الذين يأتون بالأموال الطائلة من خارج البلاد اشتروا أرضًا واسعة واقعة على ناصية شارعين بجانب المسجد وأرادوا الاستيلاء على الأرض التي تحيط بالمسجد تابعة له وكانت خالية من البناء كما تقدم.

فقام المسلمون وألفوا جماعات رفعت الأمر إلى السلطات التنفيذية واستنقذت الأرض التي كان أهل الكنيسة كادوا يستولون عليها ولم ينفع فيها الترغيب والترهيب.



مع الشيخ الكبير الذي تبرع بأرض المسجد في بيساو

ولما فشل أهل الكنيسة في انتزاع أرض المسجد الخالية التي إذا أخذوها لم يمكن التطرق إلى المسجد والمبنى الذي يصلي فيه إلا بواسطة أرض الكنيسة أو طريق خفي حولوا جهودهم نحو الإخوة يريدون شراء المسجد وأرضه وعرضوا عليهم أن يشتروه بأضعاف قيمته فيما لو كان منزلاً وأضعاف قيمة الأرض من أجل أن يدخلوه في أرض الكنيسة الواسعة فامتنع المسلمون عن ذلك وأبوه وقالوا: لا يمكن أن نسمح بأن تستولي الكنيسة على المسجد بأي طريقة.

هذا وقد قلت لأهل المسجد بحضور مسئولين في الجمعية الإسلامية: إننا على استعداد أن ندفع تكاليف بناء سور مناسب على أرض المسجد إذا ما تقدمتم أنتم بأنفسكم بواسطة الجمعية الإسلامية الرسمية أو حتى تقدمت الجمعية نفسها إلى الرابطة بطلب لبناء السور وبيان تكلفته حتى تزاح قطع الحديد الصدئ التي جعلوها سوراً للأرض.

والذي أراه أن يكون هذا جزءاً من مشروع يجتمع عليه أهل الحي ويجمعون ما يستطيعون من تبرعات ولو قليلة منهم ومن إخوانهم المسلمين في البلاد ثم يبدأون باعادة بناء المسجد بالاسمنت المسلح وبمنارة عالية ونعدهم بل نتعهد لهم بأن نساعدهم على ذلك.

لأن رابطة العالم الإسلامي وغيرها من الجهات الإسلامية في الخارج لن تقوم بالعمل كله لأن ذلك يتطلب جهازاً إدارياً مخصصاً له، ولأن مسئولياتها في العالم كبيرة وإنما الطريقة الصحيحة التي تسير عليها الرابطة هي الاسهام في اعمار المساجد في كافة أنحاء العالم ولكن بعد أن تطمئن إلى أن العمل يسير بجد وأنه سيتم فلا يحصل ما

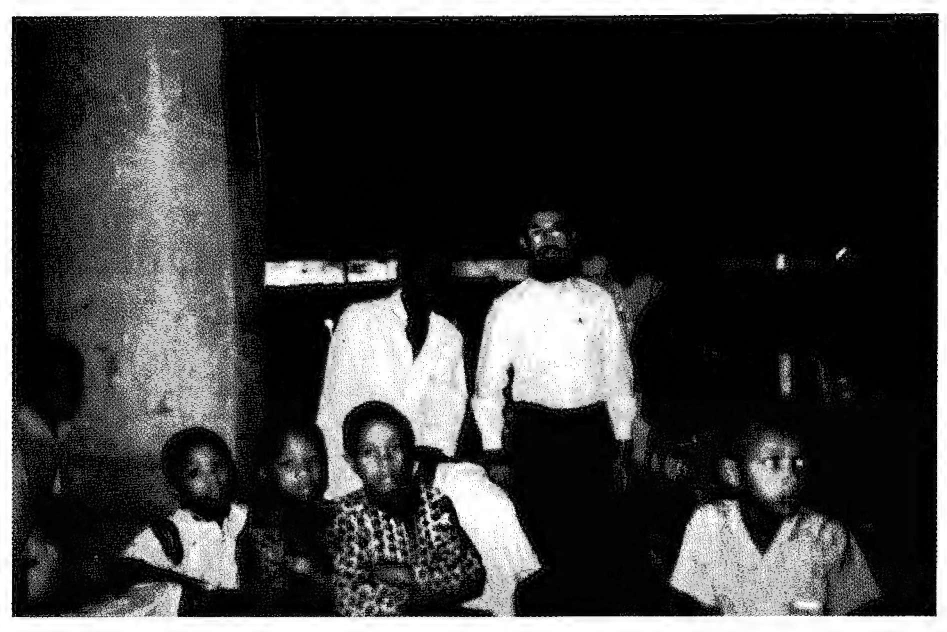
حصل في بعض المشروعات الإسلامية ومنها بعض المساجد أن يعرض عارض حتى من عدم الإخلاص من بعض القائمين على المشروع فيضيع المال الذي جمع له قبل الشروع في البناء.

مدرسة كونتم:

ويصح أن تكتب باللفظ (كنتم) أخت (كنا). وهي أيضاً مضافة إلى اسم الحي الذي تقع فيه وهو حي (كونتم).

أنشأتها الجمعية الإسلامية في عام ١٩٨٧م فيها اثنان وخمسون طالباً ذكروا أن عددهم يزيد في كل يوم لإقبال الناس على الحاق أبنائهم بهذه المدارس أو الكتاتيب الإسلامية.

فيها مدرسان أحدهما مبتعث من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وهو سنغالي يتسلم راتبه من الرابطة واسمه لانجيني جماتو كولي.



بجانب مبعوث الرابطة في مدرسة كونتم وسط التلاميذ

والثاني مواطن اسمه عبدالله جاوو يعمل في المدرسة تبرعًا بدون راتب.

ولم نستطع البقاء في داخل المدرسة طويلاً بسبب الحر والرطوبة والظلام الذي عجبت من أن يستطيع الطلاب فيه أن ينظروا ما بين أيديهم.

وقلت لهم: إن البقاء هنا بدون مروحة أمر صعب وأنني أريد أن أتبرع لهم الآن بثمن مروحة وعدد من المصابيح الكهربائية لأن التيار الكهربائي موجود، فلم يعرف أحد منهم ولا من المرافقين قيمة المروحة الواحدة وأخبرتهم أننا مستعدون أن نرسل لهم ثمن ثلاث مراوح ومصابيح كهربائية إذا كتبوا بطلب ذلك من الرابطة بوساطة الجمعية الإسلامية.

أما المروحة الواحدة التي ذكرتها فإنني سأعطي ثمنها الآن لمن أرى أنه يشتريها لهم، وطلبت منهم أن يسألوا عن ذلك ويخبروني به هذه الليلة، غير أنني سافرت في اليوم التالي ولم يتقدم أحد منهم بذلك.

وحاجات هذه المدرسة ومثيلاتها عديدة يمكن لرابطة العالم الإسلامي أن تقضي لهم بعضها مثل المقاعد المدرسية والكتب المدرسية والترميم المبسط للمبنى وذلك بإرسال مبلغ من المال لهذا الغرض يكون إرساله تحت مسئولية جهة قادرة على انفاذه كالجمعية الإسلامية إذا نشطت للعمل لأنها لم تعمل لنفسها في بناء مقرها كما سيأتي.



حائط المسجد بالحصر وعليه الملابس في بيساو

وهذه المدرسة تابعة لمسجد (كونتم) فهي بجانبه وهو زاوية أي مسجد صغير لا تصلى فيه الجمعة.

كان إنشاؤه في عام ١٩٧٦م وهو كغيره مسقف بالصفيح إلا أن الغريب فيما أراه أن فناءه الخارجي المكشوف مسور بالحصر - جمع حصير - وقد استغل الجيران هذا السور فنشروا عليه ثيابهم المغسولة.

أرض الجمعية الإسلامية:

وقد طلبت الاطلاع عليها وصادف ذلك رغبة من الإخوة المسئولين في الجمعية الإسلامية وذلك لكونهم تسلموها من الحكومة منذ أربع

سنين ولم يبنوا عليها شيئًا حتى إنهم لم يستطيعوا تسويرها ولم يعملوا لذلك.

لأنه يوجد منذ سنة مبلغ تبرعت به المملكة للمساعدة على بناء مقر الجمعية وهو عشرة الآف دولار أمريكي موجودة الآن في مكتب الرابطة في داكار جارتهم السنغالية ورفيقي الشيخ الدكوري هو مدير المكتب قال لنا أمامهم لقد أخبرتهم وذكرتهم أكثر من مرة بأن المبلغ موجود لدينا وأن كل مانريده أن نرى مخططات لمكتب الجمعية الإسلامية ونعرف الجهة التي تقوم على تنفيذه حتى نصرف المبلغ حسب مراحل البناء.

ووافقوا على ما ذكره . وأشاروا إلى أنهم اتفقوا أخيرًا أو ذكروا أنهم بسبيل الاتفاق مع الشركة الفلسطينية لأعمال البناء على تسوير الأرض.

وجدناها أرضًا واسعة في منطقة جيدة من حي (آزودا) بمعنى المساعدة بالبرتغالية.

وقد ساعدتهم الحكومة بمنح هذه الأرض لهم فهي لم تأخذ منهم مقابل ذلك شيئًا.

ولكن العجيب أنني سألتهم عن مساحة الأرض فلم يعرف أحد منهم مساحتها ولا طولها أو عرضها وإلا كنا عرفنا مساحتها من ذلك.

ومعنا منهم نائب رئيس الجمعية الإسلامية والأمين العام لها وربما كانا يريان أن معرفة مساحة الأرض التي منحتها الحكومة للجمعية لكي تقيم عليها مقرًا لها هو من الفضول وإلا فما معنى عدم معرفة مساحة الأرض؟

لاسيما إذا عرفنا أن الجمعية ليس لها مقر تجتمع فيه الآن فهي بحاجة ماسة إلى بناء مقرها على هذه الأرض والمبلغ الذي يمكن أن يكفي لذلك أو على الأقل أن يكون بداية لما قبله وهو عشرة الآف دولار موجود الآن في مكتب الرابطة في داكار كما تقدم.

وقدرت مساحتها بخمسة الآف متر مربع.

وهي في حي ممتاز بالنسبة إلى الأحياء السكنية في المدينة وهو (آزودا) الذي هو حي لسكن الأغنياء وكبار الموظفين.



مع المسئولين في الجمعية الإسلامية على أرض الجمعية في بيساو

وقد لبثنا وقتاً في موقع الأرض وأنا أبدي عجبي من عدم الاسراع في بناء مقر للجمعية الذي قد يوحي بعدم الاهتمام أو على الأقل بعدم

الجد في ذلك وقلت للأخ خليل بلدي: سأكتب ذلك في كتاب يكون تاريخاً يقرأ أنكم لاتعرفون مساحة أرض الجمعية وقد يعتدي عليها أحد فلا تستطيعون أن تقيموا ضده دعوى وبخاصة عندما ذكروا لي أنهم لم يتسلموا صكاً بها من الحكومة ولا أية وثائق تدل على ذلك.

فقال: لا يمكن الاعتداء عليها لأنها محددة بشارعين والجهتان الأخيرتان فيهما ملكان معروفان.

ثم أخذوا يعتذرون عما اعتبرناه تقصيراً منهم وقالوا: إنكم لو عرفتم الحالة التي كنا عليها نحن المسلمين قبل سنوات من قلة الأنصار وتعصب الحكومة المسيحية السابقة ضدنا، وعدم الوعي عند عامة المسلمين في بني قومنا لعذرتمونا.

فقلت لهم: إن القياس في ذلك أن تتصوروا ما كنتم عليه وما أنتم عليه الآن وتقارنوا ذلك فإن رأيتم أنكم تقدمتم، فهذا جيد. فذكروا أنهم فعلوا ذلك بل أنه ظاهر دون كلام وهو أنهم الآن أحسن مما كانوا عليه.

فحمدت الله تعالى وشكرته وشكرت لهم جهودهم التي ذكروا أنهم قاموا بها إلا أنني قلت لهم: إن إخوانكم المسلمين في أنحاء العالم يتقدمون ويعلمون وينظرون ما انتم فاعلون. فاتقوا الله تعالى في أنفسكم وفي أهلكم من المسلمين في هذه البلاد !

هل الخنزير يحلب؟

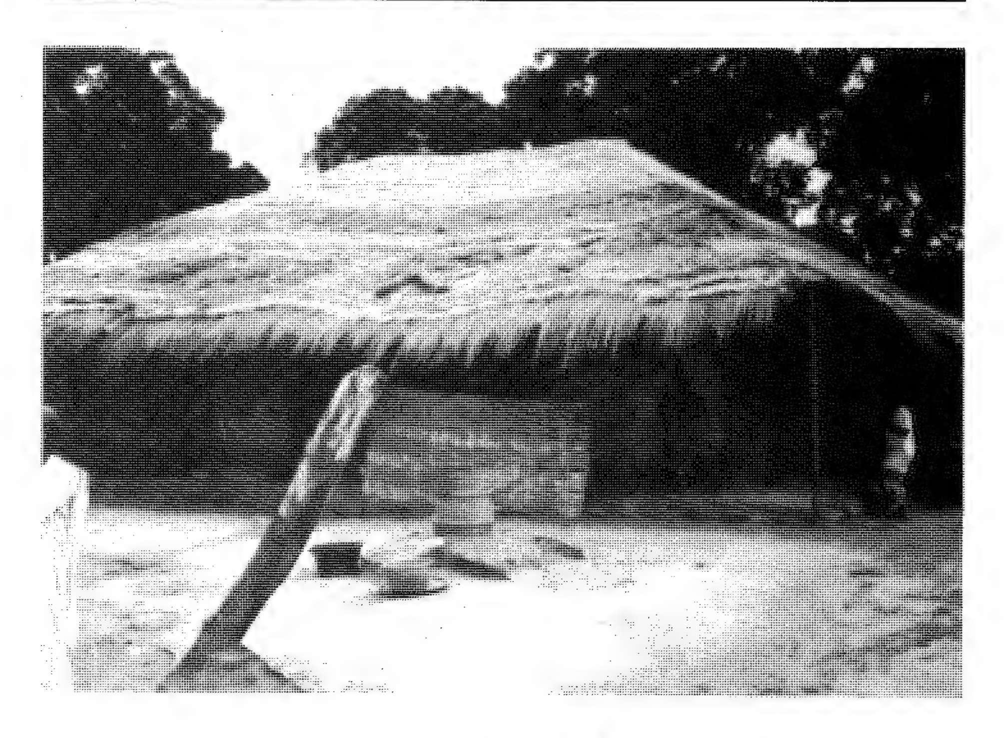
انهينا ما أردنا من رؤية بعض المساجد والمدارس وانصرفنا عائدين إلى مقر وزارة الخارجية حيث قال الأخ خليل بلدي الذي كان اعتذر

اليوم عني لعدم مقابلة وزير الخارجية دون أن أعرف بذلك: أنه سيمر بوزارة الخارجية ليرى ما إذا كان الوزير موجوداً في الوزارة لأنه يعرف أنه حريص على مقابلتي.

ومررنا بعدد من الخنازير ذات الألوان والأحجام المختلفة فسأل أحدنا عما إذا كان الكفار يشربون لبن الخنازير كما يأكلون لحومها؟ فنفى بعضهم أن يكون فيها لبن، وفي تلك اللحظة مررنا بخنزيرة ترضع أربعة من أولادها في الشارع فأشرت إليها وقلت: لاشك أن فيها لبناً حتى وإن لم نره وإنما السؤال عما إذا كان الكفار يحلبونها فكلهم أجاب بأنها لا تحلب.

وعاد الأخ بلدي من وزارة الخارجية بعد أن وقفنا عنده وهو يقول: إن الرئيس كان قد استدعى الوزراء ومنهم وزير الخارجية أنهم عنده الآن. وقد بلغت الساعة الآن السادسة والنصف مساءً.

وهنا قال الشيخ الدكوري أن الأخ (مامادو تانكرا) الغيني الجنسية - وهو من غينيا كوناكري وسبق ذكره قد قابل رئيس الجمهورية اليوم وذكر له وصولنا فذكر أنه لم يعلم بذلك إلا صباح اليوم وإلا لاستدعانا لمقابلته.



بيت لأحد الوجهاء في بيساو

يوم الأربعاء ١٤٠٩/١١/٤هـ ١٩٨٩/٦/٧م.

مغادرة بيساو

كان المقرر أن تقوم طائرة خطوط بيساو التي يسمونها (اير بيساو) في الثامنة من هذا الصباح.

ولذلك خرجنا إلى المطار بصحبة بعض المودعين وأكبرهم وظيفة الأخ خليل بلدي وكان من أبرز المناظر في الطريق منظر الطلاب والطالبات الذين يذهبون إلى مدارسهم وهم في ملابس نظيفة جيدة وكنا حريصين على الوصول مبكرين إلى داكار، من أجل أشياء في تذاكرنا تحتاج إلى تغيير قبل السفر إلى انقولا الذي حجزنا له غداً الخميس.

ولكن الطائرة تأخرت عن الموعد المحدد فذكر لنا الأخ خليل البلدي أن تأخير الطائرة كان بطلب من وزارة الخارجية لأن لديها وفداً مسافراً على الطائرة.

وقد عرفنا الأمر على جلبته عندما قامت الطائرة إذْ كان الوفد المشار إليه هو الأستاذ (مصطفى نياس) وزير خارجية السنغال سابقاً وهو شخصية مهمة لها تأثيرها الآن في السنغال وما حولها من البلدان رغم خروجه من وزارة الخارجية وهو صديق رفيقي الشيخ الدكوري لذلك اعتذر له عما سببه لنا من تأخير وقال: قال لي وزير الخارجية البيساوية أمس: سنراك غداً في الثامنة والنصف فقلت له: إن الطائرة التي سأسافر معها تقوم في الثامنة فقال: ليس في هذا مشكلة نؤخر قيام الطائرة حتى نفرغ من المقابلة.

قالوا: وهذه عادة لطائرات هذه الدول الصغيرة فقد تتأخر الرحلة أو تلغى بسبب عمل للحكومة أو لمجاملة ضيف أو نحو ذلك.

ذكروا مثالاً على ذلك في الطائرة الغينية الكونكرية التي قدمت من كوناكري إلى بيساوفي الساعة الواحدة ظهراً وكان مقرراً أن تصل في الثامنة صباحاً فقد أخروها في كوناكري من أجل أن يلحق بها فريق لكرة القدم انتظروا قدومه من (فري تاون) عاصمة سيراليون المجاورة.

علماً بأن هذه الطائرات التي يؤخرونها ليست خاصة أو في رحلات إضافية وإنما هي في رحلات مقررة دفع راكبوها أجراً عالياً لتذاكرهم عليها وحددوا مواعيدهم بناء على مواعيدها.

النسور والجنادب في المطار

عندما وصلنا إلى مبنى المطار رأينا عجباً فهناك عشرات من النسور الإفريقية الضخمة عند بابه وفيما قرب منه وقد نثر على أرضه وداخل غرفه وهي كلها صغيرة الآف الجنادب وهي من الحشرات التي تشبه الجراد، وتكثر في بلادنا في أواخر فصل الربيع وهي غير الجراد الصحراوي المعروف في سرعة طيرانه وانتقاله من بلد إلى بلد. وقد ملأت الأرض وظننتها في أول الأمر لفافات من لفافات التبغ ملقاة على الأرض بعد أن دخن جزء منها فعجبت لِمَ لمْ يبعدها العمال.

وذلك أن رؤسها سود، وسائر أجسامها بيض.

وقد جذب وجودها عشرات النسور الافريقية الضخمة فهي تلتقطها من الأرض تأكلها وقد فرشت بها قاعات الانتظار الداخلية ولم يبعدها العمال.

ثم رأيت النسور القشاعم وهي الكبيرة الضخمة المسنة تتبختر في ساحة وقوف الطائرات وكأنها الأغنام التي ترعى في صحرائنا العربية الواسعة وذلك أن المطار ليس فيه إلا طائرة واحدة صغيرة من ذوات المحركين وهي التي سنسافر عليها إلى داكار.

وافترضت أن سبب كثرة هذه الحشرات هنا هو وجود مصابيح كهربائية في المطار لا يكثر وجودها فيما قرب منه فجذبها الضوء إليه.

وقد دخلت حمام المطار عندما تأخرت الطائرة فوجدته مهملاً من ذلك أن مقبض الباب قد سقط عن محله من جهة ولا يحتاج إلا إلى مسمار لإصلاحه.

وحوض غسل اليدين تحته (برميل) كبير مملؤ ماء لأن الحوض قد انسد مجرى تصريف الماء فيه ولكن حتى هذا (البرميل) لم يفرغ ماؤه، ومرآته قد علاها الصدأ وبقية الأشياء فيه مثل هذه في سؤ الحال.

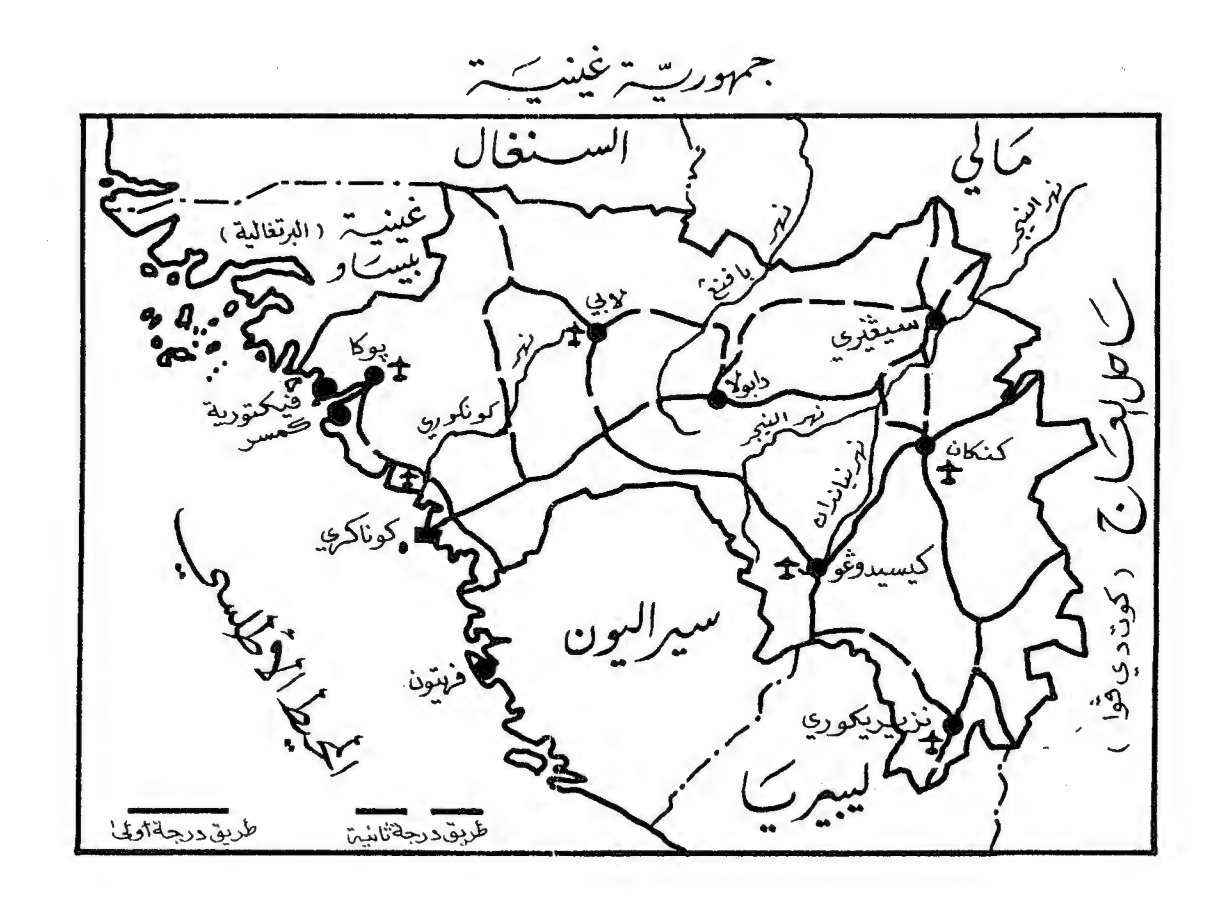
وقد قامت الطائرة في التاسعة وهي التي جئنا عليها قبل ثلاثة أيام من داكار وحتى المضيفون فيها لم يتغيروا وقد امتلأت بالركاب.

وقد عرف الشيخ الدكوري من بين ركابها سيدة مهذبة تبين أثر النعمة على وجهها فسلم عليها سلام العارف وذكر لي وهي تسمع أنها السيدة (آمنة) ابنة الرئيس السابق لغينيا (سيكوتوري) ذكرت أنها حضرت إلى غينيا بيساو من أجل الحصول على جواز سياسي (دبلوماسي) صرفته لها حكومة (غينيا بيساو) ! وذلك لكون حكومة غينيا كوناكري هي ضد والدها الرئيس سيكوتوري ومن لهم به صلة، ولا يعطونها جوازاً من هذا النوع وقد رأيناه جديداً أصدر بتاريخ الأمس ورأيت معها كتاباً فإذا به (أسماء الله الحسنى) بالفرنسية إلا أن الأسماء بالعربية وشرحها بالفرنسية ذكرت أن هذا الكتاب لا يفارقها في السفر.

وذكر لي الشيخ الدكوري أنها تقيم مع زوجها في داكار وأنها تحضر معه إلى مكتب الرابطة لبعض الأمور المتعلقة بها.

وقد حطت الطائرة في مطار داكار في الموعد المقرر. وانتقلنا إلى غرفة كبار الزوار فيه بينما كان الشيخ الدكوري وموظفو المراسم يسعون في منحي سمة دخول من المطار لأنه لم تكن لي سمة عودة إلى السنغال ولكن الأمر هنا بالنسبة لمن يحملون جواز سفر سياسياً صادراً من السعودية هو سهل، لما يربط السنغال ببلادنا من علاقات أخوية طيبة.

ثانيا: غينيا كــونكـري


جمهورية غينية
السنغال
مالي
غينية بيساو (البرتغالية)
المحيط الأطلسي
سيراليون
ليبيريا
ساحل العاج (كوت دي ڤوا)
كوناكري
پوكا
فيكتوريا
كمسر
فريتون
لابي
دابولا
سيغيري
كنكان
كيسيدوغو
نزيريكوري
نهر كونكوري
نهر باڤنغ
نهر النيجر
نهر نياندان
طريق درجة أولى
طريق درجة ثانية

غينيا كوناكري

تقع دولة غينيا في محاذاة الشاطيء الشرقي للمحيط الأطلسي، وفي الطرف الغربي للقارة الإفريقية، ويحدها من الشمال السنغال وغينيا بيساو ومالي، ومن الشرق ساحل العاج، ومن الجنوب ليبيريا وسيراليون.

وتبلغ مساحتها ٢٤٥٨٥٧ كلم مربع وعدد سكانها: حوالي ٦٠٧٥٠٠٠ نسمة ويشكل المسلمون نسبة كبيرة حيث أنها تصل إلى ٩٢٪.

وجمهورية غينيا عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي منذ عام ١٩٦٩ تربطها علاقات متينة واخوية بجميع الدول الإسلامية والعربية وتعتمد لديها سفارات الدول الإسلامية والعربية وكانت غينيا قد نالت استقلالها عن فرنسا في عام ١٩٥٨م.

ولم يكن في غينيا منذ العشرين السنة الماضية تنظيم رسمي أو جماعي للمدارس العربية والإسلامية، ورغم كل ذلك فهناك افراد كثيرون يبذلون كل ما في وسعهم لنشر تعليم الدين الإسلامي في المساجد وفي المجالس في المدن والقرى.

وعلى ذلك فالضرورة تدعو إلى تنظيم جماعي للعمل الإسلامي في غينيا، ولقد بدت البوادر الحسنة على الأفق لهذا التنظيم بإنشاء الرابطة الإسلامية الوطنية بمرسوم جمهوري في غينيا ليكون العمل الإسلامي والدعوة على المستوى الذي يليق بهما في دولة غينيا المسلمة.

وقد عين لتلك الرابطة الإسلامية وزير هو التيجاني تراوري وسيأتي الكلام على ذلك أثناء اليوميات.

وتتألف أكثر أرض جمهورية غينيا من هضبة جبلية واسعة تحتل نحو ثلاثة أرباع مساحة البلاد. وتتركز في مرتفعات فوتا جالّو في الشمال الأوسط ويراد بها قبائل من الفلانيين. ومرتفعات (دروبل) في الجنوب. أما الربع الباقي فيشغله سهل ساحلي.

ويجري فيها أنهار أهمها فتالا وكوجن. ومن الأنهار الإفريقية التي تنبع في مرتفعات غينيا النيجر العظيم الذي كان يسميه اسلافنا العرب (نيل السودان) ونهر السنغال الذين كانوا يسمونه نيل غانه، لأن (مملكة) غانة القديمة كانت تقع على ضفتيه.

وتنقسم غينيا إلى ٤ مناطق رئيسية

١- غينيا العليا وعاصمتها مدينة كانكان - يوجد بها علماء دين كثيرون.

٢- غينيا السفلى وعاصمتها كوناكري وهي عاصمة البلاد.

٣- غينيا الوسطى وعاصمتها لابي وهي منطقة فوتا جالو. من هذه المنطقة تنبع معظم أنهار غرب أفريقية الشمالية.

٤- غينيا الغابية وهي منطقة تسودها غابات كثيفة ومعظم سكان هؤلاء من المسيحيين والوثنيين خلاف المناطق الثلاث السابقة حيث غالبية سكانها من المسلمين.

القبائل الرئيسية في غينيا هي قبيلة مالينكى - ماندیغو - وقبيلة فولاني وقبيلة صوصو.

الإمكانات الاقتصادية:

في غينيا امكانات كبيرة لإنتاج الطاقة الكهرومائية بواسطة السدود وصناعات مختلفة من المواد الغذائية والقطن ومواد البناء والخشب والفخار والأقمشة وتجميع الحديد والشمع.

وفيها مقدار جيد من الثروة المعدنية مثل خام الحديد وخام الألمونيوم والمنتجات الزراعية التي تلعب الدور الرئيسي في أعمال السكان واقتصاد البلاد مثل المطاط والخشب والموز والبن والقطن وقصب السكر والبطاطا. والحمضيات .. وتصدر الجلود بشكل جيد.

دخول الإسلام في غينيا

دخل الإسلام إلى غينيا من ثلاث طرق:

١- عن طريق الغزاة القائمين في مملكة مالي وهذه المملكة كانت تشمل مالي وأجزاء كبيرة من غانا والنيجر وغامبيا والسنغال. كان ذلك في القرن الثامن من الهجرة عندما بدأ انتشار الإسلام في هذه المنطقة من غرب إفريقية ولما كانت غينيا جزءاً من هذه المملكة أي مملكة مالي دخل فيها الإسلام.

٢- عن طريق التجار المتجولين عبر القوافل التجارية حيث كان التجار يأتون من شمال القارة إلى جنوبها ببضائعهم ولما كان هؤلاء التجار مسلمين من المغرب تأثر الناس بدينهم ودخلوه.

ثم جاءت حركة المرابطين التي اتخذت من مكان لايبعد كثيراً عن نواكشوط عاصمة موريتانيا الحالية مركزاً لهم. فنذروا أنفسهم

للجهاد في سبيل الله وإدخال الإفريقيين المجاورين إلى الإسلام في الدين الحنيف فدخلت أعداد من أهل غينيا على أيديهم أو أيدي أتباعهم.

٣- عن طريق الدعاة الصوفيين من المواطنين في مملكة الماندينغ الذين تأثروا بالتجار المسلمين القادمين من شمال افريقية فكان هؤلاء الصوفيون يقومون بجولات داخل المنطقة لنشر الإسلام وكان مركزهم في تومبكتو في مالي وكانت الأجزاء الشمالية من غينيا جزءاً من مملكة مالي المسلمة التي كان يقال لها سلطنة التكرور في الكتب العربية التاريخية المتأخرة وقد انفرطت إلى إمارات صغيرة حتى وصلها الاستعمار البرتغالي منذ القرن الخامس عشر إذ كانت سواحلها مركز تصدير السكر والقطن والمطاط والرقيق ثم تنافس الأوروبيون على استثمار خيراتها وجلبها إلى أوروبا وأمريكا خلال القرنين ١٨ و ١٩ حتى تم الأمر فيها للاستعمار الفرنسي.

وقد نالت الاستقلال سنة ١٩٥٨م برئاسة (أحمد سيكتوري) وهو مسلم وأديب معروف.

وسيأتي الكثير من الكلام على أحوال غينيا الحاضرة أثناء إقامتنا فيها بإذن الله.

السكان:

معظم سكان غينيا ينتمون إلى قبائل عريقة في إسلامها ذوات مكانة مرموقة في المنطقة منذ القدم.

ومن ذلك أن أكبر القبائل فيهامن الفلاني بالنون الذين يسمون في بلادنا الفلاتي أو الفلاتة بالتاء وهم من القبائل الصحراوية التي انتقلت إلى المناطق الخصبة في الجنوب في زمن أحدث من الزمن الذي انتقلت فيه القبائل الأخرى العريقة. وإن كانوا يقولون: إنهم جاؤا إلى هذه المنطقة من المنطقة العربية منهم من قال: من مصر ومنهم من قال غير ذلك في روايات شفهية لايعتد بها.

وقد أسست فروع منها فيما بعد دولة إسلامية سلفية واسعة بقيادة الشيخ عثمان دان فودي رحمه الله، وذلك في المنطقة الكائنة الآن في شمال نيجيريا حيث تعتبر مدينة (صوكتو) عاصمة تلك الدولة الإسلامية ولاتزال كذلك من الناحية المظهرية حتى الآن.

وقد تفرقت قبائل الفلاني في سانرا نحا، ماكان يسمى بسلطنة السودان القديمة من السنغال وغينيا حتى أقصى جمهورية النيجر. وإن كانت توجد منطقتان مشهورتان الآن بأنهما للفولاني احداهما (فوتا جالو) في غينيا هذه والثانية (فوتاتورو) في شمال السنغال.

ويقول العارفون بأمور هذه القبيلة إنها لو اتحدت لكان لها شأن ولكن الجماعات من الفولانيين لا يجتمعون إلا في التهنئة بولادة مولود وعند الزواج وفي العزاء عند الجنازة.

وقد هجر الفلانيون لغتهم في مهاجرهم كالذين هاجروا منهم إلى شمال نيجيريا، التي هي منطقة هوساوية فقد صاروا يتكلمون الهوساوية بديلة من اللغة الفلانية.

ومن القبائل الكبيرة في غينيا قبيلة الصوصو وهي قبيلة عريقة يقال إنها متفرعة من جماعة الماندنغ الكبيرة التي ينطق باسمها بصيغ مختلفة فيقال فيه: مادنغ وماندنغ ومادنغا وماندنغو ومالنغ الخ وهي من القبائل التي كانت عماد سلطنة السودان التاريخية العظيمة التي كان يقال لها سلطنة التكرور.

وينتمي رئيس جمهورية غينيا الحالي السيد (لانسانا كونتي) إلى قبيلة الصوصوهذه.

وتوجد قبائل أصغر من القبائل العريقة في إسلامها لذلك لا يعجب المرء إذا رأى الشعب الغيني مسلماً مخلصاً لإسلامه، داعياً لنشر دين الله في البلدان الأخرى التي تقع إلى الجنوب من بلادهم، ولم يشمل الإسلام كل أفراد الشعب فيها.

اللغــة:

أما اللغة في غينيا فإن فيها عدة لغات من لغات المسلمين الافريقيين القديمة في المنطقة. وأكثرها تداولاً لغة الصوصو واللغة الفلانية ولغة الماندنغ وكل هذه اللغات الثلاث مفهوم للجميع.

وأما اللغة الرسمية التي هي لغة الدواوين والمراسلات والشركات والتعليم الجامعي فإنها اللغة الفرنسية لغة المستعمرين السابقين.

مقدمة اليوميات :

بعد زيارتنا لغينيا بيساو، وكتابة ماسبق عنها سافرنا إلى (انقولا) حيث مررنا بمدينة داكار التي لاغنى لمن يريد أن يزور غرب افريقية عن المرور بها.

وبعد زيارة انقولا مررنا بالكنغو الذي كان يسمى في زمن الاستعمار بالكنغو الفرنسي ثم صار اسمه (كنغوا برازا فيل) عندما كان جارهم الكنغو الآخر يسمى (كنغو كنشاسا) بعد أن كان يسمى بالكنغو البلجيكي.

وقد استقل هذا باسم له جديد بعد أن استقل سياسياً فأسمى نفسه (زايير) وذلك على اسم نهر الكنغو الذي يفصل بين القطرين ويقال بأن اسمه كان (زايير) قبل أن يسمى في زمن الاستعمارالكنغو.

فصار عدم الاشتباه في الاسم مأموناً لذلك استقل هذا الكنغو المضاف إلى عاصمته (برازافيل) باسم الكنغو مجرداً غير مضاف ولا مضاف إليه.

ولبثنا في الكنغو بعض الوقت وكتبت عنه لمحة مستجدة، بعد أن كنت كتبت عنه كتابة مستفيضة في كتاب:- «بقية البقية، من حديث افريقية»، وهذه الكتابة المستجدة المختصرة ذكرتها في كتاب:- «من انقولا إلى جزر الرأس الأخضر» وذلك في ذيل الكلام على انقولا.

ثم انتقلنا من برازفيل إلى (ابيجان) عاصمة ساحل العاج ولبثنا فيها ليلة انتقلنا بعدها إلى كوناكري عاصمة غينيا الديمقراطية.

وهذا ما سجلته عن تلك الزيارة.

يوم الأربعاء ١١/١١/١٤٠٩هـ ١٤/٦/١٩٨٩م

مأزق في ساحل العاج:

كان من المقرر أن نبقى في ساحل العاج يوماً أو يومين نتصل فيهما ببعض الإخوة العاملين في الدعوة الإسلامية، وأجدد عهداً غير بعيد ببعض المعالم في عاصمة (ابيجان).

ولكنني لم أكن أحمل سمة دخول إلى ساحل العاج، بل لم تكن زيارتها في أصل الرحلة، وإنما حملنا عليها عدم وجود طيران إلى غينيا في ذلك اليوم. وكنت جربت قبل ذلك دخول ساحل العاج دون سمة دخول مسبقة فحصلت عليها من المطار لأنه كان في استقبالنا وجيه من وجهاء ساحل العاج من الإخوة المسلمين وهو الأخ (غوسو وتري) أو (قوس ووتره) كما راق لبعض العرب أن يسميه من باب التنادر والتمالح وهو ثري جداً وعضو في البرلمان. وفي هذه المرة هتفنا به من برازفيل فلم نجده.

فكنا في المطار أنا ورفيقي السفير عبدالوهاب الدكوري وكل واحد منا يحمل جواز سفر سياسياً.

فلم تفد محاولاتنا شيئاً مع موظفي المطار فأصروا على عدم دخولي لذلك بحثنا عن رحلة تسافر إلى كوناكري فوجدناها في صباح الغد. وكان وصولنا إلى المطار في العاشرة والنصف ليلاً. وكانت هذه المرة الثانية التي يؤكد فيها صديقي الدكوري أن الأفارقة أسهل في معاملة الغريب من العرب فيخلف الأفارقة ظنه.

والمرة الأولى كانت عندما وصلنا معاً إلى ميناء كنشاسا على نهر الكنغو قادمين من برازافيل في عام ١٤٠٤هـ وكنت أحمل سمة دخول إلى زائير من سفارتهم في داكار، ولم يكن هو يحمل سمة واعتقد جازماً انه سيحصل على السمة من مكتب الجوازات في ميناء الدخول إلى زائير. معللاً ذلك بحسن معاملة الإفريقيين لجيرانهم وبني قومهم، ولكنه عجز عن الحصول على السمة المذكورة واضطر إلى الرجوع إلى الكنغو.

وقد ذكرت ذلك في كتاب «بقية البقية، من حديث افريقية».

واليوم كرر عليّ ثقته بالحصول لي على سمة الدخول من المطار لأنني أحمل جواز سفر سياسياً، ولا أريد البقاء في بلادهم اكثر من يومين، وعلاقات بلادنا السعودية مع جميع الدول الإفريقية جيدة.

ولكن ذلك كله لم يحصل.

ليلة في المطار.

لم أكره عدم الدخول إلى ساحل العاج لأنه يوفر عليّ وقتاً أنا أحوج ما أكون إلى إنفاقه في غينيا لأنني لم أزرها من قبل، بخلاف ساحل العاج التي زرتها وكتبت عنها فصلاً في كتاب : «بقية الحديث من حديث افريقية» كما تقدم، ومن أحسن مافي هذا المطار أنهم جعلوا فيه فندقاً مريحاً معتدل السعر وفيه مطعم جيد معتدل السعر أيضاً.

فبتنا فيه ليلة دفعنا عنها (١٣) ألف فرنك إفريقي غربي ويساوي ذلك حوالي ٥٢ دولاراً أمريكياً.

وكانت إدارة الفندق قد وكلت بنا ضابطاً كبير الرتبة حتى يسهل لنا أمر سفرنا غداً من أجل راحتنا، ولأن المقاعد إلى كونكري تكون عادة مشغولة قبل ذلك بمدة.

واعطاه السفير الدكوري عشرة الآف فرنك (سيفا) أي حوالي أربعين دولار بمثابة الحلوان (البقشيش).

ولكن المبلغ ذهب هباءً لأننا كنا نسعى في شئون أنفسنا ونحن أكثر خبرة بأمور الحجز والسفر منه. ولم يستطع تأكيد الحجز لنا على السفر غداً.

وقد قضيت معظم الليل في الكتابة في غرفتي في الفندق.

يوم الخميس ١٢/١١/١٤٠٩هـ ١٥/٦/١٩٨٩م

استحكم المأزق الذي وقعنا فيه أمس وذلك بعدم تأكد الحجز هذا اليوم.

فأسرعنا في الصباح مع الضابط الذي كان يصحبنا إلى الشركة الغينية للطيران وهي تسير طائرات محدودة العدد والرحلات.

وكان أول ماقالوه أنهم لايقبلون التذاكر التي معنا لأنها تذاكر عالمية وهم لايقبلون أية تذكرة لأنهم ليس لهم محاسبة مع أية شركة أخرى وإنما على من يريد أن يركب معهم أن يشتري تذكرة ويدفع ثمنها نقداً.

وقال قائل في المطار إن بعض الشركات المحلية الإفريقية لاتثق ببعض لذلك لايقبلون تذاكرها.

وقد تحمل صديقي الدكوري عناء عظيماً في مراجعتهم. لأنه الذي يعرف الفرنسية وهو من أهل المنطقة وكان ينقل إلي أخباراً متناقضة عنهم في بعض الأحيان.

وحتى الضابط الذي معنا لم يكتف بالمبلغ الذي أخذه أمس وهو عشرة الآف فرنك (سيفا) وإنما طلب من الشيخ الدكوري خمسة الآف أخرى (حوالي عشرين دولاراً) قال: إنها ثمن وقود تحتاجه سيارته ليذهب إلى مكتب الشركة في المدينة.

البنك يخشى التزييف:

احتجنا إلى صرف نقود من مصرف في مطار ابيجان من أجل أن ندفع قيمة تذاكرنا فامتنع الموظف فيه عن صرف أكثر من مائة دولار، وذكر أن التعليمات التي لديه لاتجيز له أن يصرف أكثر من هذا المبلغ لشخص واحد. حتى الدولار نقداً امتنع عن صرفه وكانت الصكات (الشيكات) السياحية معي وليس مع الشيخ الدكوري منها شيء ولا نقود إفريقية في تلك الساعة فكان لابد من أن أصرف دولارات تكفي لتذكرتينا.

وعلل موظف (البنك) فعله ذلك بأنه بسبب الخوف من أن تكون (الشيكات) مزورة ولايعرف ذلك إلا بعد سفر الذي قدمها للبنك.

مع أنها شيكات عالمية صادرة من الولايات المتحدة ومستعملة في العالم كله. وبعد مداولات واتصالات على مستوى عالٍ في البنك والمطار أسهم فيها الضابط المرافق قبل الموظف أن يصرف لي (شيكين) بمائتي دولار وباسم الشيخ الدكوري مائة دولار نقداً.

ومن اللطيف المؤذي أنني عندما قلت له: إنه يمكنه أن يأخذ رقم جوازي السياسي الذي بين يديه ويعتمد في صحة توقيعي على (الشيكات) قال: إن جوازك يحتمل أن يكون مزيفاً.

فقلت في نفسي:

وليس يصح في الأذهان شيء

إذا احتاج النهار إلى دليل.

وبعد صرف النقود ذكر لنا الضابط أن الشركة الغينية التي سنسافر معها إلى كوناكري ذكرت أنه لايوجد لديها مقاعد خالية ولكنه ضغط عليها وقال لها: هذه أوامر الحكومة فقبلت أن نسافر معها.

هكذا قال غير مبالٍ. فإذا كان كلامه صحيحاً كيف يكون موقفها مع الذين ألغت حجزهم من أجلنا؟ علماً بأننا لانعرف صحة ذلك. ولم نشارك في حصوله لأننا لانقبل أن نظلم أحداً فيلغى حجزه من أجلنا.

وكان المطار غاصا بالمسافرين الذين اختلطت أصواتهم في غير نظام مع أصوات مكبر الصوت الذي يذيع أخبار الرحلات ولم تكن قاعاته مكيفة ضد الصدى.

قبل المغادرة:

وزنوا امتعتنا فتنفسنا الصعداء، ولم نكن نستطيع الوصول إلى موظفي الترحيل بسبب شدة الزحام وتراكم الناس حولهم فكان الضابط بلباسه الرسمي هو الذي فعل ذلك وكان الركاب متميزين عن الأفارقة من سكان هذه المنطقة وما كان عنها جنوباً في البلاد التى زرناها أو مررنا بها في هذه المرة وهي انقولا والجابون والكنغو.

فهؤلاء الركاب من التكارنة أهل غينيا وكلمة (التكارنة) جمع تكروني بلغتنا أو (تكرولي) بالفرنسية صفة مدح هنا. فالتكروني أكثر ذكاء من غيره من الأفارقة الذين يسكنون تحت خط الاستواء وما كان عنه جنوباً وهو أكثر مهارة في البيع والشراء، بل إن التكارنة أرقى من غيرهم من الإفريقيين على وجه العموم.

ومن ذلك أنهم أجمل أشكالاً من أولئك بكثير.

ورأيت مع الركاب ماكنت رأيته معهم في مطارات المملكة من كثرة الأمتعة وفي تعدد ما يحمل منها بالأيدي.

وكانت قاعة الانتظار قبل الخروج إلى الطائرة أشبه بالسجن الحقيقي، فهي مزدحمة وليس فيها نوافذ والتكييف متعطل فكدنا نختنق من الحر وقلة الهواء فنخرج منها إلى قاعة الترحيل التي هي مثلها مزدحمة وحارة، إلى جانب الضوضاء المزعجة.

ومن مظاهر كون المسافرين من التكارنة أن النساء فيهم أكثر من الرجال ومعهن أمتعتهن الثقيلة وتلك عادة معروفة عنهن لأنهن من التاجرات فنساء التكارنة يتاجرن كما يتاجر رجالهم.

وهن يسافرن للتجارة كما يفعل الرجال.

وقد رثيت في هذه المرة كما رثيت في حالات مماثلة لمواطني البلدان المتخلفة في الإدارة لما يلقونه من عنت ومشقة في مرافق بلادهم، فضلاً عن ضياع الوقت والجهد والمال فيما لاطائل فيه ويمكن تلافيه في البلدان المتقدمة.

ثم خرجنا إلى الطائرة مع تباطأ وتلكؤ في السير وذكر لي الشيخ الدكوري انه سمع بعض الناس يصيحون يقولون: إن لدينا حجزاً مؤكداً ولكننا لم نركب.

وبعد أن أخذ الركاب مقاعدهم في الطائرة أبطأوا في شحن مكان في مقدمة الطائرة مخصص لشحن البضائع.

وليس في الطائرة درجة أولى، وإنما كل مقاعدها سياحية.

من ابيجان إلى كوناكري:

أقلعت الطائرة وهي من طراز بوينج ٧٣٧ في الساعة الواحدة متأخرة ساعتين عن موعدها المحدد في الأصل وهو الحادية عشرة.

وكل الركاب فيها من الأفارقة الذين أكثرهم إن لم يكونوا كلهم من التكارنة، وليس فيها إلا ثلاثة ركاب من البيض.

ومع ذلك كانت الملابس العربية فيها كثيرة وظاهرة وقد لبسها الإخوة المسلمون من التكارنة وأكثر التكارنة إن لم نقل كلهم من المسلمين.

وأعلن مكبر الصوت في الطائرة أن المسافة من ابيجان إلى كوناكري تبلغ ساعة وأربعين دقيقة وأن قائد الطائرة هو عبدالرحمن جالو.

و (جالو) قبيلة كبيرة من قبائل الفلاني بل هي أصل عظيم من أصولهم التي هي (جالو) و(سنكري) و(سيدي بي) و (جغتي).

وكان منهم الأمين العام لمنظمة الوحدة الإفريقية (عبدالله جالو). وكان قومنا يكتبون اسمه (ديالو) وينطقون به كذلك جهلاً منهم بالنطق

الصحيح. ومتابعة للكتابة الفرنسية التي تكتبه بالجيم فيظنون أنها تنطق (ديا) بدلا من (جا).

كما كانوا يفعلون في النطق باسم أول رئيس لوزراء السنغال في عهد الاستقلال فيكتبون اسمه (مامادو ضيا) والصحيح أنه (مامادو جاه) ومامادو هي (محمد) محرفة.

وكان اعلان الطائرة بالفرنسية بعدها الانكليزية.

عندما نهضت الطائرة صارت تطير فوق ساحل المحيط الأطلسي لأن المطار على شاطيء البحر لكون ابيجان ميناء على المحيط.

وقد بدا الشاطيء غير جميل ولا مجمل ثم غابت الأرض تحت غيم كثيف فأبصرنا المضيف والمضيفة وهما افريقيان يوزعان الضيافة والوقت وقت غداء فإذا به شطيرتان من الخبز بينهما شيء من الخضار ولحم تنبعث منه رائحة متغيرة، بل عفنة وقد عافته نفسي، ولكن جاري سأل المضيفة عن اللحم أهو لحم خنزير ؟ فقالت لا أدري ثم ذهبت تسأل غيرها في الطائرة وعادت تقول: إننا لاندري لأننا أخذناه من ساحل العاج.

هذا مع العلم بأن اكثر الركاب الذين معهم هم من المسلمين، ولم نذقه.

والمضايقة الثانية كانت في حمام الطائرة فليس فيه ماء ولا ورق ولذلك لم استطع استعماله وخرجت دون ذلك.

ولم يقدموا في الطائرة شاياً ولا قهوة وإنما قدموا ماءاً منعني من شربه الشك في نظافته.

وقد استمر طيران الطائرة سهلاً مريحاً لأنه كان على المحيط وصحبتنا السحب في أكثر الرحلة.

في مطار كوناكري:

تدنت الطائرة مخترقة سحباً ثقالاً ذات أعالٍ بيض فأبصرنا الأرض تحتنا خضراء خضرة مطبقة والمياه المتخلفة من السيول قد اجتمعت بقرب خلجان بحرية أو على الأدق أخوار بحرية وهي الشعاب التي تنطلق من البحر داخلة في الأرض.

وكان انطلاقها طويلاً ممتدا إلى مسافات تخيل لمن يراها وهو لا يعرفها أنها أنهار عذبة ذاهبة إلى المحيط.

وفي هذه الأرض الحقول الخضراء المزروعة بالذرة والأرز في خصب ظاهر.

وقد أخبرونا أن هذه الأيام تعتبر من الأيام المطيرة عندهم.

ثم قربت الطائرة من مجال مدينة كوناكري فرأينا المدينة فوق لسان ضيق من الأرض داخل المحيط وهي ممتدة بامتداده.

ثم نزلت الطائرة في مطار تبدو مدارجه ومرافقه متواضعة دون المتوسط.

إلا أننا عندما دخلنا أبنية المطار رأيناها أحسن حالا.

كان زميلي الشيخ الدكوري قد اتصل بسفير غينيا في ساحل العاج عندما تأكد موعد السفر وأخبره بأننا سنقدم إلى كوناكري اليوم وطلب منه أن يبلغ وزير الرابطة الإسلامية الأستاذ تيجانى تراوري بذلك.

غير أننا لم نجد أحداً في استقبالنا في المطار ولم نكن أبرقنا للسفارة السعودية بسبب ظروف الحجز وعدم الثقة بمواعيد السفر في هذه المنطقة. ولكوننا فهمنا أن سفير غينيا في ساحل العاج سيبلغ حكومته بقدومنا إلا أنه لم يفعل حسبما قالوه لنا.



مطار كونكري

وقد استقبلنا رجلان من المراسم في المطار، وبقينا في قاعة كبار الزوار المعروفة بصالون الشرف وهما يسعيان في أمر الجوازات وكلنا يحمل سمة دخول رسمية سياسية إلى غينيا.

والقاعة مكيفة الهواء جيدة التأثيث ذات لون أحمر حتى أبوابها وفرشها لونها أحمر وقد رأينا بعد ذلك أن اللون الأحمر هو المفضل في الأماكن الرسمية فقصر الجمهورية الذي التقينا فيه بالرئيس كان مطلياً باللون الأحمر والرئيس نفسه كان يلبس حلة حمراء كما سيأتي.

ومن الملفت للنظر في قاعة الزوار هذه أن صنبور الماء في حمامها يصب الماء ثم يقف توفيراً للماء، مع العلم بأن بلادهم لاتشكو شحا في الماء بل هي بلاد مفعمة بالمياه، وتنبع من هضبتها أنهار مشهورة منها نهر النيجر الذي كان أسلافنا العرب يسمونه (نيل السودان) ونهر السنغال الذي كان اسمه في كتبنا العربية القديمة (نيل غانة).

وقد جهل كتابنا ذلك فأطلقوا عليهما اسمين افرنجيين مستحدثين من باب التقليد للأوروبيين المبني على جهل الماضي الثقافي العريق. أما النهر الثالث المشهور الذي ينبع من هضبة غينيا فهو نهر غامبيا.

وطرأ الفرق الكبير على ذهني بين مقادير المياه عندهم وعندنا ومع ذلك فإننا نترك لصنابير المياه في بلادنا العنان لتصب ماشاءت من الماء، ونترك للذين لايقدرون قيمة المياه في بلادنا العنان لنشوتهم في اهدار المياه.

في مدينة كوناكري:

ركبنا سيارة أجرة قاصدين فندق الاستقلال المسمى (نوفوتيل كونكري) وهو احسن الفنادق في كوناكري كما اخبرونا.

فكانت أولى الملاحظات على الطريق الرئيسي الذى يسلكه من يقدم من المطار إلى المدينة وليس له طريق غيره أن البيوت التي تحف بذلك

الطريق معظمها من لبن الأسمنت المسقف بالصفيح وبعضها مقام من الصفيح أيضاً، وبعضها ذو مظهر متواضع.

ومع ذلك مررنا بمسجد مبني من الأسمنت المسلح ذي منارتين جميلتين.

والشارع ذو اتجاهين، تفصل بينهما جزيرة جرداء في هذا الجو الأخضر، وكأنما هم في هذا الأمر مثل أهل (ليبيريا) الذي رأيتهم في بعض المواقع يجملون الأماكن المعتنى بها عندهم بابعاد الحشائش والأعشاب. وكل ما هو أخضر عنها. وذلك لكثافة الخضرة في بلادهم و كونها عامة فيها حتى صار وجودها في مكان لا يعطيه جمالا عندهم، ولايدل على أنه مكان معتنى به.

على أن هذا الشارع وهو الشارع الرئيسي الوحيد مابين المطار والمدينة وهو أيضاً الطريق الوحيد لمن يأتي من خارج كوناكري إليها من جهة البرفانه ليس واسعاً وامتد الشارع وكان اكثر الأشجار ظهوراً فيه اشجار النارجيل النضر ومررنا بسوق شعبية لم نقف عندها.

ثم بدا من هذا الشارع مسجد الملك فيصل بمناراته الشامخة وطرازه العربي الجميل ومظهره المتميز. وسيأتي الكلام عليه عندما نزوره فيما بعد إن شاء الله.

وتبلغ المسافة من المطار إلى الفندق ١٨ كيلو متر مربع ومع ذلك طلب السائق أجرة لها خمسة آلاف فرنك غيني، ويساوي ذاك حوالي ١٧ دولاراً أمريكياً وهذا كثير على تلك المسافة.

وعندما وصل الشارع إلى القرب من قلب المدينة حسن منظره وصار شجره النضر سامقا، مما يدل على قدم غرسه.

ثم انحرفنا عن هذا الشارع العام مع شوارع جيدة تتعانق فوقها الأغصان المغروسة على جانبيها.

ونزلنا في فندق الاستقلال وكان يسمى (نوفوتيل كونكري) ولايزال هذا الاسم مكتوباً عليه.

واجرة الغرفة الواحدة فيه ٩١ دولاراً امريكياً وهو مبلغ كبير بالنسبة إليه ولكن لا يوجد فندق آخر جيد غيره.

وكان من الأشياء الصغيرة اللافته للنظر أن العامل الذي حمل حقائبنا إلى الغرف كان يعرف العربية وأنهم أكدوا علينا أن نودع جميع مالدينا من نقود أو اشياء ثمينة في خزائن الفندق.

انزلوني في غرفة في الطابق الخامس تطل على المحيط وتقع مباشرة على شاطيء ذي صخر بركاني أسود الحجارة اذا علاه المد صار جميلاً وإذا اصابه الجزر بان عيبه الذي هو صخر أسود في طين. وليس شاطئاً رملياً كما يكون في اغلب الشواطيء التي عليها الفنادق.

وقد اخبرونا بعد ذلك أن الشواطيء الرملية قليلة في كونكري.

ولكن المنظر الذي يلي هذا الشاطيء جميل حيث يتدرج النظر إليه من منظرمياه ضحلة زمردية إلى مياه زرقاء عميقة بعدها وتحف به الخضرة الشاملة من جهة البحر، ومن جزيرة تقابله ولا تضايقه.

ومن أجمل ما صنعوه في الغرفة ان جعلوا جدارها الذي يلي البحر ينزاح أي يبعد إلى شرفة واسعة للغرفة فيصبح النزيل في غرفته كأنما هو على الشاطيء بالفعل غير أننا لا نفعل ذلك طلباً لتكييف الهواء واتقاء الرطوبة.

أصيل كونكري:

وأصيل كونكري بالنسبة الينا في هذا اليوم هو أصيل فندق الاستقلال هذا الذي نسكن فيه، إذ لم نبرحه وإنما حاولنا الاتصال بالوزير تيجاني تراوري وزير الرابطة الإسلامية وهو بمثابة وزير الشؤون الإسلامية في غينيا ولكننا لم نستطع ذلك.

فجلسنا في مقصف للفندق قد أقاموه على الشاطيء بجانبه بركة للسباحة لايفصل بينها وبين شاطيء البحر إلا قليل من المساحة. وقد تجمع فيه طائفة من سكان الفندق واكثرهم من الأجانب، وانضم إليهم طائفة من أهل البلاد يتصلون بهم. ويتعاملون معهم بالتجارة وكان الهواء طلقا بليلاً قد اذهب الأصيل ثقله وغسلت نسمات البحر حره وأخذت أشجار النارجيل تتراقص فروعها فصارت تميل كإنما لتقبل مياه الشاطيء ولكن المياه تهرب منها فتسيل مرة ثانية إلى مقرها الأصيل في البحر المحيط الأعظم كما سماه أسلافنا.

وإخوتنا المسلمون الأصلاء سكان هذه المنطقة من غرب افريقية وما كان عنها شمالاً هم الذين ينبغي أن يسموا بالسودانيين لأن هذا هو اسمهم في كتب التراث العربي العريق أخذه عنهم، ولا نقول منهم من سمى به السودانيين الشرقيين العرب الذين عاصمة بلادهم الخرطوم وقد فصلت ذلك في كتاب (بلاد التكرور).

وهؤلاء الإخوة فيهم خصلة جيدة من خصالهم الحميدة العديدة وهي محبتهم للتعارف وسرعتهم إلى التكلم مع الغرباء، وبخاصة منهم التجار الذين يطمحون إلى زيادة أعمالهم التجارية.

ومن ذلك أن اثنين منهم كلما رفيقي الشيخ الدكوري وهو يعرف لغاتهم ثم اشتركا معنا في الحديث فأسرع احدهما بالذهاب بنفسه إلى منزل الوزير تراوري يخبره بقدومنا. وأما الآخر فإنه خرج وعاد معه بمقدار من ثمار العمبة (المانقو) الضخمة الممتازة قدمه هدية إلينا وذكر أنه تاجر يصدر هذه الثمار إلى الخارج وأن هذا الوقت هو موسم نضجها هنا، ولذلك تكون كثيرة ورخيصة.

ثم عاد الأول وذكر أن الوزير تراوري لم يكن موجوداً في بيته وأن أهله أخبروه بأنهم سيبلغونه إذا عاد.

وفي المساء اتصل بنا الوزير تراوري هاتفياً وأبدا أسفه لعدم معرفته المسبقة بقدومنا وأنه لم يردهم من ساحل العاج أو غيرها خبر عن قدومنا وإنما اخبرتهم السفارة السعودية في كونكري أنها تلقت من وزارة الخارجية السعودية خبراً بأنني سوف أصل كونكري ولم يحددوا الموعد.

وهذا صحيح لأن سفونا إليها لم يكن مباشراً وإنما كان بواسطة بلدان لنا عمل فيها ولاتنتظم الرحلات منها.

ثم اتفقنا معه على الللقاء غداً.

يوم الجمعة ١٣/١١/١٤٠٩هـ ١٦/٦/١٩٨٩م

وجدنا مطعم الفندق قد امتلأ بالمفطرين لأن اليوم يوم عمل بالنسبة إليهم فاخترنا مائدة في الهواء الطلق، ولكن ذبانا زرقا ملحة أشبه

مـاتكون بالذبان الـصحـراوية هـاجـمتـنا وكـأنما بعـد عـهـدها بالآكلين واضطررنا للبقاء في الداخل قليلاً حتى خلت مائدة فيه.

وكان إفطارهم سخياً وافراً معروضاً على الموائد يأخذ منه النزيل ما شـاء (بوفت) وتذكرت إفطارنا في (انـقولا) الشـيوعـية الذي كـان نزر المقدار، غـير جيد النوع ومع ذلك فـإن العمال في المطعم كانوا يقـدمونه إلينا، وكـأنما يمنون به منـا ربما لكونهم يشـعـرون أنهم مظلومـون من الشيوعية التي قللت مداخيلهم، وحددت مواردهم وسكتت على ارتفاع الأسعار حتى صار درهمهم فلساً بعد أن كان في منزلة الدينار.

مع وزير الشئون الإسلامية:

كان هـذا اسم وظيفـته (وزير الشـئون الإسـلاميـة) ومرتبـته مرتـبة وزير. وقـد عـينتـه الحكومـة في هذه الوزارة مـن أجل العناية بالأمـور الإسلامية والإشراف على النشاط الإسلامي.

غيـر أن المسيحيين وهـم قلة احتجوا على هذه الـتسميـة، وقالوا لابد أن تكون لنا مثلهـا وزارة تسمى وزارة الشئون المسـيحية تعنى بـشئون المسيحيين لأننا كالمسلمين مواطنون غينيون.



عند باب وزارة الشئون الإسلامية في كوناكري

قالوا: فصدر الأمر بتغيير الاسم إلى وزير الرابطة الإسلامية وهو برتبة وزير فلم تتغير رتبته، ولم يتغير مقر وزارته حتى اسم الوزارة بقى مكتوباً عليها بالعربية (وزارة الشئون الدينية) كما سيأتي.

أرسل وزير الرابطة الإسلامية نائبه في الرابطة الشيخ الحاج (شيخو بونقورا) إلينا في الفندق ليتأكد من قدومنا لأن الرسالة التي بلغته من الأخ الغيني كانت شفهية وغير واضحة ثم جاء الوزير الينا في الفندق بصحبة نائبه وبعض المسئولين في الوزارة، فسلم علينا وأبدى اعتذاره بعدم علمه بوصولنا.

ثم أخبرته بالغرض من قدومنا إلى كونكري والمدة التي نستطيع أن نقضيها هنا كما بحثنا معه برنامج الزيارة، واتفقنا على الأمور

الرئيسية فيه . وكرر شكر حكومة غينيا على زيارتي وذكر أنه كان ينتظرها من قبل.



وزير الرابطة الإسلامية الغيني بجانبه المؤلف

في وزارة الشئون الإسلامية في كونكري

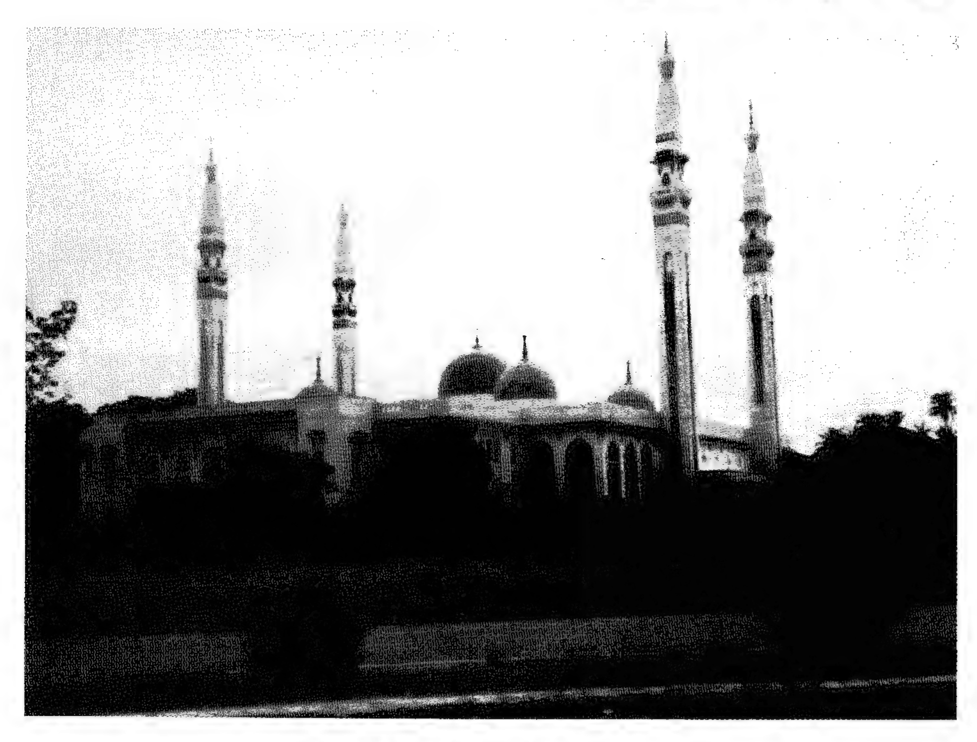
كما بحثنا معه موضوع المؤتمر الذي اقترحناه لعلماء المسلمين من السنغال وموريتانيا وغينيا ومالي وموضوعه بيان حكم الإسلام في الأمور التي حدثت بين موريتانيا والسنغال. وأن مال المسلم على المسلم حرام كحرمة دمه.

والغرض من ذلك قيام علماء المسلمين بواجب النصح والإبلاغ في هذا الصدد وألا يتركوا معالجة هذه الأمور للسياسيين البعيدين عن

الإسلام في تصرفاتهم.

على أن تقوم رابطة العالم الإسلامي بالدعوة إلى المؤتمر والإشراف علي عقده والانفاق عليه.

في جامع الملك فيصل:



منظر عام لجامع الملك فيصل في كونكري

جاء الينا ضحى اليوم الأخ الشيخ (محمد جاوارا) أمير الحج في وزارة الرابطة الإسلامية وتحدثنا معه في الشئون الإسلامية في هذه البلاد، وانضم اليه غيره من أهلها.

ثم جاء الأخ الأستاذ محمد بن عبدالرحمن البسام السفير السعودي في كونكري وكانت لي به معرفة، إذْ كنا اشتركنا معاً في مهمة رسمية

في الفلبين كان هـو فيها ممثـل وزارة الخارجية وكـنت رئيس الوفد في تلك المهمة، وذلك قبل سبع سنين.

وقد عـتب عليّ في عدم أخـباره بموعـد قدومي، وذكـر انه تلقى من وزارة الخارجية في الرياض برقية تخبره فيها بأنني قادم، وانني سوف ابرق بموعـد قدومي لـلسفـارة فـقلت له: لك العـتب في ذلك. ولكني لم اعـرف موعد قـدومي الا قبل السـفـر بساعـات وإن الوقت كـان غيـر مناسب للاتصال بالسفارة.

وتحدثنا فترة من الوقت ثم ذهبنا في الساعـة الواحدة والربع بصحبة الجميع إلى جـامع الملك فيـصل وهو اكبـر جامع في العـاصمـة بل في غينيا كلها.

جلسة مع أئمة الجامع:

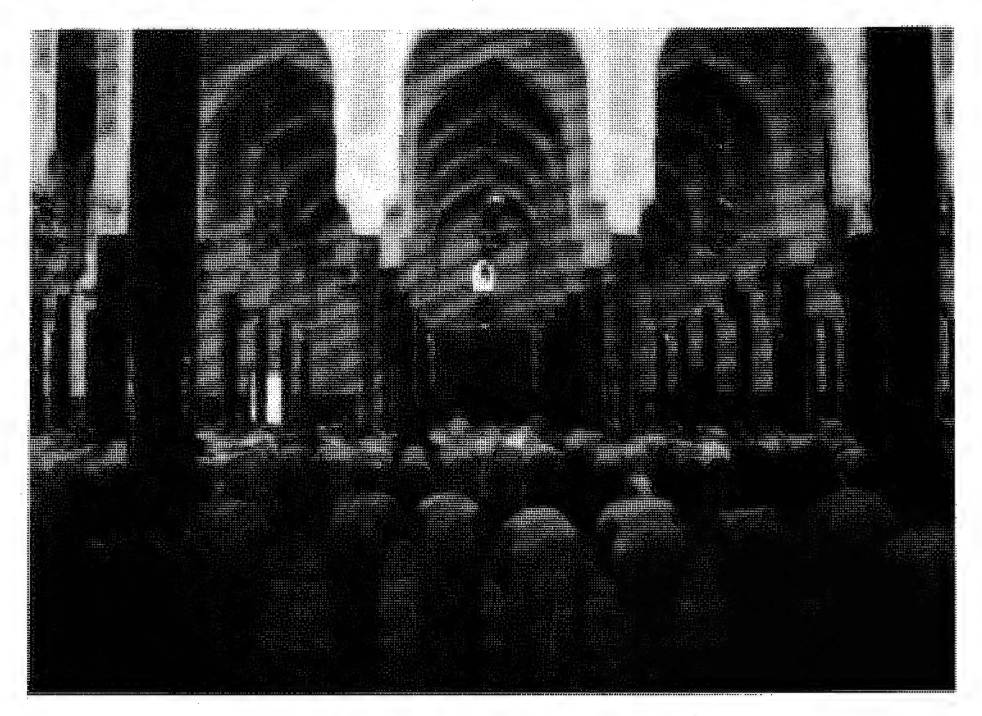
وصلنا إلى الجـامع قبل دخـول الخطيب فوجـدنا الوزير تراوري في الاستـقبال ومـعه أئمـة الجامع وعددهم خـمسة ومنهـم الإمام الخطيب الذي سـيؤم بنـا اليوم وكـذلك بعض المسـئولين والعاملـين في الشئـون الإسلاميـة في جلسة تبادلنا فيـها الأحـاديث عن شئـون الدعوة والدعاة وعن الإسلام في هذه البلاد.



في غرفة الجامع قبل صلاة الجمعة على يميني حاكم ولاية كونكري وعلى يساري وزير الشئون الدينية تيجاني تراوري

وذلك في غرفة يدخل منها الإمام وكبار القوم إلى الجامع من باب تلقاء المحراب ثم دخلنا للصلاة فأذن مؤذن فيهم أذاناً سريعاً لا يمده ولا يتغنى فيه.

ابتدأ بعدها الخطيب بإلقاء خطبة مختصرة بالعربية اعقبها بترجمة لها باللغة الفلانية التي هي لغة الفلاني - بالنون - الذين نسميهم عندنا في الحجاز - الفلاتي - بالتاء.



أثناء الصلاة في جامع الملك فيصل

مسلمون جدد:

بعد الفراغ من الصلاة تكلم احدهم من مكبر الصوت باللغة الصوصوية وهي لغة قبيلة صوصو التي منها رئيس البلاد الحالي (لانسانا كونتي) فقدمني إلى المصلين وذكر وظيفتي والغرض من القدوم وكذلك فعل مع رفيقي في الرحلة السفير الدكوري.

وقد علمنا بعد ذلك أن المصلين في المسجد وهم جمع غفير ربما يبلغ عشرة الآف أو نحو ذلك لا يجتمعون على فهم لغة واحدة لذلك لابد للخطيب إذا أراد أن يفهمهم كلهم أن يشرح خطبته بلغة الفولاني والصوصو والماندنغو.

وقد أعلنوا إسلام اثنين من أهل البلاد بعد أن كانا مسيحيين.

وقد لقنهما إمام المسجد الشهادتين وبين لهم بياناً مختصراً ما يجب عليهما فعله الآن بعد أن أصبحا من المسلمين.

فسارع المصلون إلى السلام عليهما بالمصافحة وبعضهم كانوا يعانقونهما.

وذكروا لنا بهذه المناسبة أن الداخلين في الإسلام كثير وبخاصة من المثقفين الذين كانوا قد تربوا في مدارس المنصرين.

ثم خرجنا من الجامع وودعنا الوزير ومن معه وداعاً إلى لقاء.

جولة في مدينة كونكري:

كانت هذه الجولة على سيارة السفارة السعودية وقد اخترناها على سيارة وزارة الشئون الإسلامية التي وضعتها في تصرفنا لأنها جديدة ومكيفة.

بدأت هذه الجولة في الثالثة والنصف من بعد الظهر ورافقنا فيها الأخ (كماجي بونا كيتا) وهو تاجر من أهل البلاد الغينية العارفين بأمورها المعيشية وبما اتصل بها وقد حج مرتين وذكر أنه يعمل في مؤسسة لتيسير أداء العمرة عن طريق قطع تذاكر وحجز اماكن الإقامة في المملكة، كما أن سائق السيارة السعودية من أهل البلاد العارفين بها أيضاً.

وكان الحديث يتم بالترجمة إلى العربية من احدى اللغات الاقليمية المنتشرة في غرب افريقية أو من الفرنسية ورفيقي الشيخ الدكوري يحسن الترجمة من تلك اللغات.

حي السودان الفرنسي:

هذا من افخر الأحياء في كونكري وكان أفخرها في السابق، ويقع غير بعيد من فندقنا.

وكان يسمى (حي السودان الفرنسي) عندما كانت فرنسا تستعمر مالي وماحوله أو في حكمه من المناطق وتسميها السودان الفرنسي بسبب استعمارها لها. تمييزاً له عن السودان العربي الشرقي الذي كان يسمى أيضاً في زمن الاستعمار بالسودان الإنكليزي أو الانكيزي المصري.

وتسمية هذه الجهة بالسودان هي صحيحة وهو عربية فصيحة أطلقها عليه أسلافنا العرب منذ ألف عام أو تزيد ليس من أجل التشهير بالسواد، وإنما للتمييز بين الأقوام.



مع الشيخ الدكوري في أحد شوارع حي السودان في كوناكري

فهم يرون تلك المنطقة لا يميزها مميز عن المناطق الأخرى في العالم الإسلامي إلا اللون فهم مسلمون أقوياء في دينهم ولهم الممالك العظيمة التي إذا عدت ممالك الإسلام كانت إحدى ممالكه الأربع الشهيرة.

وقد ذكروا من عظمة سلطنة السودان أنها كانت تمتد مسيرة اربعة أشهر في شهرين.

ونوهوا بمزايا وفضائل الحكم السوداني هذا بمالم ينوهوا به في حكم سلطنة أخرى من سلطنات الإسلام.

من ذلك ماذكره ابن بطوطة رحمه الله من قوله ما معناه: المرء يسافر في بلاد السودان شهراً أو شهرين لايخشى سارقًا ولامنتهبا.

وهم يريدون بذلك تلك المملكة الواسعة التي كانت عاصمتها مالي، وقد اشبعت القول فيها في كتاب: «بلاد التكرور».

فهذه التسمية (السودان) هي صحيحة وأما إلحاق صفة الفرنسي بها فإنها استعمارية معارة ذهبت مع الدهر كما ذهب سلطان المستعمرين الفرنسيين عن غينيا. وإن كان لايزال موجوداً خلف الستار في اقطار أخرى كالقطر الذي كنا فيه أمس وهو (ساحل العاج).

إلا أن الذي يؤسف له أن تسمية المنطقة بالسودان وهي -كما قلت- عربية فصيحة قديمة قد زالت أيضاً. لإن الاستعمار جزأ تلك المنطقة المسلمة الواسعة واعطى لكل جزء منها اسماً صار رسمياً قانونياً لها.

ولكن كلمة (السودان) الحبيبة هذه لم تمت في منطقة أخرى من المناطق المسلمة فصارت تطلق على السودان العربي - بالعين المهملة - بعد أن كانت تطلق على السودان الغربي - بالغين المعجمة - .

ونعود إلى ذكر هذا الحي من أحياء كونكري فنقول: إن المستعمرين الفرنسيين كانوا يستأثرون بسكناه ويمنعون المواطنين من ذلك، بل ويمنعونهم حتى من دخوله إلا من كان في خدمتهم.

إلا أنه صار بعد ذلك مقراً للرجل الذي قطع صلة بلاده بالاستعمار الفرنسي وآثر الاستقلال لها مع سوء الإدارة على الاستمرار في البقاء تحت نفوذ المستعمرين الذي يكون معه الخبرة في الإدارة وحسن تصريف الأمور المادية الخالصة.

ذلكم هو الرئيس المغفور له - إن شاء الله - الشيخ الطوري. أو كما يلفظون به (سيكوتوري).

وسيكو هي (شيخ) العربية محرفة و (توري) فصيل كبير من أهل السودان الغربي أي قبيلة أو ما هو أكبر من القبيلة من قبائلهم.

بل يكاد المرء يفهم من بعض النصوص أن (توري) أصلها عربي أو بربري لأنها كانت من البيضان وإن كان سوادها الآن قد صار حالكاً بسبب تأثير الجو والاختلاط بالسكان.

هذا إذا لم يمكن هناك تشابه أو تماثل في الأسماء. وإن كان يختلف المسمى.

الأيدي العربية:

في هذا الحي مجموعة من البيوت الجميلة بنيت بأيد عربية، وبمال عربي فكان بناؤها لمناسبة انعقاد القمة الخاصة بمنظمة الوحدة الإفريقية واستعانت حكومة غينيا بحكومة المغرب الشقيق فأرسل عماله ومهندسيه ليعملوا في بنائها وأرسلت المملكة العربية السعودية مقداراً من المال للنفقة.

وقد ساعدت هذه الأيدي العربية سواء منها البانية والمانحة على ايجاد هذه المساكن المناسبة لضيوف غينيا قادة الدول الأفريقية وبقيت بعد ذلك تؤجر منها الحكومة الغينية على رجال البعثات بالعملة الأجنبية الصعبة فهي في هذا الحي الغارق بالأشجار الواقع على شاطيء البحر.

وتقع وزارة الخارجية الغينية في محل مقابل لهذه البيوت.

وغير بعيد من ذلك مقر وزارتي العدل والداخلية.

وأهم ما في هذا الحي عدا قربه من البحر، وجمال المساكن فيه هو كثرة الأشجار المغروسة في شوارعه بكثافة حتى تعانقت فروعها على الشارع فصار الماشي فيها كأنما يمشي في إيوان ذي سقف أخضر.

شارع الإمام:

انتقلنا من حي السودان الفرنسي - حسب التسمية القديمة - إلى حي مجاور له جيد أيضاً بيوته من الأسمنت المسلح ذوات طوابق متعددة وفيه محلات تجارية مهمة. ومكاتب للشركات - مثل شركات الطيران، والمصارف.

سلكنا شارع الأمير في هذا الحي (روا برنس) الذي يتقاطع معه شارع الإمام على لفظ الإمام الذي يؤم الناس في الصلاة.



شارع في كوناكري

وسبب تسميته أن مساكن المسلمين في زمن الاستعمار تبتديء في تلك المنطقة.

وشوارع هذا الحي مزفلته نظيفة.

شارع النيجر:

وصلنا إلى شارع ممتد اسمه (شارع النيجر) اضافة إلى نهر النيجر العظيم أكبر أنهار المنطقة وأغربها مساراً بل أعقدها مجرى.

وليس أولى من البلاد التي ينبع هذا النهر العظيم منها بتسمية شارع من الشوارع المهمة في عاصمتها باسمه.

وإن كانت تسميته بالنيجر تسمية أوروبية فيها معنى التعيير. فترجمتها الحرفية: نهر الزنوج أخذاً من تسمية الأسود (نيجرو) بمعنى زنجي. وهي التسمية التي كان أسلافنا العرب يقصرونها على قسم خاص من السود، يسكنون في بلاد محددة هي التي تقع في شرق افريقية، فبلادها الزنج أو (بر الزنج) التي بقى منا حياً الآن كلمة (زنجبار) التي أصلها (زنج بر) بمعنى بر الزنج قدموا المضاف على المضاف إليه.

والبحر الذي كان يقع إلى الشرق من قارة إفريقية كانوا يسمونه (بحر الزنج).

ولذلك لم يكونوا يسمون كل من كان لونه السواد من الأمم والشعوب زنوجاً فلم يكونوا يسمون أهل هذه البلاد زنوجاً. ولا الأحباش زنوجاً. على سبيل المثال أما اسم نهر النيجر عند اسلافنا العرب فإنه كان (نيل السودان) كما سبق تشبيهاً له بنيل مصر العظيم، أو ظناً من بعضهم أنه هو نيل مصر يأتي من هذه البلاد.

وعلى هذا الشارع غرسوا أشجاراً من أشجار المناطق الشبيهة بالصحراوية وإن كانت تشبه في خضرتها أشجار المناطق الرطبة وهي (النيم) الذي أكثرنا منه في مكة المكرمة وفي جدة، واكثر مارأيته منه في العالم كله هو في شمال نيجيريا وبخاصة في مدينة (صوكتو)

مقر أمير المؤمنين الذي هو من ذرية الإمام (عثمان دان فودي) يتوارثون ذلك عنه وإن لم يبق من إمارة المؤمنين هذه إلا أشياء رمزية تدل على تمسك القوم بتلك الحكومة الإسلامية العظيمة حكومة الشيخ (عثمان دان فودي) في شمال نيجيريا وما حولها.

ومن الأشياء المسماة على هذا الشارع فندق النيجر و (سوق النيجر) وهو سوق شعبي فيه البضائع المختلفة.

البيوت الشعبية:

أبعدنا عن مركز المدينة والحي الفاخر الذي فيه الفندق، ووصلنا إلى منطقة فيها البيوت الشعبية التي اغلبها مبنى من لبن الاسمنت ومسقف بالصفيح حيث تخلو الأحياء السابقة منها.

على أن البيوت المبنية بالاسمنت المسلح المسقفة بالاسمنت موجودة بين هذه البيوت الشعبية وإن لم تكن هي الغالبة وأكثر ماتكون في هذه الأحياء من طابق واحد.

وهذه البيوت الشعبية هي الغالبة – كما قلت – في الأحياء الشعبية وإن لم تكن هي البيوت الشعبية الأصيلة فتلك توجد الآن في الريف والقرى وسوف نرى نماذج منها فيما بعد حينما نخرج إلى الريف بإذن الله.

أما الشعب الذي يسكن في هذه الأحياء ويرى في السوق الشعبي فإنه الشعب التكروني الذي نعرفه بهذا الاسم في بلادنا وخاصة في مكة والمدينة.

والفرق بينه وبين الشعب الافريقي الذي يجاوره من جهة الجنوب فرق ظاهر سواء في المظاهر الجسمانية، وفي الماضي الحضاري العريق.

ففي الوقت الذي كان فيه التكارنة أو التكاررة - اذا كان المفرد تكروري - يعيشون حضاراتهم الراقية قبل سبعة قرون أو ثمانية كان أولئك الأفارقة الذين يعيشون تحت خط الاستواء في حالة همجية جعلت أسلافنا يطلقون عليهم لقب الهمج الذين كانوا يأكلون لحوم بني آدم.

وقد جاء وصفهم بذلك عند الكلام على حدود سلطنة التكرور أو السودانيين بأنها تحد من جهة الشمال بجبال الصحراء الإفريقية الكبرى وبالجنوب ببلاد الهمج الذين يأكلون لحوم بني آدم.



شارع واسع في كوناكري

على أن ماذكر عنهم من كونهم لا ماضي حضارياً لهم لا يمنع من أن يكون لهم حاضر أو مستقبل فالحضارات كثيراً ما تنشأ بالاحتكاك، وقد تعلم فريق منهم في مدارس المستعمرين الأوروبيين فاكتسبوا قدراً من الثقافة وتدربوا على بعض الحرف والصناعات مما يصلح أساساً لوجود طبقة متعلمة متحضرة اذا توفرت لها الشروط اللازمة للتقدم في الأمة والرقي في الشعب.

الجني الذي أخذه الصينيون:

وصلنا إلى حي اسمه كونكري (١) واقع على الشاطيء الآخر لكونكري وهو الشاطيء الشرقي من أبرز معالمه (قصر الحزب) ويراد به الحزب الذي كان أسسه الرئيس السابق (سيكوتوري) وكان يحكم

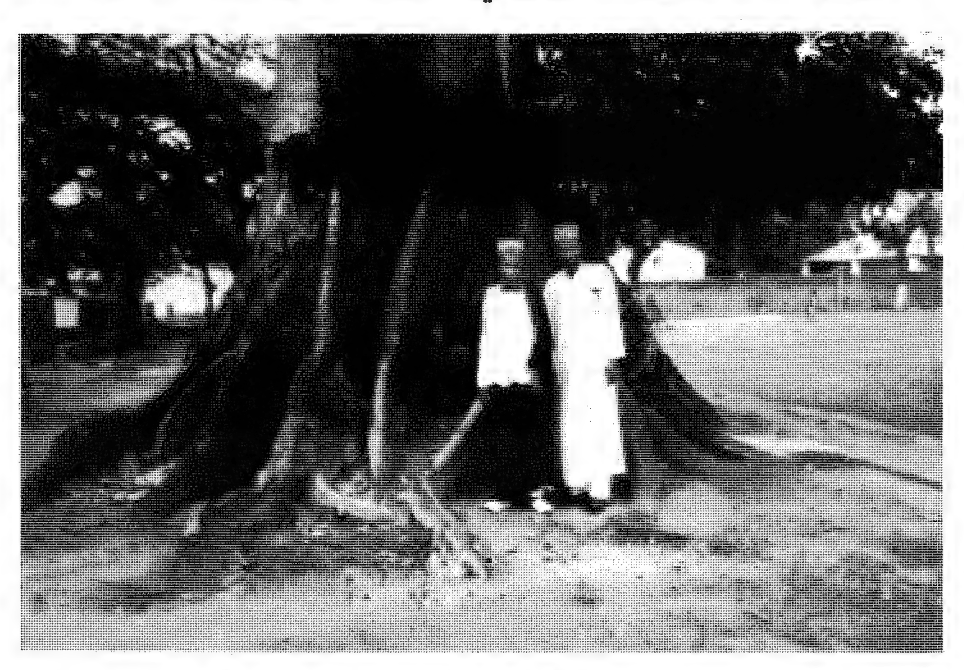
البلاد بواسطته وإن شئنا قلنا: إن الحزب يحكم البلاد أو يصرف أمورها بواسطة الرئيس، سيان.

وهو قصر كبير إلا أن الأكبر من ذلك باحاته وافناؤه المكشوفة الواسعة جداً وبعضها على هيئة حدائق غير معتنى بها قد نمت فيها أشجار ضخمة.

وكانت المنطقة قبل ذلك منطقة مستنقعات مهملة.

وذكر لنا المرافقون قصة طريفة لا بأس بايرادها هنا على سبيل الرواية وهي أنهم قالوا: أن الرئيس سيكوتوري عندما أراد بناء القصر في هذا المكان وبدأ العمال بالفعل في البناء سارت شجرة ضخمة رأيناها في الرصيف الذي يلي الساحات المكشوفة قرب قصر الحزب سارت في الليل وخربت ما بنوه من القصر.

قالوا: وقد رآها بعض الناس وهي تسير ليلاً حتى خربت مابنوه.



اثنان من المرافقين تحت الشجرة الضخمة التي ذكروا أنها سارت

الجني اسمه مانيو واتا.

قالوا: والسبب في كون الشجرة تهـدم مابنوه هو أنه يسكن فيها جني اسمـه (مانيـو واتا) لايريد أن يبنوا قصـراً في هذا المكان فكان هو الذي يجعل الشجرة تفعل ما فعلته.

ولكن الصـينين الـذين اتفـقت منهم الحكومـة الغـينيـة على بناء هذا القصر بنوه ولم تفعل لهم الشجرة شيئاً.

قالوا: وهذه الشجرة معروفة لنا أنها من مساكن الجن في الغابات.

حتى تجرأ بـعضهم فقال: إن جنيـا كان في احدها عجـز المشايخ عن إخـراجه منهـا، فجـاء وطنيـون من قبـيلة (باقا) بـطبولهم وطقـوس لهم سحرية خاصة وأخرجوه منها.

وعندما بـنى الصينيـون القصر، ولم يمنـعهم الجني ولا شجـرته من بنائه أشاع بعض الناس أن الصينيين أمسكوا بالجني واخذوه معهم إلى بلادهم في الصين !



الشجرة التي قالوا أن الجني خرج منها في كونكري

أن هذه الحكاية يرويها طائفة من القوم الذين اجتمعنا بهم على سبيل التقرير لا الإنكار ونحن نوردها هنا لبيان اعتقاد من رووها فيها.

وجسر الشنق:

من هذه الشجرة ذات الحكاية التي مصدرها الفزع من شيء لايرى وصلنا إلى مكان يتجسم فيه الفزع في أذهان بعض أهل البلاد ومن سمع بحكايته من غيره.

ويتمثل ذلك في جسر على الطريق ذكروا أن رئيس غينيا السابق (سيكوتوري) قد شنق عليه مئات من معارضيه من بين الآلاف الذين قيل: إنه قتلهم لأسباب سياسية.

ونحن لانحق ذلك وإنما ننقل هنا ما سمعناه. ونبرأ مما جاء فيه مما قد يخالف الحقيقة.

ويسار هذا الجسر قسم من كونكري يسمى (كونكري) (٢). فيه مسجد الملك فيصل الذي صلينا فيه الجمعة اليوم.

وعلى يمينه كونكري (٣).

وفي حي كونكري (٣) هذا منازل رديئة، وأكوام من القمامة مهملة لم تنقل وأطفال نصف عراة.

وحتى الرجال الذين رأيناهم فيه كان بعضهم يرتدي ملابس غير وجيهة.

أما النساء فإن أكثر ما لديهن ظهوراً حمل أطفالهم على ظهورهن في خرق أو أردية مشدودة إلى الظهر كما هي عادة الإفريقيات في حمل الأطفال.

وقد رأيت بعضهن قد حملن أمتعتهن على رؤسهن وأمسكن بها على حين أنهن كن يحملن أطفالهن على ظهورهن ولايحتجن إلى الإمساك بهم.

ميدان كوناكري:

وهو ميدان غير واسع وصلنا إليه ولم ننزل فيه وإنما تمهلنا بسيارتنا فألقينا نظرة عليه، ثم وصلنا مشارف حي يسمونه (حي المدينة) ذكروا أنه حي تباع فيه المسروقات من البضائع والأمتعة وحتى المخدرات والأشياء الممنوعة توجد فيه كما اخبرونا به.

وعدنا إلى ميدان كونكري حيث تكثر فيه وفي الأحياء الشعبية رؤية الملابس العربية من القمص التي تشبه القمصان في بلادنا والقلانس وهي (الطواقي) على الرؤس.

وعلى يسار الطريق محطة للسكة الحديدية حصلت فيها معركة إثر نزاع بين قبيلتي الفلاني والصوصو على عهد الرئيس (سيكوتوري) قتل فيه من الفلانيين عدد كبير وادعوا أن الحكومة في ذلك الوقت كانت مائلة مع (الصوصو).

حي بونتي

واصلنا الإبتعاد عن قلب المدينة الفاخر في الاتجاه جهة المطار فوصلنا حياً اسمه (بونتي) وهو شعبي يشترك في سكانه قبائل متعددة من أهل غينيا يجمع بينها الدين الإسلامي، وإن فرقتها اللغة والانتماء القبلي الذي خف أثره الآن. وإن كان لايزال باقياً.

ولا حاجة هنا إلى القول بأن سكان هذا الحي هم من المسلمين لأن السكان بأكثريتهم مسلمون حتى يمكن القول من باب التجوز والحكم بالأغلب الأعم إن جميع سكان غينيا مسلمون.

وذلك بأن النسبة القليلة من غير المسلمين ليست قبائل أو جماعات متميزة معروفة بعدم اسلامها وإنما هم أفراد أو جماعات صغيرة تولى المنصرون من الأوروبيين تربيتهم تربية نصرانية فنشأوا على ذلك.

حي بيبسيا

ويقع حي (بيبسيا) هذا قرب المطار فقد كنا سلكنا طريق المطار ومازلنا في مدينة كونكري لأنها ممتدة مع امتداد اللسان الأرضي الضيق الذي تقع عليه.

وفي هذا الحي سوق يسمى باسمه فيقال: سوق بيبسيا.

ثم تجاوزنا المطار إلى مسافة تبعد ٢٥ كيلو مترا من الفندق الذي ننزل فيه الواقع في الحي الفاخر من المدينة.

وذلك كله في أحياء المدينة.

الريف الندي:

ثم دخلنا في ريف كونكري وهو ريف ندي وبخاصة في هذا الفصل المطير من السنة.

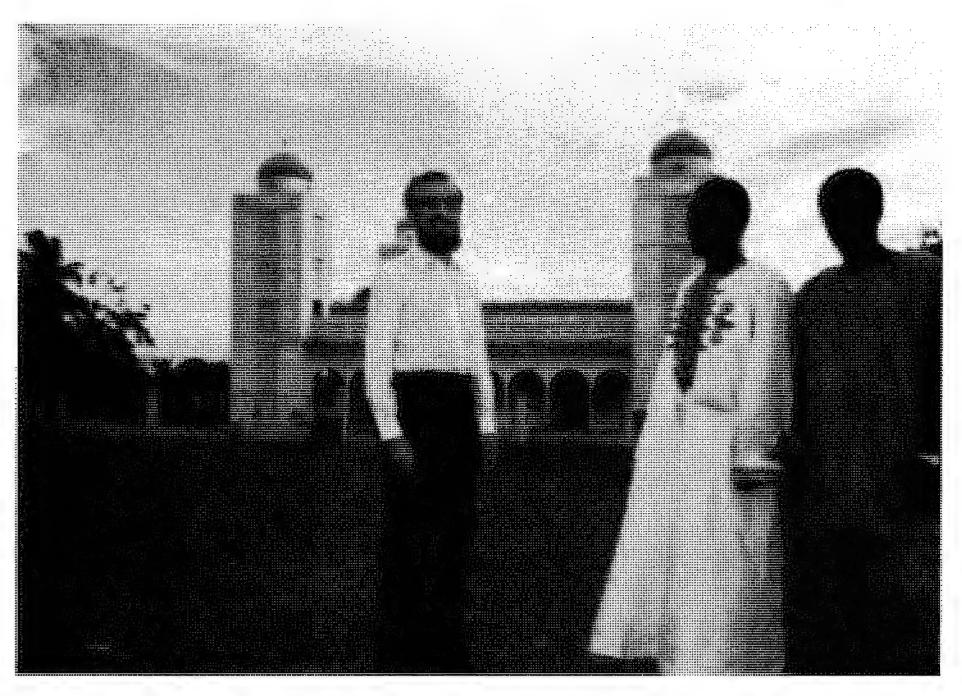
وتبين لنا أن الريف هذا لاتزال فيه مجموعات من الأحياء السكنية ومنها قرية اسمها بمبايا تقع على الطريق العام الجيد الزفلتة، ومعظم البيوت مبنية بلبن الأسمنت.

وقد غام الجو، وصعب التصوير إلا بنور المصورة.

ويزرعــون في ريفـهـم هذا الذرة والأرز والفـونـيـو وهو حب دقــيق كـالدخن قديم الاسـتنبـات في السودان الغـربي هذا ذكـره ابن بطوطة، كما يزرعون الكسافا وتقدم الكلام عليه.

مسجد ناترى

واسمـه على اسم حي وقرية يقع فيـها وهو على الطريق العام فـاخر البنـاء، بهي المنظر عـلى طراز عــربي أندلسي جــمــيل، له صـــوامع (مأذن) عالية تعجـز الوزارت الحكومية عن بناء مثله. بناه رجل واحد من مـاله الخاص علـى أرض كان يملكهـا في هذا الحي. وهو الحـاجي محمد فوفانا.



عند مسجد ناتوي في كوناكري مع الأخ كيتا وأحد سكان الحي

وكان الحاج محمد فوفانا هذا مقربا من الرئيس (سيكو توري) في أول عهده بالرئاسة ثم غضب منه الرئيس وسجنه حتى بقي في السجن عشر سنين ولم يخرج إلا بعد أن مات الرئيس (سيكوتوري).

وقد سرت شائعة عند الأهالي أن الرئيس سيكوتوري عندما غضب من باني هذا المسجد أمر بهدمه فخرج نحل كثير صار يلسع العمال فهربوا منه ولم يستطيعوا هدمه.

وهذه حكاية من الحكايات التي تنتشر في أوقات الخوف أو عند اهتياج العواطف وإلا فإن الرئيس سيكوتوري فيما عرفناه من سيرته. ومحبته للخير لايأمر بهدم المسجد والنحل لايهزم العمال وخاصة في هذا الحي الذي فيه غيرهم.

وبينما كنت التقط صوراً للمسجد وللمنطقة التف علينا عدد من الناس فسألتهم عما إذا كانوا من أهل حي (ناتوي) هذا من أجل أن يخبرونا عما علموه عن أمر قصة النحل فكان من أهل الحي اثنان من الكبار أجاب أحدهما قائلاً: إن ذلك كان في عام ١٩٧٥م وأنه كان خارج الحي ولم يشاهد النحل ولكن الناس يذكرون ذلك.

فقلت لهما: هل تذكرون اسم رجل رأى النحل المذكور بنفسه فسكتا قليلاً كمن يتذكر شيئًا ثم قالا: لا، ولكن الناس يقولون هذا.

حي ماتوتو

واصلنا السير مع الطريق الازفلتي ونحن نبتعد عن مدينة كونكري فمررنا بحي حديث اسمه (ماتوتو) ذكرو أن بناءه حديث، وأنه بني بعد عهد الرئيس (سيكوتوري) ومن أهم معالمه أن الطريق العام يتسع

عنده أي أنهم أبعدوا منازلهم عن قارعته وليس كما عليه الحال في الأحياء القديمة حيث تحاصر المنازل الطريق فتربك المرور ويتعرض سكانها وبخاصة الأطفال إلى أخطار السيارات.

وعلى ذكر السيارات في هذا الطريق العام أقول: إن أكثرها من الشاحنات التي تذهب إلى خارج كونكري وقد تخرج إلى الأقطار الإفريقية المجاورة.

أما سيارات الركوب الصغيرة فإنها موجودة ولكنها قليلة.

وهذا الحي مبني من الأسمنت المسلح ومن لبن الأسمنت.

وشاهدنا سوقه عامراً بالبسطات وهي البضائع المعروضة على الأرض، وبعض النساء معهن بضائع قليلة يعرضنها للبيع كما تفعل الإفريقيات التكرونيات في بلادنا غير أن الحوانيت يكون الباعة فيها من الرجال.

الريف الخالص:

امتد الطريق في ريف خالص أخضر كثيف الخضرة أكثر الأشجار فيه هي أشجار العمبة (المانقو) إلى جانب أشجار أخرى تؤلف غابات على الطريق إلا ما قطع شجره من أجل زراعته بالحبوب ونحوها.



الطريق خارج كونكري

ولا تخلو هذه الغابات من بيوت محلية على هيئة أكواخ من الخشب سقوفها من الصفيح. وبعضها سقوفه من الخشب أيضاً ولكنه ليس كالخشب الذي نسقف به بيوتنا وإنما يضعونه على السقوف على هيئة سنام يغطونه بالقش ونحوه حتى تنزلق عنه مياه الأمطار.

وقد زرعوا المساحات التي أمام هذه البيوت.

وقال لنا المرافقون: إن الحكومة تقوم الآن بحملة كبيرة لتشجيع الزراعة، وإنها تقول للناس: إنه يجب عليكم أن تزرعوا لتأكلوا لأنه من العار أن تشكو قلة الطعام مع صلاح الأرض للزراعة ولكنها مهملة.

والحقيقة أن الأرض خصبة واسعة والمساحة كثيرة، وما على من يريد الغلة إلا أن يحسن اختيار ما يزرعه من المحصولات التي جربت زراعتها فناسبها الجو والتربة فنجحت.

ورأينا في هذا الريف نخيل الزيت، وهو يشبه نخيل التمر عندنا إلا أنه أكثف عوداً، وإن استعملت اللفظ الأدبي قلت: إنه أقل رشاقة.

أما فاكهة المناطق الاستوائية الرطبة وما قرب منها وهي الموز، فإنه ليس كثيراً هنا ولعلهم آثروا زراعة غيره على زراعته.

موكب الرئيس:

بلغنا مسافة أربعين كيلو مترا خارج (كونكري) فقابلنا موكب رئيس هذه البلاد: السيد (لانسانا كونتي) وهو قادم من مزرعة في الريف إلى مدينة كونكري، وليس في الموكب إلا ثلاث سيارات ليس لها صوت مميز كالنفير الذي يكون أمام سيارات الرؤساء والحكام.

وقفة في الريف:

عدلنا من الطريق آخذين ذات اليمين داخل الريف الأخضر الخصب وفي أماكن منه أشجار الغابات الملتفة، وبعضه حقول زراعية.

وذلك لمشاهدة طبيعته في أماكن ملاصقة للطريق العام.

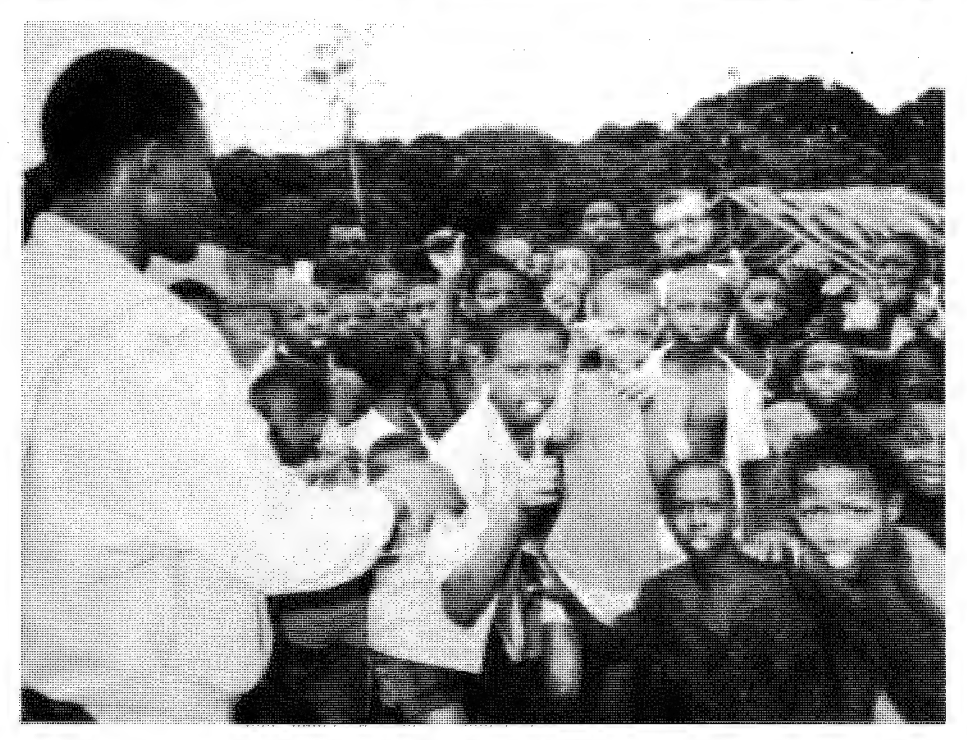


الخضرة الشاملة في ريف كوناكري وبيت لم يتم بناؤه

فوقفنا عند أطفال في مكان متسع غير مزروع يشبه الميدان الأخضر إلا أنه ليس فيه مايدل على العناية غير ذلك.

وقد اجتمع علينا الأطفال وهم يتضاحكون، فطلبت منهم أن ألتقط صورة معهم.

فأسرعوا للاستجابة وانضم إليهم آخرون أكبر منهم، ويظهر انهم جاؤا من مدرسة قريبة كانت فيها مباراة رياضية أو تمرين على ذلك، فتكاثروا على الصورة وكنت طلبت منهم أن يلتفوا حولي لأخذ الصورة التذكارية فغمروني بجمعهم حتى التقطت الصورة وطلبت أخرى يكون معي فيها صغارهم فلا يغمرني كبارهم فلا تظهر صورتي معهم، وقد أجابوا إلى ذلك أيضاً.



المؤلف بين الأطفال في ريف كوناكري

وكانوا على غاية من التهذيب، وأنا الغريب الذي لايعرفون عنه إلا أنه ممن يسمون البيض معه مصورته التي يلتقط فيها ما يعجبه، ولم أكن ارتدي الملابس العربية.

وقد حضر معهم بعض الكبار الذين سلموا علي أيضاًفأخبرتهم أنني من مكة المكرمة فدهشوا لذلك، ورحبوا بي.

ومن العادة أن يطلب الأطفال من الغريب الذي عليه سمة الأغنياء شيئاً أو يتطلعون إلى ذلك ولكنهم لم يفعلوا ذلك رغم أن السيارة التي كانت معنا سيارة حديثة فخمة.

ثم عدنا إلى سلوك الطريق العامة مبتعدين عن كونكري فرأيناهم أزالوا أشجارها فزرعوها بالحقول والخضروات.

وكانت السحب الكثيفة تجلل الأفق، إلا أنها لم تكن تمطر لحسن حظي وإلا لكان المطر أفسد عليّ التصوير والكتابة.

وبدت البيوت الافريقية التقليدية بالظهور في هذا الريف وهي المبنية من الطين المسقفة على شكل هرم واقف الأعلى من القش.

منطقة مانيا

أوقفنا السيارة عند قرية في منطقة (مانيا) إضافة إلى قبيلة كانت تسكن هذه المنطقة اسمها (مانيا) فعرفت المنطقة بذلك. وإن كان يسكنها اليوم غيرهم من أهل الريف.

ورأيت بائعة قد اجتمع عليها عدد من الناس يشترون منها، أو يتحدثون فالتقطت لهم الصورة التالية.



قرويون في ريف غينيا كونكري

وقد تمشيت في هذه القرية في جو لا حر فيه، لأن الهواء كان عليلاً نديًا، وكانت تمشية ممتعة تمنيت لو طالت لكن الوقت كان ضيقًا فتجاوزناها إلى:

منطقة كويا:

وهي قبيلة أيضًا كانت تسكن هذه المنطقة ولاتزال تسكن جانبًا كبيرًا منها.

فوقفنا عند لافتة توضح الطريق إلى المنطقة، والتقطنا صورة عندها، ونحن نطل على سهل أفيح كثيف الخضرة خصب التربة، تبدو خلفه جبال خضر تجلل السحب الداكنة أكتافها بأردية رمادية.

وعندما رأيت هذا الريف أخضر كثيف الخضرة رطبًا قلت في نفسي «غينيا حديقة غناء» ثم ذكرت ما سبق أن ورد على ذهني من كون معنى الغينة في العربية الفصحى هو الشجر الملتف وتساءلت عما إذا كان اسم (غينيا) مأخوذًا من العربية - في الأصل - لهذا المعنى رغم ماقدمناه من القول الشائع عندهم وهو أن (غني) اسم للمرأة في لغة صوصو وأن المستعمرين الأوائل وجدوا في مكان غينيا عندما نزلوا على ساحل البحر نسوة من قبيلة الصوصو فسألوهن عن اسم المكان فلم يفهمن كلامهم وإنما قلن ما معناه: نحن غني، ثم كررن غني ، غني بمعنى أننا لانفهم ماتقول لأننا نساء فسموا المكان (غني) الذي هو اسم غينيا في اللغات الأوروبية.

فهذه القصة تكرر إيراد مثلها في سبب تسمية السنغال باسمه كما وردت في أماكن أخرى.

ثم مـــررنا عـلى أيمن الطـريق بمصنــع العلب مـن الورق المقــوى (الكارتون) قـالوا: إنه مـهم هنا لتـعليب الفـاكهـة التي تصـدرها البـلاد وبخاصة العمبة (المانقو).

وأما الحيوان الذي يرى في الطريق فإنه مـاعز ضخم البطون قصير الأرجل، ودجاج معتاد.



المؤلف في منطقة كويا في ريف غينياالجميل

واخـبرني المرافـقون أن عندهم عـرفـاً مـرعيـاً وهو أن بعض مـلاك الأراضي الزراعية يسمح لغيره إذا لم يزرعها المالك بنفسه أن يزرعها شخص غيره، ولكن لايبني عليها بيتاً.

قالوا: وأما الأراضي الحكومية فإن الأصل فيها هو هذا أي تزرع مجانًا ولا تملك. والمراد بالزراع صغار الزراع الذين لا يمتلكون أراضي لهم.

ثم مررنا بالمدرسة العليا للمعلمين وهي من الاسمنت الجيد البناء، ومطلية بطلاء أحمر كطلاء قاعة كبار الزوار في المطار.

وهي قريبة من بلدة (كويا) التي دخلناها فوجدنا بعض بيوتها من الطين المسقف بالصفيح وبعضها مبني بلبن الإسمنت، وقليل منها بالحجارة.

ولانزال في غابات ملتفة من أشجار باسقة تجلل المنطقة والبيوت تحتها وأكثر أشجار هذه الغابات النارجيل والعمبة (المانقو) وأشجار من أشجار الأخشاب وفيها موز ليس بالكثير.

منطقة سارنكا

كان هدفنا هو الوصول إلى منطقة سارنكا القريبة من كويا وهي منطقة غابات وأشجار عالية من أشجار النارجيل.

وكانت المنطقة قد شهدت أمطارًا اليوم زادت رطوبتها ومياهها التي بعضها مياه عذبة وبعضها خلجان ضيقة تشبه الأنهار آتية من المحيط الأطلسي على أبعاد يصل بعضها إلى ثلاثين كيلو مترًا أو يزيد على ذلك.

وفيها قرية دخلناها فكان فيها أكثر من مسجد غير أن مساجدها صغيرة وهي كسائر البيوت مبنية بالطين ومسقفة بالصفيح ويجعلونها

ذات رفوف زائدة عن حاجة السقف من أجل أن تمنع سقوط الأمطار على جدران البيت التي هي من الطين وصورنا المساجد فيها كما صورنا أسرة من المواطنين كانوا جالسين أمام بيتهم مستمتعين بنسمات الأصيل العليلة.



مع الشيخ الدكوري خارج المسجد الطيني في سارنكا

ثم ذهبنا سيراً على الأقدام لمشاهدة فندق سياحي في المنطقة اسمه (فندق كنسي) على اسم نوع من الشجر موجود في المنطقة.

ووقفنا على هذه الخلجان البحرية الضيقة التي كنت رأيتها من الطائرة وكأنها الأنهار الذاهبة إلى المحيط مع أنها في الحقيقة ألسنة من المياه الملحة داخلة في الأرض تمدها مياه الأمطار التي تسقط في أوقات كثيرة من السنة. وأرضها منخفضة عن مستوى سطح المحيط

لذلك تأتي منه هذه المياه وقد حفرت لها على مدى القرون مجاري تشبه مجاري الأنهار.

ورأينا أنواعاً من الأشجار نامية على هذه المياه الملحة.

أسرة أمام بيتهم في سارنكا

أما الفندق فإنهم بنوا غرفه مفرقة على هيئة الأكواخ الأفريقية التقليدية المحكمة ذكروا أنه ليس في الفندق نزلاء في الوقت الحاضر لأنه في طور ترميم وإعادة إصلاح وإنما عندهم مطعم للسياح.

العودة إلى كونكري

بدأنا العودة إلى كونكري في السابعة بعد غروب الشمس.

ونحب وقد عدنا إليها أن نذكر أنها أسست قبل مائة سنة تقريباً وذكروا أن الاحتفال بذلك يجري الآن.



مع الشيخ الدكوري والسائق في سارنكا

وأما اسمها فإنه من لغة (باقا) التي كانت تسكن هذه المنطقة عندما وصل إليها الأوربيون لأول مرة وهم البرتغاليون جاؤا إليها قبل الفرنسيين.

ذكروا فيها ماذكره السنغاليون في اسم السنغال وهو أن البرتغاليين سألوا أولئك الجماعة من قبيلة (باقا) عن شيء فقالوا لهم: نحن من أهل الساحل أو مقيمون في الساحل ولفظ ذلك (مونا كرما) فحرفت هذه اللفظة إلى (كوناكري).

هكذا أخبرني غير واحد من أهلها.

وقد أصبح اسم البلاد الآن (جمهورية غينيا) بعد أن كانت في زمن الرئيس السابق سيكوتوري (جمهورية غينيا الثورية).

يوم السبت ١٤/١١/١٤٠٩هـ - ١٧/٦/١٩٨٩م

جلسة المباحثات

كان أول هذا اليوم مخصصاً لجلسة مباحثات رسمية مع وزير الشئون الإسلامية وقد عقدت الجلسة في السابعة والنصف، وترأس الجانب الغيني الوزير الحاج أحمد تيجاني تراوري، وحضرها أيضاً عدد من العاملين في الوزارة منهم:

١- الحاج سيكو بنقورا: نائب الأمين العام للرابطة الإسلامية والموكل بالشؤون الإدارية والمالية.

٢- الشيخ الحسن كمارا: مدير شؤون الثقافة بالرابطة الإسلامية الوطنية. وإمام مسجد فيصل الكبير بكوناكري.

٣- الحاج محمد باسوما: نائب مدير شؤون الثقافة بالرابطة الإسلامية الوطنية.

٤- الشيخ الحاج عمر بنقورا: المدير العام الإداري لجامع الملك فيصل في كوناكري.

٥- الحاج سيكو جاورا رئيس المراسم بالرابطة الإسلامية الوطنية.

وكان معي رفيقي في السفرة كلها السفير عبدالوهاب الدكوري.

إستهل الرزير الجلسة بالترحيب والشكر على الزيارة ثم قال من بين ماقاله:

كانت هذه الوزارة اسمها هيئة التربية الدينية (وزارة الشؤون الدينية) وهي عبارة توحي بمساواة الأديان الأخرى بالإسلام رغم

كون المسلمين ٩٢٪ من سكان غينيا لذلك قالوا: إننا لانرضى إلا أن تكون هناك وزارة خاصة بالشئون الإسلامية.

وفي اكتوبر الماضي انشئت الرابطة الإسلامية الوطنية وصار وزير الشئون الإسلامية - يعني نفسه - وزير الرابطة الإسلامية وهو الأمين العام للرابطة، وقال إنه وزير مثل بقية الوزراء وإنه يشارك في مجلس الوزراء.

وقال: لقد عقدنا في أول الأمر المؤتمر الإسلامي الأول في شهر مارس الماضي وترأسه رئيس الجمهورية وقد أصدر المؤتمر قرارات وتوصيات، وأقر المستوى الذي يجب أن تكون عليه المساجد في المحافظات.

وقال: لقد كان الإسلام عظيم الأهمية في تاريخ بلادنا، وعلماؤنا القدماء ألفوا مؤلفات رئيسية مهمة باللغة العربية ولكننا لانستعملها الآن لعدم وجود هيئة إسلامية تقرب هذه المؤلفات للناس. ويجب بوجه خاص تحصين عقول الشباب ضد الغزو الفكري.

وقال: مثلاً للأقلية المسيحية عندنا إمكانات ولكن الناس يقولون: إن الأقلية أولى بالمساعدة من الأكثرية. وهذا خطأ، فإن الإسلام أخلاق ومعرفة للرسالة الخالدة وهذا يحتاج إلى مساعدة.

وقال: أعداء الإسلام يعادون الأكثرية.

وقال: الإسلام عندنا يزداد ولكن كيف نجعل المسلمين يتمسكون به.

فمثلاً في بعض الجوامع لاتوجد مكبرات للصوت فكيف يستفيد الناس من خطبة الجمعة من دون أن يسمعوها يحضرون إلى المسجد

ولا يسمع الخطبة إلا من كان قريباً من الإمام ونحن نحاول أن نحل مشكلتنا.

وقال: المسيحيون لهم قوة خاصة بهم كالمستشفيات والمدارس، والمسلمون ضعفاء وقال: عندنا عزم على عقد ندوة أو دورة للبحوث لشرح الفكرة الأساسية التي نريدها عن الإسلام، لكي يفهم الناس الرسالة الخالدة لهذا الدين.

وهناك فكرة لدورة لفهم اللغة العربية وإن كانت من أصعب اللغات، وشرح الأمور الأساسية للدين باللغات الوطنية أسهل من شرحه بالعربية.

وقال: لاتوجد هيئة إسلامية حكومية في بلدان غرب إفريقية، وينبغي بذل المساعدة لهذه الهيئة وهي الرابطة الإسلامية الغينية.

وقد رددت عليه بكلمة بدأتها بشكره على الترحيب وعلى ما أوضحه عن إنشاء هذه الرابطة الإسلامية الغينية.

وقلت له: إننا في رابطة العالم الإسلامي على استعداد للتعاون مع هذه الرابطة الناشئة وغيرها من الهيئات والشخصيات المسلمة في هذه البلاد.

وأعلن هنا تبرع رابطة العالم الإسلامي بثمانية عشر ألف دولار أمريكي لمساعدة هذه الهيئة على تسيير أعمالها وهذه بداية التعاون وسوف نسلمها إليكم اليوم أو غداً في الموعد الذي تحددونه.

كما أننا – في رابطة العالم الإسلامي – قد فكرنا في عقد ندوة أو مؤتمر لعلماء المسلمين في مالي أو غينيا أو غامبيا لبحث الإضطرابات

المؤسفة التي حدثت بين المسلمين في السنغال وموريتانيا، وما حصل للمسلمين في البلدين من أذى وصل إلى حد القتل ونهب الأموال ثم الطرد من مواطن كانوا فيها قبل عشرات السنين.

وقد عالج الساسة هذا الموضوع ولكنهم لم ينجحوا فنرى أنه واجب على علماء المسلمين في البلدين والبلدان المسلمة المجاورة أن يتدارسوا هذا الأمر ويبينوا للمسلمين حكم الله في حرمة دم المسلم وماله ويبلغوا عامة المسلمين بذلك ويرسموا الخطة التي يوجبها الإسلام لمعالجة هذا الخلاف بين المسلمين.

وذلك أدنى القيام بالواجب.

فرد الوزير على هذه النقطة بقوله: أهالي السنغال وموريتانيا مسلمون ولكن اللون مختلف ورابطة العالم الإسلامي وصلتها معلومات غير صحيحة تذكر أن السود ثاروا على البيض. وبثتها الجرائد العربية.

وقال: الإسلام لا علاقة له بهذه الحادثة والمشكلة هي بين الحكومتين في الأصل، وإذا استمر هذا الخلاف فإنه خطر على (مالي) والنيجر وتشاد والسودان.

ويجب علاج هذا الخلاف.

ولابد لرابطة العالم الإسلامي أن تفكر وتجري الإتصالات بين المسئولين الدينيين.

وقال: الدليل على إن الإسلام هو الملجأ للمسلمين أن الموريتانيين الخائفين في السنغال لجأوا إلى جامع داكار والسنغاليين الخائفين في موريتانيا لجأوا إلى جامع نواكشوط.

وفي الختام بينت له المجالات الإسلامية التي يمكن للرابطة أن تقدم معونة فيها كبناء المساجد، وإرسال المصاحف ومساعدة المدارس الإسلامية.

جامع الملك فيصل ثانية ...

خرجنا من وزارة الشئون الإسلامية في حي بواري في العاشرة إلا الربع بعد لبث فيها استمر ساعتين إلا ربعاً، وذلك لزيارة جامع الملك فيصل وصحبنا في هذه الزيارة الأخ الشيخ الحسن كمارا أحد أئمة الجامع المذكور وهو مدير الشؤون الثقافية في الوزارة، ويعرف العربية جيداً لأنه تخرج من كلية أصول الدين بالأزهر.



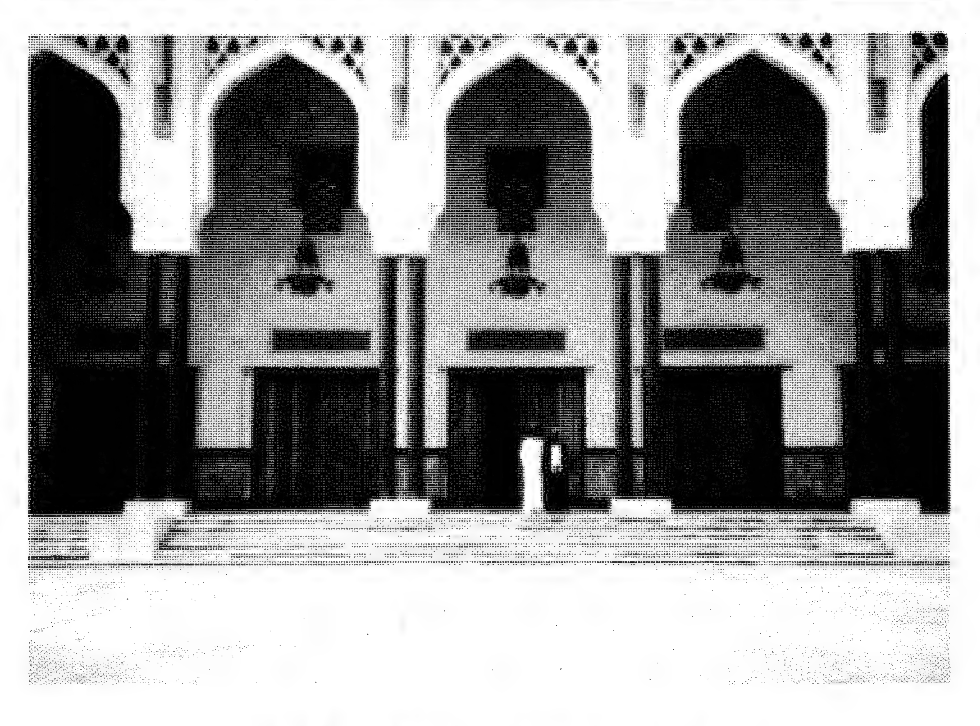
بجانب منبر جامع الملك فيصل مع الأخ حسن كمارا الامام في الجامع

وكـان ذلك في سيـارة الوزير التي وضـعـوها تحت تصرفـنا فمـررنا بالشـركة المغـربية للحـجز مـعهـا إلى داكار وهي في المنطقـة التجـارية الجميلة التي ذكرتها أمس، ورأيت فيها المتاجر الجيدة والبنوك مثل بنك الملك فيـصل الإسلامي فذكـرت ما رأيته قبـل أيام في انقولا من تخلف وفـقر وسـؤ إدارة، مع أن البلدين كليـهمـا غني بموارده الطبـيعـة ولكن المهم في الأمر هو الإدارة فإذا كانت حسنة أمكن أن ينتفع الشعب بتلك الموارد وإذا كانت سيئة أضاعتها.

ورأيت في هذه الأسـواق أيضاً اللبـاس العـربي المتـمـثل بالقـمـيص الطويل والقلنسوة وهي الطاقية ، موجوداً ولكنه ليس بالكثير.

كـمـا لاحظت شـيـئاً لم ألاحظه أمس وهو وجـود شـرطيـات المرور عليـهن مـلابس الشـرطة المعـتادة ولكـن مظهـرهن فيـهـا يخـتلف عن الرجـال لغلظ في أوسـاطهن ربمـا لم يحـاولن تلطيـفـه بالرياضـة - إن كانت الرياضة تنفع فيه .

كـان مظهـر جـامع الملك فـيـصل رائـعـاً بطرازه العـربي الإسـلامي ومناراته الشامخة وهو أجمل مبنى في مدينة كونكري على الإطلاق.



مدخل جامع الملك فيصل (التقطها المؤلف).

فتجولنا فيه وهو خال من المصلين واتضحت سعته مع جماله وذكر الإمام وبعض القائمين على أمر المسجد يسمعون كلامه ويؤمنون عليه: إنه يتسع لعشرة آلاف مصل اضافة إلى ٢٥٠٠ مكان للمصليات من النساء، في شرفة فوق جزء من الجامع، وقد تركوا ميداناً واسعاً أمامه تنتصب فيه الأشجار الضخمة وذلك فيما بينه وبين الشارع العام الرئيسي الذي يربط المطار بقلب المدينة.

وعند مدخله كتبوا الآية الكريمة: «إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر» وتحتها تفسير معناها بالفرنسية.

ووجدت عدداً من العاملين في الجامع في حدود اثنى عشر رجلاً

ذكروا أن الحكومة تدفع لهم رواتبهم مع بقية العاملين في الجامع الذين يبلغ عددهم ٢٣ شخصاً.



داخل جامع الملك فيصل في كونكري مع العاملين في الجامع

وتتوسط الجامع قبة كبيرة مربعة تحيط بها نوافذ ذات زجاج ملون جميل، وقد علقوا فيها ثريا ضخمة جداً وإلى جانب القبة الرئيسية الكبيرة أربع قباب صغيرة على شكلها في جوانب المسجد ولكن الأجمل من القبة - على جمالها- هي الأقواس الإسلامية التي تتقدم المسجد وتظلل الراوق الذي يصل إليه الداخل قبل الأبواب الضخمة العربية الشكل.

ذكر الأخوة المرافقون أن المهندسين الذين قاموا على بناء المسجد كلهم من المسلمين فمنهم السعودي والمصري والمغربي والغيني.

وعلى بابه لوحة الشرف بالعربية، تحتها بالفرنسية، ونصها بالعربية:

(بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خاتم النبين والمرسلين وعلى آله وصحبه).

مسجد الملك فيصل رحمه الله.

افتتحه حامي الحرمين الشريفين جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية حفظه الله لخير المسلمين، وتم ذلك بصحبة فخامة الرئيس أحمد سيكوتوري حفظه الله. في يوم ١٢ ربيع الثاني ١٤٠٤هـ الموافق ٢٠ يناير ١٩٧٤).

وأسفل من ذلك هذه العبارة بالفرنسية.

وهذه اللافتة كتبت ولم تنفذ بمعنى أن الملك فهد بن عبد العزيز لم يفتتح المسجد بنفسه وإنما أرسل أحد الأمراء الوزراء لافتتاحه نيابة عنه لانشغاله في أعمال أخرى في ذلك التاريخ.

ثم تجولنا فيما حول المسجد فشاهدنا أناساً يقومون بتطعيم الحجاج الذين سيتوجهون قريباً إلى مكة المكرمة ضد الكوليرا والحمى الصفراء.

ثم شاهدنا الجهات الخلفية من المسجد فاتضح أن المسجد كان قد اقتطع من حديقة كبيرة كانت فيها أشجار معمرة باسقة وكانت قبل

ابتداء عمارة البيوت في المنطقة غابة من الغابات رأيت من بين أشجارها الكبيرة تلك الشجرة الضخمة التي كانوا قالوا: إن الجني كان يسكن فيها. وأنه هدم القصر الذي كانوا قد بنوه قبل أن يأتي إليهم الصينيون ويبنوه لهم.

فسألتهم من باب المداعبة عما إذا كان الجني لايزال يسكن هذه الشجرة؟ فذكروا أنه يسكن فيها إذا كانت في الغابات وأما في هذا المكان القريب من المسجد فإنه لا يقربها.

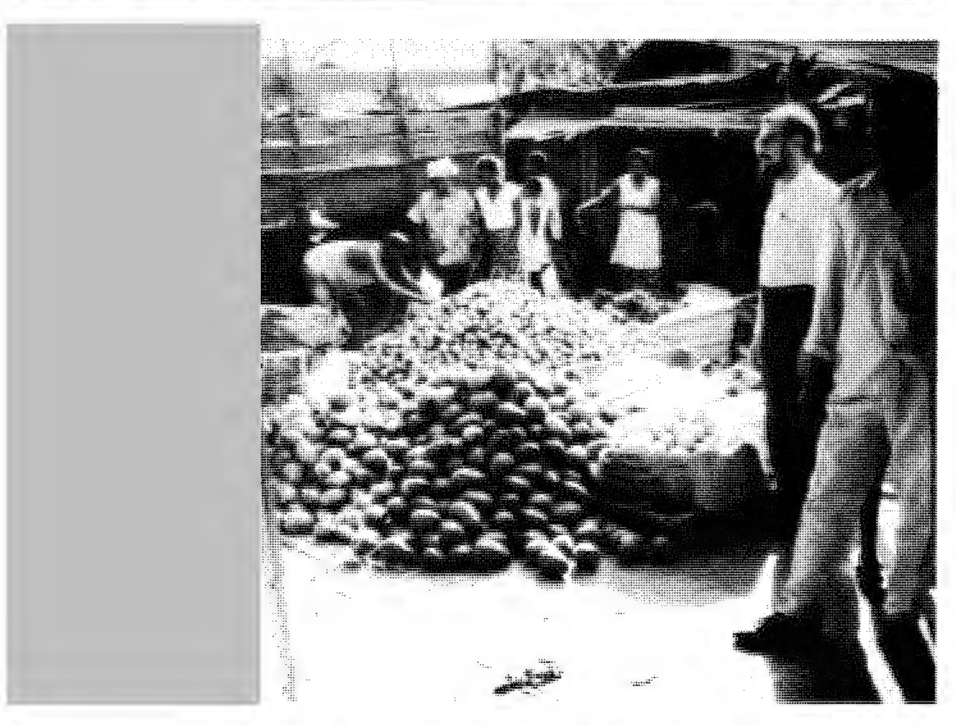
والشيء الجدي المؤسف في الأمر أنه كانت توجد في هذا المكان حديقة للحيوان أقفرت الآن حتى لم يبق فيها شيء.

وذلك بسبب عدم العناية بالحيوان فيما ذكروه.

سوق النيجر:

كان من ضمن الأشياء التي ذهبنا إليها عصر هذا اليوم سوق شعبي اسمه (سوق النيجر) إضافة إلى نهر النيجر وهو السوق الذي مررنا به أمس. يسمونه (مارتي نيجر) أي سوق النيجر.

ذهبنا إليه في الرابعة عصراً وتجولنا فيه وهو كبير ممتد من أهم مافيه بضائع مستوردة صغيرة من الألبسة والأواني والمصنوعات الخفيفة.



أكوام العمبة (المانقو) في السوق في كونكري

إلى جانب أنواع من الفاكهة المحلية مثل الباباي والموز المتعدد الأنواع والأناناس والجريب فروت وفاكهة الخبز أوخبز الفاكهة (برد فروت) ومندرين وهو اليوسيفي وبرتقال من الذي ينمو في المناطق الاستوائية وما قرب منها وهو أخضر أقل جودة من برتقال البلدان المعتدلة.

وقد رأيت ثمرة من ثمار العمبة (المانجو) كبيرة لم أر ثمرة في مثل حجمها من ثمار العمبة، فطلبت من البائعة أن تزنها فإذا بها تبلغ كيلا ونصف الكيل أي ألف وخمسمائة غرام. فاشتريتها بثمن زهيد مع أنه كان يوجد في غرفتي في الفندق من ثمار العمبة (المانجو) الجيدة التي كان أحضرها الأخ التاجرالغيني هدية لنا أمس.

وعلى ذكـر البـائعـة لاحـظت أن الحـوانـيت في هذا السـوق وهي (الدكـاكين) يكون البـائعـون فـيـهـا من الرجـال. وأمـا البـسطات وهي البضـائع التي تعرض خـارج الحوانيت تكون على الرصـيف أو أسفل من الحوانيت فإن الباعة لها هن النساء.

سوق الفاكهة

لم أحـفـل كـثـيـراً لما رأيتـه في هذا السـوق، وذلك لكون البـضـائع المستوردة فيـه كثير وهي معروفة للناس وليس فيـها ما له لون محلي أو ما هو مصنوع هنا.

لذلك أسرعنا الذهاب إلى سوق آخر خاص بالفاكهة اسمه (جن جا) فشاهدنا فيـه ثمـار (المانجو) الكثـيـرة التي تفـرغهـا سـيارات الشـحن الكبيرة بمقادير لاتكاد تصدق.

وهي مختلفة الأحجام وحتى الألوان، والناس يفرزونها ويشترون أو يذهبون بها بعيداً ألى خارج غينيا.

ومـا شـبـهت هذه (المانجـو) في كـثـرتهـا إلا بجلب التـمـر في سـوق الرياض في موسم التمر، ويسميـها بعضـهم بالمانقرو بمعنى ملكي بلغة السيراقـولا لأن (مان) ملك بلغتهم بمـعنى أنه كان يجلب للملك وهناك فاكهة أخـرى معدة للتصدير مثل (ابو كافـو) التي تؤكل قبل الطعام مع الملح وبعده بالسكر.

وكـذلك الأناناس الذي قلع من أرضـه لتـوه وهو في مقـادير كـبيـرة، والكسافا وأنواع منوعة من الخضروات.

وهناك ثمار الكيف المشهورة في غرب إفريقية وهي (القورو) وهي ثمار تشبه كلية الحمل وهو الصغير من الضأن وتكون في حجم التمرة الكبيرة إلا أنها كلوية الشكل.

تؤكل مضغاً يذكرون أنها تقوي اللثة وتفرح القلب.

والموز عندهم أنواع فمنه الصغير الأصفر الذي يؤكل فاكهة كما نأكله نحن لايستعمل لغير ذلك وفيه الأخضر الكبير الذي إذا رأيته خيل إليك أنه غير ناضج. ويطبخ أو يقلى بالزيت ولا يصلح للأكل طازجاً.

وهناك موز كبير يؤكل فاكهة ولكنه أقل جودة من الصغير الذي يسميه بعضهم بالسكري.

وقد استرعى انتباهي في هذا السوق شيئان صغيران ولكن لهما معنى كبير:

أولهما: وجود امرأة أوربية بيضاء عليها هيئة السائحين وهي تتسكع وحدها في هذه السوق. مما يدل على الأمن بين المسلمين ولوكانت تخشى اعتداء على جسدها أو انتهاباً لما معها لما فعلت ذلك. وقد رأيتها تترد في أنحاء هذا السوق تحملق في الناس حتى تركته ولاتستطيع أن تفعل مثل هذا في بلاد إفريقية ذات طابع مسيحي مثل ساحل العاج وذلك لقلة الأمن فيها لمن يمشي منفرداً إذا كان غريباً وبخاصة إذا كان لونه ينم على غربته.

الثاني: ظهور الملابس العربية من القمصان والقلانس (الطواقي) وهو اللباس العربي الذي يرتديه بعض الأخوة المسلمين هنا يبتغون بذلك الوجاهة عند بني قومهم.

ونحن لم نبذل أي جهد في هذا الأمر، وإنما هو محبة المسلمين للإسلام وللمظهر العربي الذي يرمز إلى كون لابسه مسلماً متمسكاً بإسلامه.

حديقة الأطفال:

وهذه حديقة واسعة فيها ألعاب من ألعاب الأطفال كالأراجيح والقطارات وأدوات التسلية الأخرى وفيها زهور منوعة. وفيها مقصف ومقهاة.



مع أطفال في كوناكري

ورأيت فيها شجرة كثيراً ما رأيتها في المناطق الاستوائية، وما قرب من خط الاستواء وهي التي تكون الأوراق الضخمة في اعلاها مصطفة على هيئة مروحة يابانية منشورة.

ومن طريف ما حدثنا به المرافقون عن هذه الشجرة أنهم يسمونها شجرة القبلة يريدون أن أوراقها هذه التي على شكل مروحة تتجه إلى جهة القبلة في مكة المكرمة.

وربما كانت كذلك في هذا المكان وما قرب منه حيث تكون القبلة فيه إلى جهة الشرق.



شارع في حي شعبي في كونكري

وفي هذه الحديقة أشجار باسقة، وأخرى ضخمة ملتفة الفروع.

والدخول إلى الحديقة مجاني.

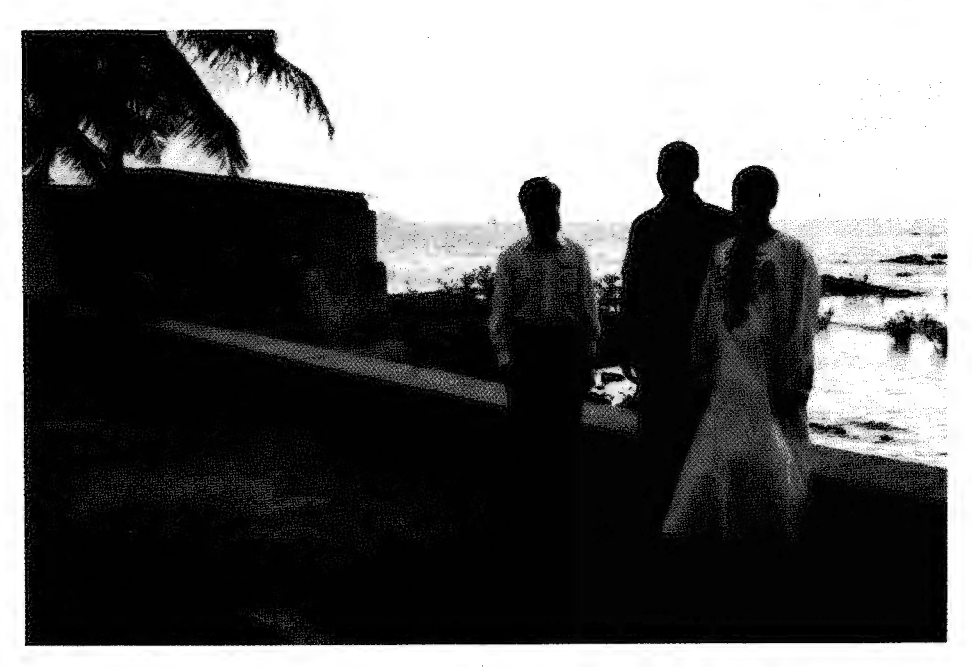
كونكري رقم (٢)

تقسم أحياء كونكري بالأرقام فحي كونكري رقم (١) وكونكري رقم

(٢) الخ وفي حي كونكري رقم (٢) كان تجولنا اليوم وهو حي راق أكثر مايميزه الحدائق النضرة ذات الأشجار الباسقة في بيوته. وفيه سفارات عديدة من بينها سفارة المملكة العربية السعودية وسفارة إيطاليا وقنصلية اليونان، وفيه مقبرة كبيرة مسورة.

وهو يقع على الشاطيء الغربي الشمالي من كوناكري حيث وقفنا على جدار عريض مرتفع يمنع أمواج البحر من أن تدخل إلى المدينة في أيام هيجان البحر وإلا فإن البحر منخفض عن مستوى المدينة رغم مجاورتها له بالضبط.

وقد التقطنا صوراً تذكارية في هذا الشاطيء. ومن الأشياء التي استرعت انتباهي فيه أن رأيت اشجاراً على أرض الشاطيء الملحة التي يركبها البحر عند المد.



مع الأخ كماجي كيتا والسائق على شاطيء كونكري

وهي أشجار طبيعتها أن تنمو على الماء الملح، كما أن الأمطار الغزيرة هنا تغسل عنها الأملاح اذا سقطت عليها.

ثم عدنا إلى الفندق وكانت الجولة على السيارة الحكومية التي وضعتها وزارة الشئون الإسلامية مع سائقها تحت تصرفنا.

وسائقها أخ مسلم غيني اسمه محمد سامبا جلو وهو ضابط في الجيش.

وكلمة سامبا تعني الولد الثاني للرجل وهي كالوصف وليست علماً على الشخص. أما جلو فإن معناها أن حاملها فلاني. لأن جلو فصيل كبير من فصائل الفلانيين التي سبق ذكرها.

وهذا ما يتعلق باسم السائق أما ما يتعلق باسم الذي رافقنا أمس واليوم كان أيضاً من جملة المرافقين فهو (الحاج إبراهيما بونا كيتا) من قبيلة باقا المتفرعة من (الماندنكا) ذكر لي أمراً طالما سمعت به ولكنني لم اتحقق منه حتى الآن وإن كنت استبعدته وهو أن بعض الكبراء الأثرياء من المسلمين قد يتزوج بأكثر من أربع زوجات وذلك بحجة ملك اليمين لما زاد عن الأربع أو بأية حجة واهية أخرى حتى ذكر أن قريبا له كان متزوجاً من أكثر من أربع وهو مسلم عريق. إلا أن مبرر ذلك هو كونه أمير جماعة كما قال.

قال: وحتى بعض المشايخ لاينكرون على من فعل ذلك وإن كانوا يعرفون أنه مخالف للدين، اعتماداً على أنه إنما يفعله الكبراء أو الزعماء دون غيرهم من سائر المسلمين.

ومع صعوبة التصديق بهذا الأمر فإنني أذكر أننا تلقينا في رابطة

العالم الإسلامي طلباً من جمعية نسائية سنغالية ألفتها طائفة من المسلمات السنغاليات اسمها: جمعية منع الزواج بأكثر من أربع!

وهن يطلبن من الرابطة أن تسجل هذه الجمعية مع الجمعيات التي تعترف بها الرابطة وتساعدها على اعتبار أنها تعمل لتحقيق هدف مطلوب شرعاً وهو ألا يزيد الرجل على أربع زوجات.

يوم الأحد ١٤٠٩/١١/١٥هـ - ١٩٨٩/٦/١٨م

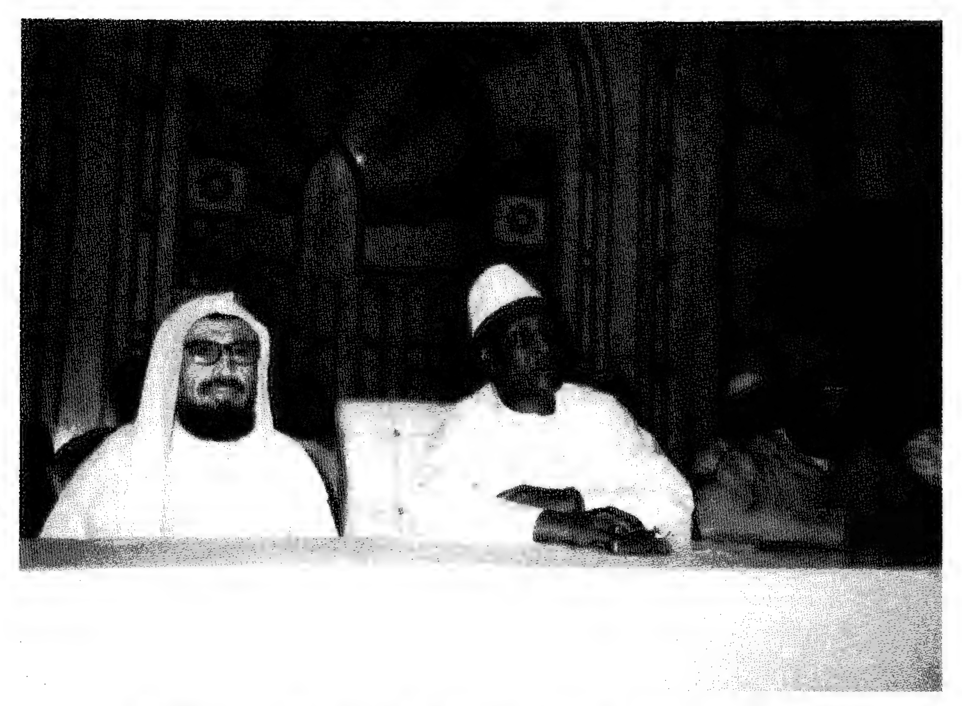
ندوة الحجاج:

كان من ضمن البرنامج الذي وضعته وزارة الشئون الإسلامية لزيارتنا في غينيا الاجتماع بالحجاج الغينين الذين سيغادورن بلادهم إلى مكة المكرمة لتأدية فريضة الحج، والقاء محاضرة في ندوة تقام لهم في المسجد الجامع ضحى هذا اليوم.

وقد اختاروا مكان المحاضرة في جامع الملك فيصل لأنه المكان الذي يسعهم، وللعلاقة الدينية بين الحج والصلاة على اعتبار أنهما من أركان الإسلام.

وجدنا في استقبالنا عند باب الجامع خطيب المسجد وبعض الأئمة. والوزير تراوري والعقيد عمر جلو محافظ منطقة كونكري وهو عضو في اللجنة العسكرية الحاكمة التي تؤلف مجلس الخلاص الوطني ويعتبرونه في مرتبة أكبر من مرتبة الوزير.

وينحدر من أسرة مشهورة بالتدين والشجاعة فهو حفيد الفايايا ومعنى يايا: يحيى وهو مجاهد مشهور بجهاده ضد الفرنسيين.



بجانب حاكم ولاية كونكري عمر الفا في دورة تدريب الحجاج

أما العقيد عمر جلو وبعضهم سماه لي بارو جلو فقد استوقفني اختلافهم في ذكر اسمه إذْ قال بعضهم (بارو) وقال بعضهم عمر، فسألتهم عن ذلك فأجابوا بأن الكل مصيب لأن من اسمه (عمر) يسمونه بارو ربما كان أصلها فاروق أخذاً من تسمية الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالفاروق.

وهذه عادة لهم في بعض الأسماء ومنها كل من اسمه إبراهيم يطلقون عليه (سوري) وعلي (بَدَر) بفتح الدال ربما كان أصلها من كونه من أهل بدر بمعنى الذين حضروا غزوة بدر الكبرى من الصحابة.

وكذلك من اسمه أبو بكر يسمونه (ديمبا) ولا أدري أصل هذه.

بقيت كلمة غير واضحة في اسم جد العقيد عمر وهو (الفا) يايا فالفا:

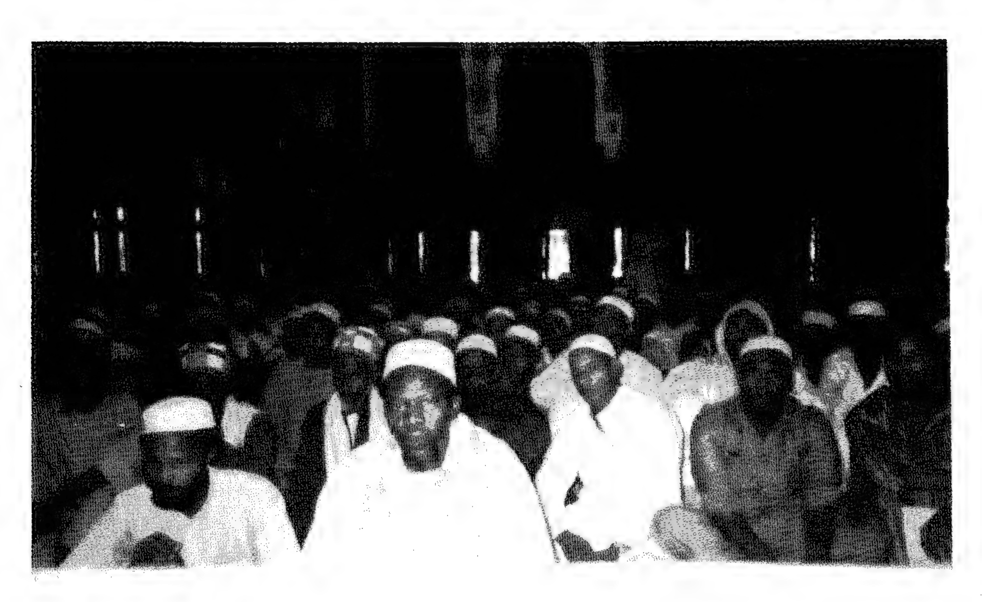
معناها: العالم بأمور الدين أو الفقيه وأصلها (الفاهم) - من الفهم - حذفوا نصفها الأخير.

جلسنا مع المستقبلين في الغرفة الخاصة قبل الدخول للمسجد وتحدثنا قليلاً.

ثم دخلنا إلى داخل المسجد حيث وجدناه غاصا بالحاضرين وكأنهم - لكثرتهم - الذين أدوا صلاة الجمعة فيه قبل يومين.

ألا أنهم قد اصطفوا صفوفًا منتظمة كصفوف الصلاة وقد أخبرونا أنهم جاؤا من سائر أنحاء البلاد ليحضروا هذه الندوة المهمة.

وعندما دخلنا قاموا وقوفًا وهتف هاتف منهم بصوت عالٍ: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، عاش الإسلام، عاش الإسلام. والصفوف تردد خلفه هذه الجملة بأصوات مرتبة منغمة وكأنهم قد دربوا عليها عدة مرات.



الحجاج يستمعون إلى المحاضرات قبل سفرهم إلى مكة المكرمة

ووجدناهم قد أعدوا منصة رئيسية مقابلة للجمهور بجانب المحراب والمنبر في مقدمة المسجد.

أما الجمهور فإنهم كانوا جالسين على الأرض كما يكون جلوسهم وهم يصلون وقد جلس في هذه المنصة العقيد عمر على يساره الوزير تراوري وجلست على يمينه وعلى يميني رفيقي السفير عبدالوهاب الدكوري فالسيد (سوما) حاكم كونكري وهو دون العقيد عمر لأن عمر هو حاكم منطقة كونكري وهي كبيرة تضم مساحات وقرى غير العاصمة بخلاف هذا فإن ولايته محدودة بحدود العاصمة وبصلاحيات محددة أيضاً.

بدأت الندوة بتلاوة قرآنية كريمة أداها أحد قرائهم بصوت جهوري غليظ الطبقة حتى لتظن أنه مصري إذا سمعت قراءته قبل أن تنظر إليه.

كلمة المحافظ:

ثم ألقى العقيد عمر كلمة بدأها باسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ ثم رحب بي مشكوراً باسم الحكومة وباسم اللجنة العسكرية للخلاص الوطني وكذلك رحب بالحجاج الذين اجتمعوا الآن.

وقال: غينيا بلد إسلامي والمسلمون فيها أكثرية.

وقال مخاطباً الحجاج: إنه مطلوب منكم أن تدعوا لبلادكم وشعبكم بالوحدة الحقيقية حتى يتعاونوا لإعلاء كلمة الله.

وأقول بهذه المناسبة أقدم لكم رجلاً معروفاً في الميدان الإسلامي في العالم كله هو (محمد العبودي) قدم من رابطة العالم الإسلامي التي

مقرها مكة المكرمة ومعه الأخ الصديق عبدالوهاب الدكوري ممثل الرابطة في غرب إفريقية - داكار -.

فنرجو من الشيخ محمد العبودي أن يتحدث إليكم.

فألقيت كلمة مبسوطة بدأتها بشكر العقيد عمر والوزير تراوري ثم قلت لهم: إنني أحمل إليكم تحيات إخوانكم في مهابط الوحي ومن جوار بيت الله الحرام في مكة المكرمة.

كما أحييكم باسم رابطة العالم الإسلامي التي تضم مجالسها والمنظمات التابعة لها ممثلين للمسلمين من جميع أنحاء العالم.

وذكرت لهم الحكمة من الحج وأن فيه حكماً عظيمة علمنا بعضها وبعضها لم نعلمه ومما علمناه أنه موسم مهم للتعارف بين المسلمين من أنحاء العالم يرى فيه المسلم أخاه المسلم الذي يأتي من أقصى الشرق أو أقصى الغرب أو من أقصى بقاع الأرض ولا يتيسر له أن يراه في غير موسم الحج.

وقد جمعهم الإسلام في صعيد واحد وبلباس واحد ليعلمهم كيف تكون الوحدة في المشاعر والمظاهر.

والحج اجتماع عام بل هو أكبر الاجتماعات التي جاء بها الإسلام ابتداء من الاجتماع للصلوات الخمس.

ثم قلت لهم: إننا قرأنا في الكتب العربية كيف كان آباؤكم وأجدادكم يتجشمون الصعاب. لكي يصلوا إلى مكة المكرمة حتى عرفنا أشخاصاً أمضوا في الطريق إلى مكة المكرمة سنوات، وبعضهم مات

قبل أن يصل إلى هدفه بسبب صعوبة المواصلات في القديم وكثرة المعوقات وعدم الأمن في الطريق.

ولكن ذلك لم يمنعهم من الحج وهذا يدل على قوة إيمانهم وصدق عزائمهم مما هو موضع فخر واعتزاز من إخوتكم المسلمين وموضع تعجب واستغراب ممن لا يعرفون الإسلام وقوة تأثيره في النفوس.

واليوم وقد تيسرت المواصلات وقصرت السبل وشاهدناكم في بلادكم كما شاهدكم إخوان لنا من قبل من البلدان العربية قد تيقنا من ذلك بالفعل ولله الحمد.

وقلت لهم: إنكم ستلاقون في مكة المكرمة إخواناً لكم من الحجاج من سائر أنحاء العالم ومن مختلف الفئات فينبغي أن تكون معاملتكم لهم بالتسامح وبمقتضى الأخوة الإسلامية.

وكان كلامي بالعربية فكان السفير الدكوري يترجمه إلى الفرنسية.

ثم تكلم بعدي الوزير تراوري فتحدث إليهم عن مناسك الحج وما يتعلق بما يحتاجون إلى معرفته أثناء موسم الحج.

وذكر بإسهاب ما قامت به حكومة غينيا من تسهيلات للحجاج.



مع محافظ كونكري

وعقب على كلمته العقيد عمر جلو موضحاً أن هذه الأمور المتعلقة بالحج تبرر مع غيرها إنشاء الرابطة الإسلامية في غينيا لأن المسلمين محتاجون إلى ذلك.

وكنت أجيل ببصري أثناء القاء المحاضرات في الحاضرين فرأيتهم على كثرتهم ليس فيهم شخص واحد يلبس الملابس الإفرنجية، بل كل ملابسهم هي غينية قريبة من العربية لولا أنها فضفاضة فليست بالقمص التي رأيناها في الأسواق.

إلا أن المظهر الوحيد للثقافة الإفرنجية في هذا المسجد الجامع الكبير المبني على طراز ليس فيه أي شيء مأخوذ من الإفرنج من أطرزة البناء هو التحدث باللغة الفرنسية دون غيرها من اللغات.

وسبب ذلك أنه لا توجد في غينيا لغـة وطنية واحدة شاملة يتكلم بها كل الناس ويفهمونها.

ولكن الجـمـيع كـانوا يتـحلون بالأدب الإسـلامي الرفـيع ويبين على وجوههم الخـشوع والفرح بالحج وكـانت ملابس النسـاء وعددهن قليل بالنسبـة إلى عدد الرجال سـاترة بل فضـفاضة وربما يصح القـول أنها مكومة تكويماً لكثرتها ولكون بعضها قد لبس فوق بعض.

ثم قـدموا لنا الأعـضاء الـعاملين في الحج وأهمـهم أعـضاء البـعثـة الرسميـة حتى الأطباء والمرضات اللائـي سيصحبن الحجـاج ليعملن في البعثة الطبية الغينية.

فـاسـتـأذنا في الخـروج وودعنـاهم وهم لايزالون في مكانهم لـيكملوا محـاضراتهم التي أعدوها لهذه المناسبة.

مأدبة السفارة السعودية:

أقامت السفـارة السعودية لنا مأدبة غـداء دعت إليها الوزير تراوري والشيخ الحسن كمارا وينطقون باسمه (لانسـانا) في لغتهم العامية كما ينطقـون باسم لانسانا لكل من اسـمه الحـسن وكذلـك حضرهـا محـمد جاوارا، ووفد من صندوق التنمية السعـودي كان يزور غينيا وكان قدم قبلنا بأيام. ذهبنا إليها في الواحدة ظهراً.



المؤلف بين السفير محمد عبدالرحمن البسام والوزير تيجاني تراوري في بيت السفير في كونكري

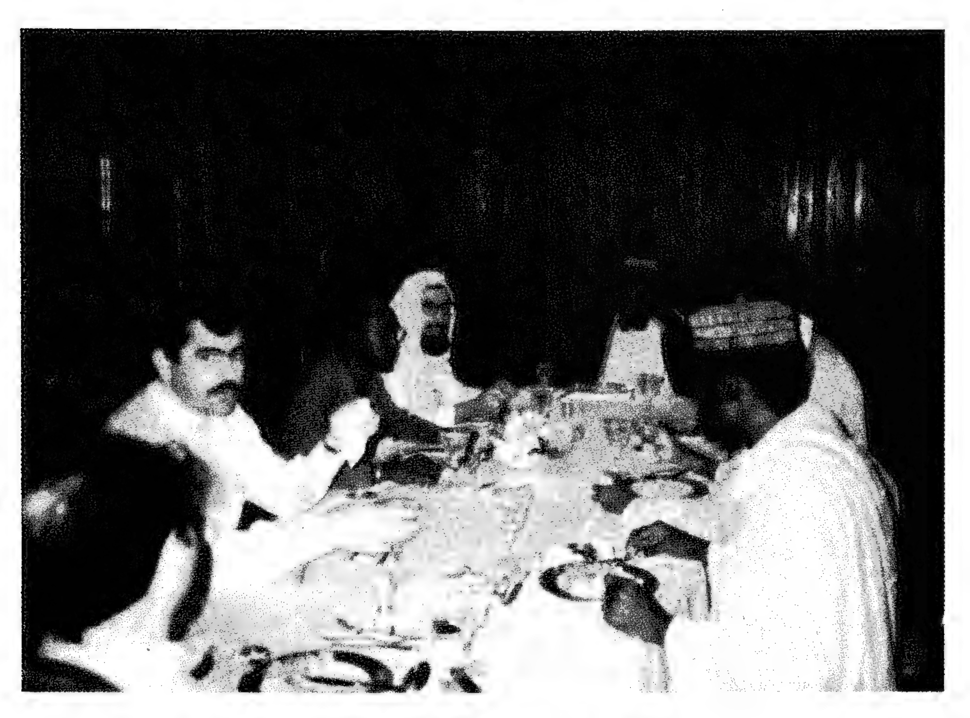
وقد استمرت المأدبة لوقت طويل تناول الحديث فيها شئون المنطقة الحاضرة وتاريخها القديم كما حضرها بعض السفراء العرب.

وهي في بيت السفير الأستاذ محمد بن عبد الرحمن البسام وقد أمضى سنوات عديدة في غينيا فكان يحدثنا عنها حديث الخبير ويتبادل ذلك مع الحاضرين وقد استفدت من هذه الجلسة كثيراً.

وكانت مأدبة عربية خالصة من بين ما فيها خروف كامل مصلي وصلاء اللحم أن يوضع بجانب النار لينضج من حرها دون أن تباشره النار هذا هو الفرق بينه وبين الشواء.

والغريب أن القوم اخبرونا بهذه المناسبة أن اللحم عندهم وبخاصة لحم الغنم غال جداً رغم الخضرة الشاملة في بلادهم وذلك لصعوبة تربية الأغنام فيها لما يعتريها من أمراض كثيرة في هذه المناطق الاستوائية الرطبة.

وكل ما في المائدة فاخر وغالٍ كما أنه منوع أيضاً



على مائدة السفير في كونكري

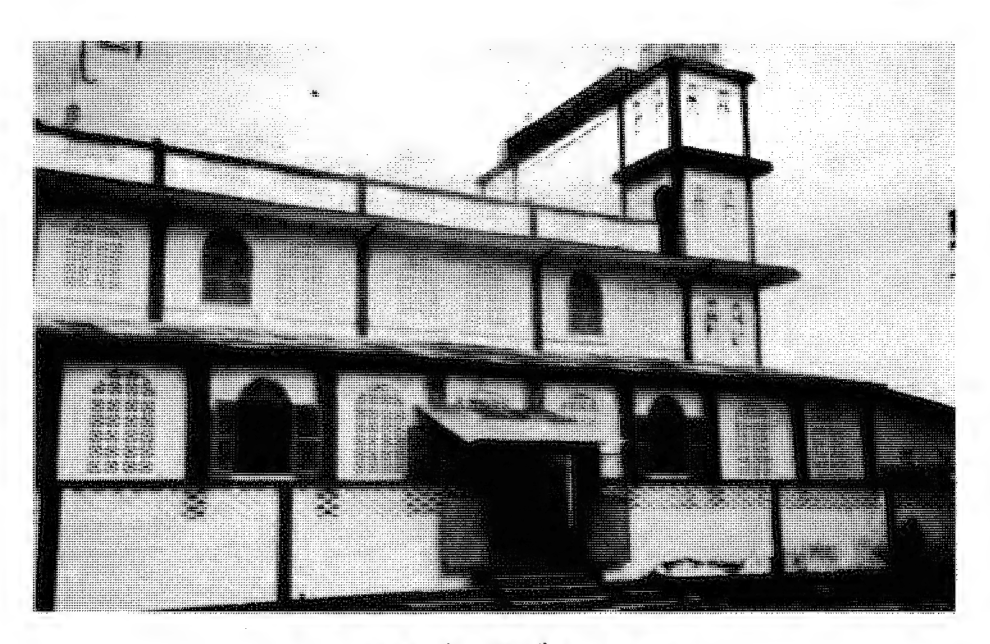
مسجد غابة القرد :

في الثالثة والنصف بعد الظهر بدأنا جولة أخرى على المساجد والأماكن المهمة التي لم نزرها أمس أو قبل أمس فكان أن بدأنا بزيارة مسجد اسمه (سانتر كولون وندي) ومعنى كولون وندي: غابة القرود بلغة الصوصو لأن كولي: غابة ووندي قرد.

سمي بذلك لأن مكان هذا المسجد كان غابة فيها قرود.

ذكروا أن بناءه كان قبل سبعين سنة وقيل ثمانين سنة. إلا أن بناءه الحالي حديث فهو مبني بالأسمنت المسلح، ويبنون منارته الآن، وإن كانت مضت على بنائه سنوات. وهو مفروش بالحصر النظيفة وفي محرابه فرشوا جلد بقرة. كما كنت رأيت أهل شمال نيجيريا يفعلون ذلك.

ويقع على شارع تظلله الأشجار الباسقة من العمبة (المانقو) وغيرها، وذكروا لنا بهذه المناسبة أن (المانقو) تأكلها القرود ولا يمنعونها عنها لكثرتها وكذلك توجد برية في البراري لايمنع أحد من الأكل من ثمرها وذكروا أن موسم إدراكها يستمر ثلاثة أشهر والناس يأكلون منها.

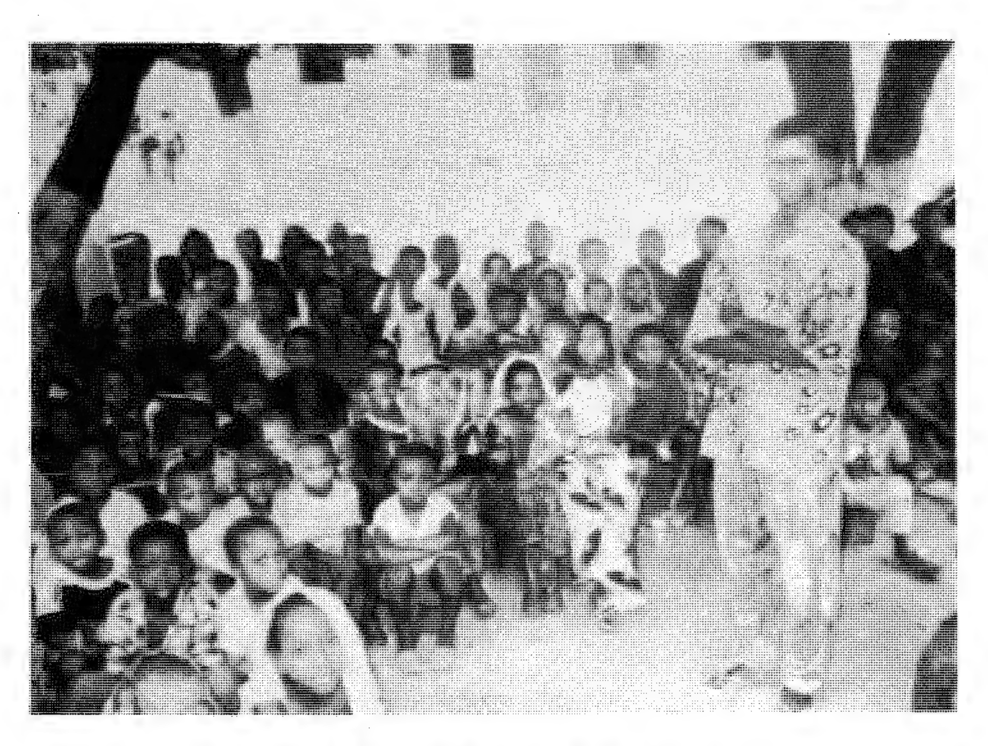


مسجد غابة القرد في كونكري

مدرسة الرصيف:

انتقلنا من هذا المسجد إلى مدرسة رأيناها ونحن نسير في الشارع العام إذ كانت على رصيف الشارع لايحجز بينها وبين المارة حاجز وتظلها شجرة من أشجار النيم الوارفة الظلال.

وجدناهم علقوا السبورة على الحائط الذي يلي الرصيف وكتبوا عليها الدرس بالعربية وهذا نص المحادثة: أنا تلميذ ذكي أذهب إلى المدرسة كل صباح والمساء، لأتعلم اللغة العربية لأن اللغة العربية لغة القرآن الكريم ولغة نبينا محمد بن عبدالله ﷺ ولغة الجنة وكلام رب العالمين.



المدرس والطلبة في مدرسة الرصيف في كونكري

وكانت كتابتها بخط سوداني وهو نوع من الخط المغربي الذي أصله الخط الشرقي الكوفي. وهذه العبارات على كونها مألوفة في بلادنا إذا ضممنا إليها وضع المدرسة جعلنا ذلك نتساءل عما قدمناه لأمثال هؤلاء الإخوة الذين يتعلمون لغتنا ويتجشمون الصعاب في ذلك وقد أخبرونا أن تلاميذ المدارس الحكومية يدرس بعضهم في أول النهار وبعضهم في آخره فيأتي من لم يكن منهم في دراسة هذه المدرسة الإسلامية يتعلم فيها العربية ومباديء الدين الإسلامي.

بالإضافة إلى طلاب عددهم قليل ممن لايذهبون للمدارس الحكومية يدرسون فيها كل الوقت.

والرصيف الذي تشغله المدرسة عريض وجيد وقد دفنوا ما يحاذيه من مجرى المياه المستعملة بمعنى سقفوه فصار لايرى.

مسجد كورنتين

وجدنا عند المسجد شاباً اسمه عبدالله كبا وكان معي طائفة من الأخوة العاملين في وزارة الشئون الإسلامية وهم يعرفون أحوال المساجد هنا بحكم عملهم.

فقالوا لنا: إن هذا المسجد بني عام ١٩٣٥م بناه شيخ اسمه (عبدالله كبا) هو جد الشاب عبدالله كبا الحاضر معنا الآن وهو شيخ كان يعلم القرآن واللغة العربية وأمور الدين.

ولاحظت أن حفيده وسميه الشاب عبدالله كبا يتكلم العربية بطلاقه.

والمسجد مبني بناية جيدة بالأسمنت بناءً محدثًا غير بنائه الأول.



في محراب كورنتين في كوناكري مع ابن مؤسسه عبدالله كبا

وله مئذنة مربعة على هيئة الصومعة وليست مستديرة مثلما تكون عليه المآذن في بلادنا وقبة غير مرتفعة ولكنها واسعة.

وفراشه من الحصر المتوسطة الجودة، محرابه كبير واسع مثلما تكون عليه المحاريب في بلدان إفريقية غربية كثيرة.

وقد كتبوا على المحراب بخط لا بأس به الآية الكريمة (ومن يتوكل على الله فهو حسبه).

والآية الكريمة الأخرى: ﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلي فى المحراب﴾.

وفيه لوحة تبين أوقات الصلوات بالعربية والفلانية.

وقد أخبرونا أن نفقة الكهرباء التي يحتاجها المسجد هي من الحكومة مثل غيره من المساجد.

وقد اجتمعنا بأحد أئمة المسجد الذين هم أربعة أحدهم اسمه إبراهيم كبا وهو ابن الشيخ عبدالله كبا مؤسس المسجد.

أول مسجد:

انتقلنا إلى رؤية أول مسجد أنشيء في كونكري حتى قال بعضهم: إنه أنشيء قبل ٩٩سنة. وهذا إذا صح يعني أن بناءه مع أول عمارة كونكري لأنها قد مضت عليها الآن مائة سنة فقط. وقد قال بعضهم ممن وجدناهم في المسجد إنه لا يعرف تاريخ بنائه لقدمه ويريد بذلك أنهم لا يعرفون ذلك وقال احدهم وهو شيخ مسن: لقد ولدت عام ١٩٢٨م ومع ذلك كان هذا المسجد موجوداً قبل ولادتي.

وقد يسمى (مسجد المامي) والمامي هو حاكم البلد بلغة الصوصو.

وأصل الكلمة من العربية وهي الإمام بمعنى ولي الأمر الحاكم. ويسمون الحي الذي يقع فيه: (المامية) نسبة لما ذكرناه وبناؤه الحالي جديد من الأسمنت القوي. وهم الآن يبنون منارة المسجد لم يكملوها بعد.

وشوارع حي (المامية) هذا واسعة غارقة في أشجار ضخمة خضر.

المركز الإسلامي:

توجد في ركن فناء واسع يقع إلى الشمال من مدخل جامع الملك فيصل منازل من طابقين أصلها مساكن لبعض الجنود.

وقد تقدمت الحكومة الغينية إلى المملكة العربية السعودية برجاء بناء مركز إسلامي عليها يتألف من قاعة محاضرات ومكتبة ومدرسة أسلامية وقد لبت المملكة هذا الطلب وسوف يبدأ العمل به يوم الجمعة القادم أي بعد أربعة أيام بهدم هذه البيوت.

وقد استغرق التحضير لبنائه مدة أرسلت وزارة المالية في المملكة خلالها مهندسين وخبراء لمعاينة المكان وتقدير النفقة إلى غير ذلك.

وقد وجدت في المكان أطفالاً يلعبون تحت ظل شجرة ضخمة من شجر البيسان وارفة الظلال فالتقطت معهم صورة تذكارية.

ثم انتقلنا إلى الجهة الجنوبية من جامع الملك فيصل وفيها حديقة واسعة باسقة الأشجار ذكروا أنهم يأملون أن تكون مقراً للجامعة الإسلامية في المستقبل حتى تكون هذه الجامعة بجانب جامع الملك فيصل.

ومن أعجب ما رأيته فيها من الأشجار الضخمة شجرة يسمونها بلغة الماندنكا (بلم) تكون لها فروع تتدلى من فوق إلى الأرض حتى تشتبك فيها وتغلظ فتنضم إلى جذع الشجرة الأصلي الذي يبدو كأنه مؤلف من أجزاء بعضها بجانب بعض.

وهذا المساء؟

مضى هذا المساء في استقبال الزوار والأصدقاء في الفندق ومنهم دعاة كانت رابطة العالم الإسلامي قد عينتهم للدعوة إلى الله تعالى في غينيا وعددهم عشرة وصارت تصرف رواتبهم بواسطة أحد وزراء

الحكومة السابقة وكانت الرابطة تثق به إلا أنه تبين أنه لم يكن يسلمهم رواتبهم. ولما سئل عن ذلك أجـاب بأن الرئيس كان يتسلم تلك الرواتب لأنها بالعملة الصعبة - يقصد رئيس البلاد السابق -.

وقد جاء أولئك الدعـاة يتظلمون يطلبون أن تصرف مـبالغ لهم بديلة عنها.

وقـد اجـابتـهم الرابطة في ذلك الـوقت بأن رواتبـهم كـانت تصـرف بوساطة الجـهة التي كـانت في الأصل قد طلبت تعيـينهم وهي الوزارة التي كـان الوزير السابق يتـولاها ولم تعلم الرابطة عـما ذكروه إلا بـعد ذلك.

وقد جـاؤا إلينا يلتمسـون أن يعينوا من جـديد، وأن تصرف الرواتب التي يتيسـر صرفها لهم وأن لم تكن بمقـدار الرواتب الأولى التي كانت قد خصصت لهم على اعتبارهم من حملة الشهادات الجامعية.

فأخـبرناهم أننا سننظـر في هذا الأمر ونجتـهد فـيه، ويتعلـق باتساع الباب المخصص للدعاة في ميزانية الرابطة.

يوم الإثنين ١٦/١١/١٤٠٩هـ - ١٩/٦/١٩٨٩م.

مقابلة رئيس الجمهورية:

وضعت وزارة الشئون الإسلامـية في برنامج الزيارة لقاء خاصاً لي مع رئيس الجمهورية، ولكنهم لم يحددوا ساعته إلى مساء البارحة.

انطلقنا من فندقنا فندق الاستقلال أو (نوفـتيل كونكري) على سيارة حكومية فيها مـعي الوزير تراوري والشيخ عبد الوهاب الدكوري الذي

إلى جانب كونه مرافقاً لي فهو يعرف المنطقة جيداً ويدير مكتب رابطة العالم الإسلامي في داكار وهو مكتب إقليمي لغرب إفريقية فإن الشيخ الدكوري لاغنى عنه - أيضاً - للترجمة لأن القوم لايعرفون الانكليزية وأنا لا أعرف الفرنسية.

وصلنا إلى قصر الجمهورية وهو فناء واسع جميل، كل ما فيه نظيف إلا أن سعته لاتقارن بقصور الملوك والرؤساء الأغنياء في بلداننا العربية.

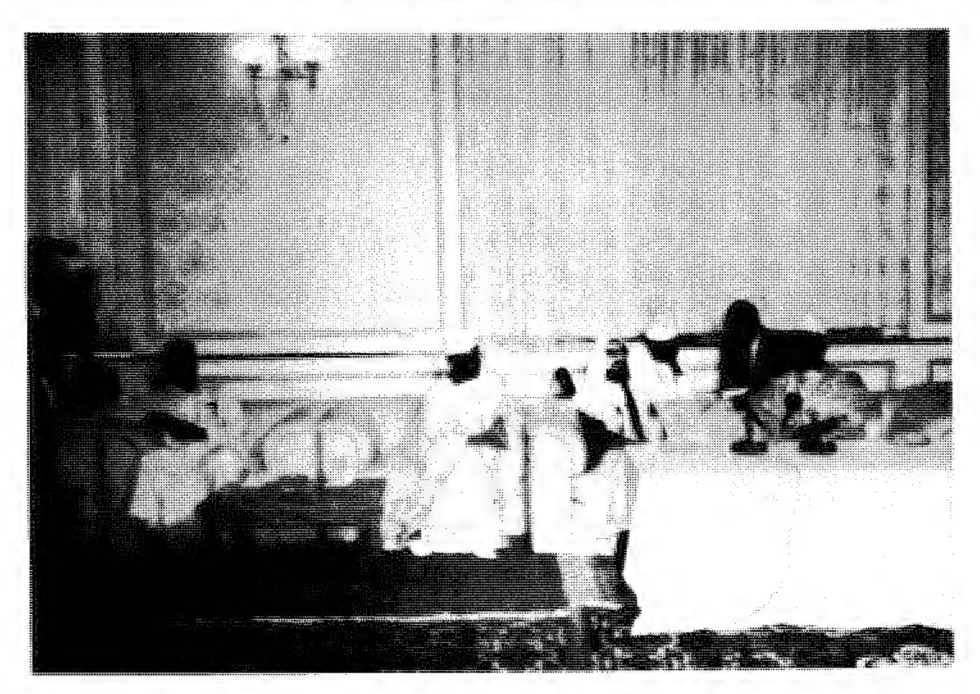
ولاحظت أن الرقابة الأمنية بل الحراسة ليست مشددة اللهم إلا إذا كان ذلك بسبب وجودنا في سيارة حكومية وبصحبة وزير من الوزراء، ولكن ذلك لا يمنع من ملاحظة الرقابة المشددة لغيرنا لو كانت موجودة مثل كثرة الجنود الواقفين والمعترضين و المستعدين لتفتيش الناس. مع العلم بأن الحكم عسكري ورئيس البلاد هو أحد العسكريين.

فوقفت سيارتنا في داخل الفناء فصعدنا مع درج واسع إلى طابق فوق الأرضي وسرنا فيه فترة بين حجرات وممرات غاية في النظافة طلاؤها أحمر فدخلنا قاعة واسعة كل ما فيها من أثاث وجدران أحمر اللون.

ثم دخلنا من هذه القاعة الواسعة إلى قاعة خاصة متوسطة السعة أو هي إلى الضيق أقرب بالنسبة لكون رئيس الجمهورية يقابل فيها الخاصة من ضيوفه.

فأجلسوني في صدر هذه القاعة على مقعد مستطيل لا إسراف فيه أمام مائدة عليها مكبرات الصوت والآت التصوير للتلفزة.

وتبين أن هذا سيكون مجلس الرئيس، وأنا بجانبه.



مع صاحب الفخامة رئيس جمهورية غينيا (لانسانا كونتشي)

وخلفنا المترجم والصحفي

وجلسنا في الانتظار معنا الوزير ووزير آخر لا أتذكر اسمه وموظفو الصحافة والتلفزة وضباط قابلونا وصحبونا حتى جلسنا في هذه القاعة وانصرف بعضهم.

ولكن كل هؤلاء لم يتحدث معي أحدهم بشيء، بل كنت أتحدث مع زميلي الدكوري وحدنا في انتظار قدوم الرئيس.

وكنت اجيل بصري في هذه القاعة فأجد أن هندستها كلها بل حتى أثاثها ذو طابع عربي أصيل لولا شيء واحد وهو اللون الأحمر القاني الذي غلب على كل شيء فيها.

مع الرئيس:

بعد انتظار استمر حوالي عشرين دقيقة دخل رئيس الجمهورية علينا في هذه القاعة الخاصة من باب مكتب يدخل اليها غير الذي دخلنا منه.

وتبين لي من منظره أول وهلة انسجامه مع الطابع الأحمر الذي غلب في اللون على كل ما في هذه القاعة فقد كان يرتدي حلة وطنية فضفاضة حمراء اللون تماماً.

وهو مديد القامة، هاديء الحركات، متزن التصرفات لأول وهلة تراه فتحكم عليه بذلك.

فأسرعت عدسات التصوير من الصحفيين وموظفي التلفزة في التقاط الصورة وكنت أكل في مثل هذه المناسبات لزميلي الشيخ الدكوري أو لأحد الموجودين أن يلتقط بعض الصور من (المصِّورة) التي أحملها إلا أنه لم يكن في القاعة ضيوف غيري وغير الشيخ الدكوري فلم أر أنه من اللائق أن أكلفه أن ينهض من الجلوس للتصوير.

وأعطيت المصورة لأحد الذين كانوا يصوروننا وكانوا يسرعون في التقاط الصور لنا من كل زاوية وهم أكثر من واحد.

ولكن لاحظت أنه لم يصور بمصورتي إلا واحدة أو اثنتين ثم تركها وأخذ يصور بآلة التصوير التي يحملها.

ابتدأ الرئيس المقابلة بالترحيب وسؤالي عن حالي وعن راحتي في غينيا وكرر الترحيب أكثر من مرة.

وكان يبدو في ذلك رجلاً طيب القلب دون أن يعني ذلك سطحية في التفكير أو عدم تعمق في معرفة الأشياء.

فتكلمت بكلمة طويلة بدأتها بشكر فخامته وبحسن الاستقبال من كل من قابلناهم من أهل غينيا.

وقلت له: كنا في رحلة إلى بعض الأقطار الإفريقية الغربية فرأينا أن زيارتها لاتتم إلا بزيارة جمهورية غينيا المسلمة بل العريقة في إسلامها. وإن من أهم أهداف زيارتنا هذه تقوية العلاقات الإسلامية ما بين رابطة العالم الإسلامي وبين الجهات العاملة في الدعوة هنا في غينيا وبخاصة رابطة مسلمي غينيا امتثالاً لما جاء في الآية القرآنية الكريمة: (وتعاونوا على البر والتقوى)، وإن تحقيق هذا التعاون هو من أهم الأهداف التي أنشئت رابطة العالم الإسلامي من أجلها.

ثم تكلمت عن دور الرابطة في العالم الإسلامي وكيف أن معظم الشعوب المسلمة في بلاد الأكثريات وبلاد الأقليات المسلمة ممثلة في مجالسها واللجان التابعة لها وأكثر الجمعيات الإسلامية في العالم تتعاون مع الرابطة فيما يخدم الدعوة الإسلامية.

وقلت له: إنني أبلغ فخامتكم تحيات إخوانكم المسلمين في رابطة العالم الإسلامي وتحيات الإخوة المسلمين في جميع أنحاء العالم عن طريق الرابطة.

وذكرت له موضوع التفكير في عقد ندوة لعلماء المسلمين في أحد البلدان المجاورة لموريتانيا والسنغال وهي مالي وغينيا وغامبيا وهي التي تكلمت عليها فيما سبق.

وشكرته على إنشاء رابطة مسلمي غينيا واختيار شخص برتبة وزير لإدارة شئونها.

وقلت: إننا نرجو لها التوفيق في النهوض بالمؤسسات الإسلامية هنا، وبالعمل على عمارة المساجد وتشجيع المدارس الإسلامية وقلت له: إنه بلغني أن بعض الدول الإفريقية الغربية قررت أن تعمل على إنشاء رابطة مثلها في بلادها اقتداء بكم وتكلمت معه بما شاهدناه خلال سفرنا في انقولا وكيف أن حكومتها لم تعترف بالمسلمين جماعة إسلامية لها كيان رسمي قانوني وإن الإخوة المسلمين هناك طلبوا منا أن يتدخل أحد رؤساء البلدان الإسلامية لدى رئيس انقولا من أجل هذا الموضوع.

كان الرئيس ينصت باهتمام وأنا اتكلم ومترجم غيني من موظفي الحكومة يترجم كلامي من العربيةإلى الفرنسية وبالعكس وهو قدير جداً وفصيح بالعربية بحيث لا يقل مستواه عن مستوى العرب الأقحاح في هذا المجال.

ثم تكلم الرئيس فقال: أنشأنا هذه الرابطة الإسلامية الوطنية من واقع كون المسلمين أكثرية في البلاد، ولذلك تجد المساجد في كل مكان حتى إن كل قرية فيها مسجد، ونحن نعتقد أنه لا يكون لنا عز إلا بالإسلام.

والرابطة الإسلامية الوطنية هذه تعتبر شعبية غير حكومية لكننا لانتخلى عنها من واقع كوننا مسلمين وكون حكومتنا ترى أن من واجب الدولة تقوية المسلمين.

ثم تكلم باختصار عن العلاقات الودية القوية ما بين غينيا والمملكة العربية السعودية وقال: إنها علاقات أخوية بالدرجة الأولى ومع ذلك نحن نشكر الملك فهد والمملكة العربية السعودية عل المعونات التي قدمتها إلى غينيا.

ثم تكلم بعبارات مجاملة أخرى نحو المملكة ونحوي.

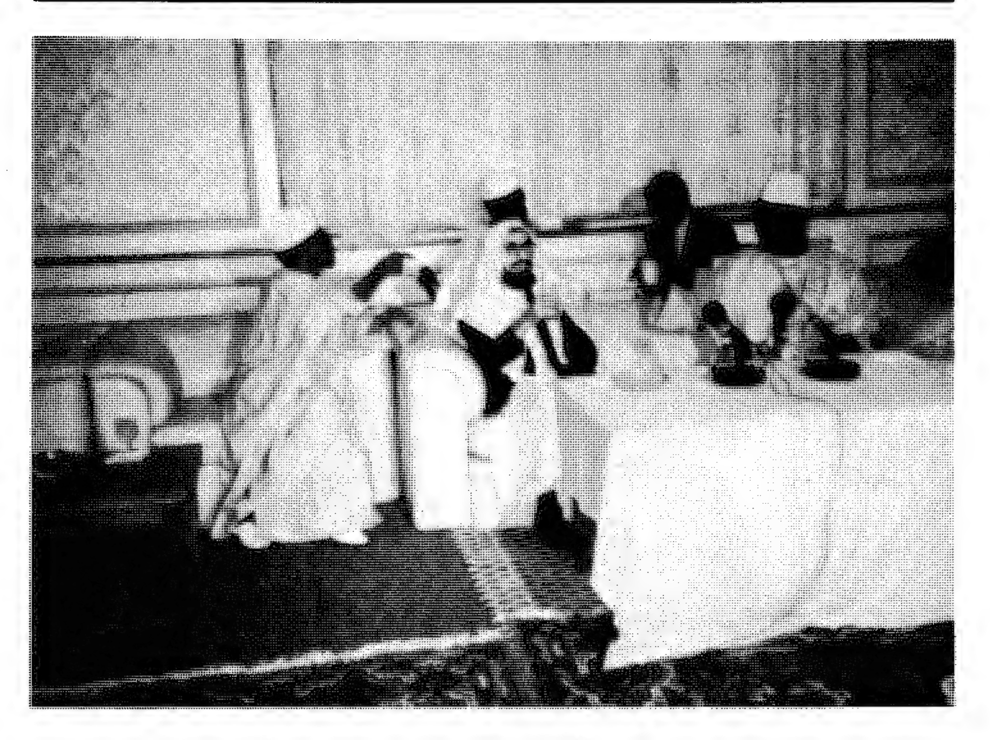
وكان وزير الشئون الإسلامية الأستاذ تيجاني تراوري قد طلب مني أن أخبر الرئيس بالمبلغ الذي أعلنت أن الرابطة ستتبرع به لهم وأن أسلمه للرئيس.

فقلت له: إن المبلغ قليل لايستحق الذكر عند الرئيس، فقال: إنه هو يحب ذلك، لأنه هو والد المسلمين وقد نزلت على رغبته معتقداً أن الوزير نفسه هو الذي يريد أن أخبر الرئيس به.

فقلت له: يافخامة الرئيس: إنني في ختام جولة لعدة أقطار في افريقية الغربية وقد رأيت أن أقدم من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة مبلغاً قليلاً هو ثمانية عشر ألف دولار أمريكي إسهاماً منها في بعض الأمور العاجلة التي تتعلق بعمل الرابطة الإسلامية الوطنية. وأريد أن تأمروني بأن أسلمها لمن ترون.

فأبدى الشكر على ذلك وقال: المهم ليس المبلغ وإنما المهم ما يرمز إليه من التعاون ومن قبل النقود أعطوها الوزير وهو يعطيني.

وكان الخدم قد أحضروا كؤوس شراب البرتقال، فقرع كأسي بكأسه وشربنا.



رئيس الجمهورية يرفع كأسه من شراب البرتقال إلى كأس المؤلف

والشيخ الدكوري في أيسر الصورة

وأخذ يسأل أسئلة عامة عن أحوال المسلمين في العالم وظني أن الوزير قد أخبره أنني زرت كل الأقطار التي فيها مسلمون في أنحاء العالم.

وانتهت المقابلة بعد أن استمرت نصف ساعة وكان الوزير قد أخبرني أنها ستستغرق عشر دقائق ولكن الرئيس كان يستبقيني.

تركنا القاعة الصغيرة والرئيس موجود فيها ثم انتقلنا إلى قاعة أخرى حيث سلمت النقود وهي على هيئة صكات (شيكات) سياحية للوزير بحضور نائب رئيس الجمهورية إبراهيم كمارا الذي حضر المقابلة.

ووقعت على تلك الصكات. وغادرنا قصر الرئاسة بعد أن أمضينا فيه حوالي الساعة ما بين انتظار ومقابلة، وذلك في الثانية عشرة والربع ظهراً.

مغادرة كونكري:

اسرعنا إلى فندق الاستقلال ندفع له الأجرة ٨٤٣ دولاراً بالعملة الصعبة مقابل غرفتين لأربع ليالٍ.

ثم خرجنا إلى المطار بصحبة سفيرنا في كونكري الأستاذ محمد بن عبدالرحمن البسام وبعض المودعين الغينيين.

وقد ازدحمت قاعة كبار الزوار بالمودعين تعارفنا فيها مع سفراء بعض الدول العربية ومنهم سفير المملكة المغربية وسفير غينيا والسفير المصري الذي خرج إلي المطار لتوديع العقيد عمر الفا حاكم ولاية كونكري الذي سلمنا عليه ثانية وكان ذاهباً معنا في الطائرة المغربية إلي الدار البيضاء حيث سيسافر من هناك إلى القاهرة في زيارة رسمية لمصر.

وفي الثالثة إلا ربعاً من قبل العصر قمنا مع الطائرة المغربية إلى داكار.

وعندما نهضت من الأرض اتضح مرأى مدينة كونكري على لسان من الأرض تحيط به مياه البحر من جهات ثلاث.

وهي ممتدة على هذا اللسان لمسافة (٣٦) كيلو متر بعرض متفاوت يبلغ متوسطه ٤ كيلو مترات ويقطن في هذه المدينة مليون نسمة من مجموع سكان غينيا البالغ ستة ملايين إنسان.

وجزيرة (كاسا) الصغيرة التي تقابل غرفتي في الفندق وتبعد أربعة كيلو مترات في البحر فيها على صغرها سكانها ولها مسجدها.

وكان أجمل ما في الطائرة المغربية الإعلان بالعربية في صوت فصيح جميل.

هذا وقد سافرت من داكار إلى باريس، حيث انتقلت من مطار (شارل ديقول) فيها إلى جدة من دون الدخول إلى باريس.

المحتـويــات

المـوضوع **صفحة**

أولاً: غينيــا بيساو

الطريق إلى غينيا بيساو

الموضوع	الصفحة

إلى غينيا بيساو

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

ثانيًا: غينيا كونكري

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
تلفون: ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣